

تأليف العلامة النراقي	جامع السعادات	
الجزء الثاني		
		المقام الثالث
ستر العيوب	الضيافة	فيما يتعلق بالقوة
افشاء السر	ما ينبغي أن يقصد في	الشهوة من الرذائل
كتمان السر	الضيافة	والفضائل
النميمة	آداب الضيافة	الشهره
السعاية	الحق المعلوم وحق الحصاد	فوائد الجوع
الافساد بين الناس	والجذاذ	الشهوة الجنسية
الاصلاح	القرض	الخمود
الشماتة	انظار المعسر والتحليل	العفة
المراء والجدال والخصومة	بذل الكسوة والسكنى	<b>الأنواع والنتائج والآثار</b>
علاج المراء	ونحوهما	<b>المتعلقة بالقوة الشهوية</b>
طيب الكلام	ما يبذل لوقاية العرض	الاعتدال في الشهوة
السخرية والاستهزاء	والنفس	حب الدنيا
المزاح	ما ينفع في المنافع العامة	لابد للمؤمن من مكسب
المذموم من المزاح	الفرق بين الانفاق والبر	الدنيا المذمومة هي
الغيبة	والمعروف	الهوى
لا تنحصر الغيبة باللسان	طلب الحرام	ذم الدنيا وانها عدوة الله
بواعث الغيبة	عزة تحصيل الحلال	والإنسان
ذم الغيبة	انواع الأموال	خسائس صفات الدنيا
علاج الغيبة	الفرق بين الرشوة والهدية	تشبهات الدنيا وأهلها
مسوغات الغيبة	الورع عن الحرام	عاقبة حب الدنيا وبغضها
كفارة الغيبة	مدح الورع	حب المال
البهتان	مداخل الحلال	ذم المال
المدح ومواضع حسنه	درجات الورع	الجمع بين ذم المال
وفبحه	الغدر والخيانة	ومدحه
الكذب	أنواع الفجور	غوائل المال وفوائده
ذم الكذب	الخوض في الباطل	الأمور المنجية من غوائل
مسوغات الكذب	التكلم بما لا يعنى أو	المال
التورية والمبالغة	الفضول	الزهد
شهادة الزور واليمين	حد التكلم بما لا يعنى	مدح الزهد
الكاذب وخلف الوعد	علاج الخوض بما لا يعنى	اعتبارات الزهد ودرجاته
علاج الكذب	الصمت	الزهد الحقيقي
الصدق ومدحه	المقام الرابع	الغنى
أقسام الصدق	فيما يتعلق بالقوى الثلاث	ذم الغنى
	او باثنتين منها من الرذائل	الفقر
		اختلاف أحوال الفقراء

اللسان اضر الجوارح الصمت حب الجاه والشهرة ذم حب الجاه والشهرة الجاه أحب من المال لابد للإنسان من جاه دفع اشكال في حب المال والجاه الكمال الحقيقي في العلم والقدرة لا المال والجاه علاج حب الجاه حب الخمول حب المدح مراتب حب المدح وكراهة الذم أسباب حب المدح علاج المدح وكراهة الذم ضد حب المدح الرياء ذم الرياء أقسام الرياء تأثير الرياء على العبادة السرور بالاطلاع على العبادة متعلقات الرياء بواعث الرياء الرياء الجلي والخفي كيف يفسد الرياء العمل شوائب الرياء مبطله للعمل علاج الرياء الاخلاص وحقيقته مدح الاخلاص آفات الاخلاص النفاق	<b>والفضائل وهي</b> الحسد ذم الحسد المنافسة والغبطة بواعث الحسد لا تحاسد بين علماء الآخرة والعارفين علاج الحسد القدر الواجب في نفى الحسد النصيحة الايداء والاهانة والاحتقار كف الأذى عن المسلمين ذم الظلم بالمعنى الأخص العدل بالمعنى الأخص آفة المؤمن ادخال السرور في قلب المؤمن ترك اعانة المسلمين قضاء حوائج المسلمين التهاون والمداهنة السعي في الأمر بالمعروف وجوب الأمر بالمعروف وشروطه عدم اشتراط العدالة فيه مراتب الأمر بالمعروف معنى وجوبهما كفاثيا ما ينبغي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انواع المنكرات الهجرة والتباعد التزاور والتألف قطع الرحم صلة الرحم المراد بالرحم عقوق الوالدين بر الوالدين حق الجوارح	<b>مراتب الفقر ومدحه</b> <b>الموازنة بين الفقر</b> <b>والغنى</b> <b>ما ينبغي للفقر</b> <b>وظيفة الفقراء</b> <b>موارد قبول العطاء وردّها</b> <b>لا يجوز السؤال من غير</b> <b>الحاجة</b> <b>الحرص</b> <b>القناعة</b> <b>علاج الحرص</b> <b>الطمع</b> <b>الاستغناء عن الناس</b> البخل ذم البخل السخاء معرفة ما يجب أن يبذل الايثار علاج مرض البخل الزكاة سر وجوب الزكاة وفضيلة سائر الانفاقات الحث على التعجيل في الاعطاء فضيلة اعلان الصدقة الواجبة ذم المن والأذى في الصدقة ما ينبغي للمعطي ما ينبغي للفقراء في أخذ الصدقة زكاة الأبدان الخمس الانفاق على الأهل والعيال ما ينبغي في الانفاق على العيال <b>الأمور المستحبة في</b> <b>الانفاق الداخلة تحت</b> <b>السخاء وهي انواع</b> صدقة التطوع فضيلة الاسرار في الصدقة
--	--	---

	حدود الجوار وحقه طلب العثرات	المندوبة الهدية
--	---------------------------------	--------------------

## فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل

الشره

فوائد الجوع

الشهوة الجنسية

الخمود

العفة

### المقام الثالث

#### (فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج)

الشره - فوائد الجوع - الشهوة الجنسية - خمود الشهوة - العفة - الاعتدال في الشهوة - حب الدنيا -  
الابد للمؤمن من مكسب - الدنيا المذمومة هي الهوى - ذم الدنيا وانها عدوة الله والإنسان - خسائس  
صفات الدنيا - تشبيهات الدنيا وأهلها - عاقبة حب الدنيا وبغضها - الجمع بين ذم المال ومدحه - حب  
المال - ذم المال - غوائل المال وفوائده - الأمور المنجية من غوائل المال - الزهد - مدح الزهد -  
اعتبارات الزهد ودرجاته - الزهد الحقيقي - ذم الغنى - الفقر - اختلاف أحوال الفقراء - مراتب الفقر  
ومدحه - الموازنة بين الفقر والغنى - ما ينبغي للفقير - وظيفة الفقراء - موارد قبول العطاء وردّها - لا  
يجوز السؤال من غير حاجة - الحرص وذمه - القناعة - علاج الحرص - الطمع وذمه - الاستغناء عن  
الناس - البخل - ذم البخل - السخاء معرفة ما يجب أن يبذل - الإيثار - علاج البخل - الزكاة - سر  
وجوب الزكاة وفضيلة سائر الانفاقات - الحث على التعجيل في الإيعاء - فضيلة إيعاء الصدقة  
الواجبة - ذم المن والأذى في الصدقة - ما ينبغي للمعطي - ما ينبغي للفقراء في أخذ الصدقة - زكاة  
الأبدان - الخمس - الأنفاق على الأهل والعيال - ما ينبغي في الأنفاق على العيال - صدقة التطوع -  
فضيلة الإسرار في الصدقة المندوبة - الهدية - الضيافة - ما ينبغي أن يقصد في الضيافة - آداب  
الضيافة - الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاز - القرض - أنظار المعسر والتحليل - بذل الكسوة  
والسكنى ونحوهما - ما يبذل لوقاية العرض والنفس - ما ينفق في المنافع العامة - الفرق بين الأنفاق  
والبر والمعروف - طلب الحرام - عزة تحصيل الحلال - أنواع الأموال - الفرق بين الرشوة والهدية -  
الورع عن الحرام - مدح الورع - مداخل الحلال - درجات الورع - الغدر - أنواع الفجور - الخوض

في الباطل - التكلم بما لا يعني - حد التكلم بما لا يعني - أسباب الخوض فيما لا يعني - الصمت،  
فنقول: أما جنسا رذائلها [1] فاحدهما:

### الشره

وهو إطاعة شهوة البطن والفرج، وشدة الحرص على الأكل والجماع وربما فسر باتباع القوة الشهوية في كل ما تدعو إليه: من شهوة البطن والفرج، وحب المال، وغير ذلك، ليكون أعم من سائر رذائل قوة الشهوة، وتحقق جنسيته، وعلى الأول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه، إلا أن القوم لما فسروه بالأول فنحن اتبعناهم، إذ الأمر في مثله هين:

وبالجملة: رذيلة الشره من طرف الإفراط ولا ريب في كونه أعظم المهلكات لابن آدم، ولذا قال رسول الله - (ص): " من وقى شر قبجه وذذببه ولقلقه فقد وقى "، والققب: البطن، والذذب: الفرج، واللقق: اللسان: وقال (ص): " ويل للناس من القبقيين! فقيل: وما هما يا رسول الله؟! قال: الحلق والفرج ". وقال (ص): " أكثر ما يلج به أمتي النار الأجوفان: البطن والفرج ". وقال (ص): " ثلاث أخافهن على أمتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج ".

ويدل على ذم (الأول) - أعني شهوة البطن والحرص على الأكل والشرب - قوله (ص): " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، وإن كان لا بد فاعلاً فتلت طعامه وتلت لشرابه وتلت لنفسه ". وقال (ص): " لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فان القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء ". وقال (ص): " أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعاً وتفكيراً، وأبغضكم إلى الله تعالى كل نؤم أكل شراب ". وقال (ص): " المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء ". أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكله المؤمن أو تكون شهوته سبعة أمثال شهوته، فالمعاء كناية عن الشهوة. وقال (ص): " إن أبغض الناس إلى الله المتخمون المأى، وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة ". وقال (ص): " بس العون على الدين قلب نخيب وبطن

رغيب ونعظ شديد " ٢ [2] وقال (ص): " أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا " قال (ص): " لا يدخل ملكوت السماوات من ملاً بطنه ". وفي التوراة: " إن الله يبيغض الحبر السمين "، لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل. وفي بعض الآثار: " إن الله يبيغض القارئ السمين ". وقال لقمان لابنه: " يا بني! إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة ". وقال الباقر (ع): " إذا شبع البطن طغى ". وقال (ع): " ما من شيء أبغض إلى الله - عز وجل - من بطن مملو ". وقال الصادق (ع): " إن البطن ليطغى من أكلة، وأقرب ما يكون العبد من الله إذا خف بطنه وأبغض ما يكون البعد إلى الله إذا امتلأ بطنه ". وقال (ص): " ليس لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه، فإذا أكل أحدكم طعاماً، فليجعل ثلث بطنه للطعام، وثلث بطنه للشراب، وثلثه للنفس، ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح ". وقال (ع): " ما من شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين: (قسوة) القلب، و(هيجان) الشهوة. والجوع إدام للمؤمن، وغذاء للروح، وطعام للقلب، وصحة للبدن ".

والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة، ولا ريب في أن أكثر الأمراض والأسقام تترتب على كثرة الأكل. قال الصادق (ع): " كل داء من التخمة إلا الحمى فانها ترد وروداً ". وقال (ع): " الأكل على الشبع يورث البرص ". وكفى لشهوة البطن ذمماً أنها صارت منشأ لاجراج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبت هما شهوتهما حتى أكلا منها، فبدت لهما سواتهما.

والبطن منبت الأدوية والآفات وينبوع الشهوات، إذ تتبعها شهوة الفرج شدة السبق إلى المنكوحات، وتتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في الجاه والمال، ليتوسل بهما إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات، ويتبع ذلك أنواع الرعونات، وضروب المحاسدات والمنافسات، وتتولد من ذلك آفة الرياء، وغائلة التفاخر والتكاثر والعجب والكبر، ويداعي ذلك إلى الحقد والعداوة والبغضاء، ويفضي

ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء. وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد من بطر  
الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع، وضيق مجاري الشيطان، لم يسلك سبيل البطر  
والطغيان، ولم ينجر به إلى الانهماك في الدنيا والانغمار فيما يفضيه إلى الهلاك والردى، ولذا ورد  
في فضيلة الجوع والصبر عليه ما ورد من الأخبار، قال رسول الله (ص): "جاهدوا أنفسكم بالجوع  
والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع  
وعطش" وقال (ص): "أفضل الناس من قل مطعمه وضحكه، ورضى بما يستر عورته". وقال  
(ص): "سيد الأعمال الجوع، وذل النفس لباس الصوف" وقال (ص): "اشربوا واكلوا في انصاف  
البطون فانه جزء من النبوة". وقال (ص): "قلة الطعام هي العبادة". وقال (ص): "إن الله يباهي  
الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا" يقول: انظروا إلى عبيدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا  
فصبر وتركهما، اشهدوا يا ملائكتي: ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة". وقال  
(ص): "أقرب الناس من الله - عز وجل - يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا".  
وقال عيسى (ع): "أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله - عز وجل -". وقالت  
بعض زوجاته (ص): "إن رسول الله لم يمثل قط شعباً، وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع  
فامسح بطنه بيدي، وأقول: نفسي لك الفداء! لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع،  
فيقول: إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم  
فقدموا على ربهم فآكرم مآبهم وأجزل ثوابهم، فاجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي  
غداً دونهم، فاصبر أياماً يسيرة أحب إلي من أن ينقص بي حظي غداً في الآخرة، وما من شيء أحب  
إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني". وروى: "انه جاءت فاطمة (ع): ومعها كسيرة من خبز،  
فدفعتها إلى النبي (ص) فقال: ما هذه الكسيرة؟ قالت: قرص خبزته للحسن والحسين (ع) جنتك منه  
بهذه الكسيرة، فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث" [3].

## فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد: هي صفاء القلب ورقته، واتقاد الذهن وحدته والالتذاذ بالمناجاة والطاعة، والابتهاج بالذكر والعبادة، والترحم لأرباب الفقر والفاقة، والتذكر بجوع يوم القيامة. والانكسار المانع عن الطغيان والغفلة، وتيسر المواظبة على الطاعة والعبادة، وكسر شهوات المعاصي والمستولية بالشبع، ودفع النوم الذي يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام والتهجد، والتمكن من الإيثار والتصديق بالزائد، وخفة المؤنة الموجبة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والأعداد، وصحة البدن ودفع الأمراض، إذ المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء، وورد: " كلوا في بعض بطونكم تصحوا " وأضداد هذه الفوائد من المفسد يترتب على الشبع.

ثم علاج الشره بالأكل والشرب: أن يتذكر الأخبار الواردة في ذمه، وينبه نفسه على رذالة المأكولات وخساستها، وعلى خسة الشركاء من الحيوانات، ويتأمل في المفسد المترتبة على الولوع به: من الذلة، والمهانة وسقوط الحشمة والمهابة، وفتور الفطنة، وظهور البلادة، وحدوث العلل والأمراض الكثيرة، وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الإفراط في الأكل ولو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة.

## الشهوة الجنسية

(وأما الثاني) - اعني طاعة شهوة الفرج والإفراط في القاع - فلا ريب في أنه يقهر العقل حتى يجعل الإنسان مقصور الهم على التمتع بالنسوان والجواري، فيحرم من سلوك طريق الآخرة، أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وربما انتهت هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله إلى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة، فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة، وقد خلق العقل ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة. وهذا مرض قلوب فارغة خلت عن محبة الله وعن الهمم العالية.



ويجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة الفكر والنظر، وذا استحکم عسر دفعه، وكذلك حب باطل من الجاه والمال والعقار والأولاد. فمثل من يكسره في أول انبعائه مثل من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب ليدخله، وما أهون منعها يصرف عنانها، ومثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابة حتى تدخل وتتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها، وما اعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر. فليكن الاحتراز والاحتياط في بدايات الأمور، إذ في أواخرها لا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح.

وربما انتهى إفراط هذه الشهوة بطائفة إلى أن يتناولوا ما يقويها ليستكثرها من الجماع، ومثلهم كمثل من بلى بسباع ضارية تغفل عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهيجها في هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها. والتجربة شاهدة بأن من ينقاد لهذه الشهوة ويسعى في تكثير ما يهيجها من النسوان وتجديدهن والتخيل والنظر وتناول الأغذية والأدوية المحركة لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر، وقد ينجر إفراطها إلى سقوط القوة واختلال القوى الدماغية وفساد العقل - كما برهن عليه في الكتب الطبية - . والوقاع أضر الأشياء بالدماغ، إذ جل المواد المنوية يجلب منه، ولذا شبه الغزالي هذه الشهوة بالعامل الظالم الذي لو أطلقه السلطان ولم يمنعه من ظلمه أخذ أموال الرعية على التدريج بأسرها وابتلاهم بالفقر والفاقة، فأهلكهم الجوع وعدم تمكنهم من تحصيل القوت، وكذا هذه القوة لو لم يقهرها سلطان العقل ولم يقيمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحة والأخلاق المحمودة التي اكتسبتها القوى الغذائية لبدل ما يتحلل من الأعضاء في مصارف نفسها وجعلها بأسرها منياً، وتبقى جميع الأعضاء بلا قوت، فتضعف ويدركها الفناء بسرعة. ولو كانت مطيعة للعقل، بحيث تقدم على ما يأمرها به وتنزجر عما ينهاها عنه، كانت كالعامل الذي يأخذ الخراج على طريق العدل والمروءة، ويصرفه في مصارف المملكة من سد الثغور واصلاح القناطر وخروج العساكر، وتبقى سائر أموال الرعية لأنفسهم، فيبقى لهم القوت وسائر ما يحتاجون إليه.

ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضائها هلاك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم ترد إلى حد الاعتدال، ورد في ذمها ما ورد من الأخبار، وقال رسول الله (ص) في بعض دعواته: " اللهم إني أعوذ بك من شر

سمعي وبصري وقلبي وشر مني ". وروى: " أنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله" وورد في تفسير قوله تعالى:

" ومن شرّ غاسق إذا وقب " ٤ [4]

أي: ومن شر الذكر إذ قام أو دخل. وقال (ص): " النساء حبائل الشيطان " وقال (ص): " ما بعث الله نبياً فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء، ولا شي أخوف عندي منهن " ٥ [5] وقال (ص): " اتقوا فتنة النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء " وروى: " أن الشيطان قال لموسى (ع): لا تخل بامرأة لا تحل لك: فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ". وروى أيضاً: " أن الشيطان قال: المرأة نصف جندي، وهي سهمي الذي أرمى فلا أخطئ، وهي موضع سرى، وهي رسولي في حاجتي " ولا ريب في أنه لولا هذه الشهوة لما كان للنساء تسلط على الرجال.

وقد ظهر بالعقل والنقل: أن الإفراط في هذه الشهوة وكثرة الطروقة والنزو على النسوان مذموم. ولا تغرنك كثرة نكاح رسول الله (ص) فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا، وكان استغراقه في حب الله بحيث يخشى احتراق قلبه والسراية منه إلى قلبه، فكان (ص) يكثر من النسوان ويشغل نفسه الشريفة بهن، ليبقى له نوع التفات إلى الدنيا، ولا يؤدي به كثرة الاستغراق إلى مفارقة الروح عن البدن، ولذا إذا غشيتة كثرة الاستغراق وخاض في غمرات الحب والإنس، يضرب يده على فخذ عائشة ويقول (ص): " كلميني واشغليني يا حميراء! " وهي تشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قلبه عنه.

ثم لما كانت جبلته الأنس بالله، وكان أنسه بالخلق عارضاً يتكلفه رفقاً ببذنه، فإذا طالت مجالسته معهم لم يطق الصبر معهم وضاق صدره فيقول: " أرحنا يا بلال! "، وحتى يعود إلى ما هو قرّة

٤ [4] الفلق، الآية: ٣.

٥ [5] في إحياء العلوم - ٣: ٨٦ إن هذا الكلام من قول سعيد بن المسيب لا من كلام النبي (ص).

عينه. فالضعيف إذا لا حظ أحواله فهو معذور، لأن الإفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله<sup>٦</sup>[6].

ثم علاج إفراط هذه الشهوة - بعد تذكر مفسدها المذكورة - كسرها بالجوع، وسد الطرق المؤدية إليها: من التخييل والنظر والتكلم والخلوة، فإن أقوى الأسباب المهيجة لها هو النظر والخلوة، ولذا قال الله تعالى:

" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم "٧[7]

وقال النبي (ص): " النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه ". وقال (ص): " لكل عضو من أعضاء ابن آدم حظ من الزنا، فالعينان تزنيان وزناهما النظر "، وقال (ص): " لا تدخلوا على المغيبات - أي التي غاب عنها زوجها - فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم ". وقال عيسى بن مريم - عليهما السلام -: " إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب شهوة، وكفى بها فتنة ". وقيل ليحيى بن زكريا: ما بدء الزنا؟ قال: " النظرة والتمني ". وقال داود (ع) لابنه: " بابني! امش خلف الأسد (و) الأسود ولا تمش خلف المرأة ". وقال إبليس: " النظرة قوسي وسهمي الذي لا اخطيء به ".

ولكون النظر مهيجاً للشهوة، حرم في الشريعة نظر كل من الرجل والمرأة إلى الآخر، وكذا حرم استماع كل منهما لكلام الآخر، إلا مع الضرورة وعموم الحاجة، وكذا حرم نظر الرجال إلى المرد من الصبيان إذا كان مورثاً للفتنة، ولذا كان كبراء الأخيار وعظماء الأبرار في الإعصار والأمصار محترزين عن النظر إلى وجوه الصبيان، حتى قال بعضهم " ما أنا بأخوف على الشباب الناسك من سبع ضار كخوفي عليه من غلام أمرد يجلس إليه ".

٦ [6] هذا الكلام كله عن تعليل كثرة طروق النبي (ص) مأخوذ من كلام الغزالي في إحياء العلوم - ٣: ٨٧ - .

٧ [7] النور، الآية: ٣٠.

ثم إن لم تنقم الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر، فينبغي كسرها بالنكاح، بشرط الاستطاعة والأمن من غوائله. قال رسول الله (ص): " معاشر الشباب! عليكم بالباءة، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء ". وقال رسول الله (ص): " إن المرأة إذا أقبلت بأقبح صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها ".  
(وثانيهما) - أي ثاني جنسي ردائل قوة الشهوة -:

### الخمود

وهو التفريط في كسب ضروري القوت، والفتور عما ينبغي من شهوة النكاح، بحيث يؤدي إلى سقوط القوة وتضييع العيال وانقطاع النسل ولا ريب في كون ذلك مذموماً غير مستحسن في الشرع، إذ تحصيل المعارف الإلهية واكتساب الفضائل الخلقية والعبادات البدنية موقوف على قوة البدن، فالتفريط في إيصال بدل ما يتحلل إلى البدن يوجب الحرمان عن تحصيل السعادات. وهو غاية الخسران. وكذا إهمال قوة شهوة النكاح يوجب الحرمان عن الفوائد المترتبة عليها، فإن هذه القوة إنما سلطت على الإنسان لبقاء النسل ودوام الوجود، ولأن يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة، فإن لذة الواقع لو دامت لكانت أقوى اللذات الجسمانية، كما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانية، فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق إلى سعاداتهم، وليس ذلك إلا بلذة مدركة وألم محسوس مشابهين للذات والآلام الأخروية.

ولبقاء النسل فوائد: موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء نوع الإنسان، وعدم قطعه السلسلة التي وصلت إليه من مبدأ النوع، وطلب محبة رسول الله (ص) في تكثير من به مباهاته، وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده، وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله، كما استفاضت به الأخبار.

ومن فوائد النكاح: كسر التوقان والتحرز من الشيطان، بغض البصر وحفظ الفرج وقطع الوسواس وخطرات الشهوة من القلب، واليه الإشارة بقوله (ص): " من تزوج فقد أحرز نصف دينه".

ومن فوائد النكاح: تفرغ القلب عن تدبير المنزل، والتكفل بشغل الطبخ والفرش والكنس، وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة، فإن الفراغ عن ذلك أعون شيء على تحصيل العلم والعمل، ولذا قال النبي (ص): " يتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة صالحه تعينه على آخرته ".  
ومنها: مجاهدة النفس ورياضتها بالسعي في حوائج الأهل والعيال، والاجتهاد في إصلاحهم وارشادهم إلى طريق الدين، وفي تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبة، والقيام بتربية الأولاد، والصبر على أخلاق النساء، وكل ذلك من الفضائل العظيمة، ولذا قال رسول الله (ص): " الكاد في نفقة عياله كالمجاهد في سبيل الله ". وقال (ص): " من حسنت صلاته، وكثر عياله وقل ماله، ولم يغترب المسلمين: كان معي في الجنة كهاتين ". وقال (ص): " من الذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة ". وقال (ص): " من كانت له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله تعالى له الجنة ".

ولا ريب في أن الخمود عن الشهوة يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكورة فهو مرجوح.

ثم لما كان للنكاح آفات أيضاً، كالاتياج إلى المال وصعوبة تحصيل الحلال منه - لا سيما في أمثال زماننا - والعجز عن القيام بحقوق النسوان، والصبر على أخلاقهن، واحتمال الأذى منهن، وتفرق خاطر لأجل القيام بتدبير المعيشة وتهيئة ما يحتاجون إليه، وتأدية ذلك غالباً إلى ما لا ينبغي من الانغمار في الدنيا والغفلة عن الله - سبحانه - و عما خلق لأجله، فاللائق أن يلاحظ في كل شخص أن الراجح في حقه ماذا؟ - بعد ملاحظة الفوائد والمفاسد - فيأخذ به.

## فصل

### العفة

قد عرفت أن ضد الجنسين (العفة)، وهو انقياد قوة الشهوة للعقل في الإقدام على ما يأمرها به من المأكل والمنكح كما وكيفاً، والاجتناب عما ينهاها عنه، وهو الاعتدال الممدوح عقلاً وشرعاً، وطرفاه من الإفراط والتفريط مذمومان، فإن المطلوب في جميع الأخلاق والأحوال هو الوسط، إذ خير

الأمر أوساطها. وكلا طرفيها ذميم، فلا تظنن مما ورد في فضيلة الجوع أن الإفراط فيه ممدوح، فان الأمر ليس كذلك، بل من أسرار حكمة الشريعة أن كلما يطلب الطبع فيه طرف الإفراط بالغ الشرع في المنع عنه على وجه يتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفريط، والعالم يدرك أن المقصود هو الوسط، فان الطبع إذا طلب غاية الشبع، فالشرع ينبغي أن يطلب غاية الجوع، حتى يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً، فيتقاومان ويحصل الاعتدال. ولما بالغ النبي (ص) في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم علم من حال بعضهم أنه يقوم الليل كله ويصوم الدهر كله، فنهى عنه. والأخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة، قال أمير المؤمنين (ع): "أفضل العبادة العفاف". وقال الباقر (ع): "ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج". وقال (ع): "ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج" وقال (ع): "أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج". وفي معناها أخبار أخر.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أن الاعتدال في الأكل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا بألم الجوع، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلاً، فان المقصود من الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة، وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلاً معتدلاً بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر، ليكون متشبهاً بالملائكة المقدمين عن ثقل الطعام. وألم الجوع، واليه الإشارة بقوله تعالى:

" واكلوا واشربوا ولا تسرفوا " [8]

وهذا يختلف بالنسبة إلى الأشخاص والأحوال والأغذية، والمعيار فيه ألا يأكل طعاماً حتى يشتهي، ويرفع يده عنه وهو يشتهي: وينبغي ألا يكون غرضه من الأكل التلذذ، بل حفظ القوة على تحصيل ما خلق لاجله، فيقتصر من أنواع الطعام على خبز البر في بعض الأوقات، وعلى خبز الشعير في بعضها، ولو ضم إليه الأدام فيكتفي بأدام واحد في بعض الأحيان، ولا يواظب على اللحم، ولا يتركه بالمرّة، قال أمير المؤمنين (ع): "من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه، ومن داوم عليه أربعين يوماً قسى قلبه".



الاعتدال في الشهوة  
حب الدنيا  
لابد للمؤمن مكسب  
الدنيا المذمومة هي الهوى

(الاعتدال في الشهوة)

والاعتدال أن يكتفي في اليوم بليلته بأكلة واحدة في وقت السحر، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاة العشاء، أو باكيتين: التغدي والتعشي - إن لم يقدر على الاكتفاء بمرة واحدة - وقد استفاضت أخبار أئمتنا الراشدين - عليهم السلام - بالحث على التعشي.

ثم للعرفاء ترغيبات وتصريحات على كثرة فوائده، وعلى توقف كشف الأسرار الإلهية والوصول إلى المراتب العظيمة عليه، ولهم حكايات في إمكان الصبر عليه، وعلى عدم الأكل شهراً أو شهرين أو سنة ونقلوا حصوله عن بعضهم، وهذا أمر وراء ما وردت به السنة وكلفت به عموم الأمة، فإن كان ممدوحاً فإنما هو لقوم مخصوصين.

وأما الجماع، فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على ما لا ينقطع عن النسل ويحصل له التحصن، وتزول به خطرات الشهوة، ولا يؤدي إلى ضعف البدن والقوى.

وأما غير الجنسين من الأنواع والنتائج والآثار المتعلقة بالقوة الشهوية - وإن كان بعضها أعم الجنسين أو مساويا لهما -:

فمنها:

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهية في نفسها وماهية في حق العبد، أما ماهية الدنيا وحقيقتها في نفسها، فعبارة عن أعيان موجودة: هي الأرض وما عليها والأرض هي العقار والضياع وأمثالهما، وما عليها تجمعها المعادن والنبات والحيوان، والمعادن تطلب لكونها إما من الآلات والزينة كالنحاس



والرصاص والجواهر وأمثالها، أو من النقود كالذهب والفضة، والنبات يطلب لكونه من الأقوات أو الادوية، والحيوانات تطلب إما لملكية ابدانها واستخدامها كالعبيد والغلمان أو لملكية قلوبها وتسخيرها ليترتب عليه التعظيم والاكرام وهو الجاه، أو للتمتع والتلذذ بها كالجواني والنسوان، أو للقوة والاعتضاد كالأولاد. هذه هي الاعيان المعبر عنها بالدنيا، وقد جمعها الله سبحانه في قوله:

" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا " [1].

وحب جميع ذلك من رذائل قوة الشهوة، إلا حب تسخير القلوب لقصد الغلبة والاستيلاء، فانه من رذائل قوة الغضب - كما تقدم - وبذلك يظهر أن حب الدنيا المتعلق بقوة الشهوة أعم من الشره باول تفسيريه - كما أشير إليه -.

وأما ماهيتها في حق العبد، فعبرة عن جميع ماله قبل الموت، كما أن بعد الموت عبارة عن الآخرة، فكل ما للعبد فيه نصيب وشهوة وحظ وغرض ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا

في حقه، وللعبد فيه علاقتان، علاقة بالقلب: وهو حبه له، وعلاقة بالبدن: وهو اشغاله باصلاحه، ليستوفى منه حظوظه. إلا أن جميع ماله إليه ميل ورغبة ليس بمذموم، وذلك لأن ما يصحبه في الدنيا وتبقى ثمرته معه بعد الموت - أعني العلم النافع والعمل الصالح - فهو من الآخرة في الحقيقة، وانما سمي بالدنيا باعتبار دنوه، فان كلا من العالم والعابد قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون ذلك أذ الاشياء عنده، فهو وان كان حظاً عاجلاً له في الدنيا إلا أنه ليس من الدنيا المذمومة، بل هو من الآخرة في الحقيقة، وان عد من الدنيا من حيث دخوله في الحس والشهادة، فان كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الشهادة - أعني الدنيا - ولذا جعل نبينا (ص) الصلاة من الدنيا، حيث قال: " حُب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وقرّة عيني في الصلاة " مع أنها من أعمال الآخرة.

فالدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل، لا يكون من أعمال الآخرة ولا وسيلة إليها، وما هو إلا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل.

وأما قدر الضرورة من الرزق، فتحصيله من الأعمال الصالحة - كما نطقت به الأحبار - قال رسول الله - (ص): العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال ". وقال (ص): ملعون من ألقى كله على الناس ::. وقال السجاد (ع): " الدنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة ". وقال الباقر (ع): " من طلب الدنيا استغافاً عن الناس، وسعيّاً على أهله، وتعطفاً على جاره، لقي الله - عز وجل - يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ". وقال الصادق (ع): " الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله ". وقال (ع): " إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق ". وقال (ع): " ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ". وقال (ع): " لا تكسلوا في طلب معاشكم، فان آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها ". وقال له (ع) رجل: " انا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها، فقال: تحب أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي وعيالي، وأصل بها وأتصدق، وأحج وأعتمر، فقال أبو عبدالله (ع): ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة ". وكان أبو الحسن (ع) يعمل في أرض قد استنقعت قدماء في العرق، فقيل له: " جعلت فداك! أين الرجال؟ فقال: وقد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي، فقيل: ومن هو؟ فقال: رسول الله (ص) وأمير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا

قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين"، وقد ورد بهذه المضامين أخبار كثيرة آخر مشهورة.

### تذنيب

#### (لابد للمؤمن من مكسب)

قد ظهر من هذه الأخبار أن الراجح - بل اللازم - لكل مؤمن أن يكون له مكسب طيب يحصل منه ما يحتاج إليه من الرزق وغيره من المخارج المحمودة، وقد صرح بذلك في أخبار كثيرة آخر، قال أمير المؤمنين (ع): "أوحى الله - عز وجل - إلى داود (ع): إنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود أربعين صباحاً، فأوحى الله - عز وجل - إلى الحديد أن لن لعبدي داود فالان الله له الحديد، وكان يعمل كل يوم درعاً فبييعها بألف درهم، فعمل ثلثمائة وستين درعاً فباعها بثلثمائة وستين الفاً، واستغنى عن بيت المال". وقال الصادق (ع): من احبنا أهل البيت فليأخذ من الفقر جلباباً أو تجفافاً"، والجلباب: كناية عن الستر على فقره،

والتجفاف<sup>٢</sup>[2]: كناية عن كسب طيب يدفع فقره. وقيل له في رجل قال: لأفعدن في بيتي،

ولأصومن، ولأعبدن ربي، فأما رزقي فسيأتيني: قال أبو عبدالله " هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم ".

وهذا - أي ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفها في المخارج المحمودة - هو الحرية بأحد المعنيين، إذ للحرية اطلاقان: (أحدهما) ذلك، وهو الحرية بالمعنى الأخص، (وثانيهما) التخلص عن أسر الهوى وعبودية القوة الشهوية، وهو الحرية بالمعنى الأعم المرادفة، وضده الرقية بالمعنى الأعم الذي هو طاعة قوة الشهوة ومتابعة الهوى.

و ضد الأول - أعني الرقية بالمعنى الأخص - هو افتقاره إلى الناس فيما يحتاج إليه من الرزق، والقاء نظره إلى أيديهم، وحوالة رزقه على أموالهم، إما على وجه محرم، كالغصب والنهب والسرقة وأنواع الخيانات أو غير محرم، كأخذ وجوه الصدقات وأوساخ الناس، بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل يده يداً سفلى ويدهم يداً عليا. ولا ريب في كون الرقية بهذا المعنى مذمومة، إذ (الوجه الأول) محرم في الشريعة وموجب للهلاك الأبدي، و(الوجه الثاني) وإن لم يكن محرماً إذا كان فقيراً مستحقاً، إلا أنه لأجابه التوقع من الناس وكون نظره إليهم يقتضي المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم، وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكل عليه، وينجر ذلك إلى سلب التوكل على الله بالكلية، وترجيح المخلوق على الخالق، وهذا ينافي مقتضى الإيمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه

## فصل

### (الدنيا المذمومة هي الهوى)

قد ظهر مما ذكر: أن الدنيا المذمومة حظ نفسك الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة، ويعبر عنه بالهوى، واليه أشار قوله تعالى:

" ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى " [3].

ومجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى:

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد "؛ [4].



والأعيان التي تحصل منها هذه الأمور هي المذكورة في قوله سبحانه:



" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب " [5].

فهذه أعيان الدنيا، وللعبد معها علاقتان:

(علاقة مع القلب): وهي حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بها، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا: كالرياء، والسمعة، وسوء الظن، والمداهنة والحسد، والحقد، والغل، والكبر، وحب المدح، والتفاخر والتكاثف. فهذه هي الدنيا الباطنة، والظاهرة هي الأعيان المذكورة.

(علاقة مع البدن): وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره، وهذا الاشتغال عبارة عن الصناعات والحرف التي اشتغل الناس بها، بحيث أنستهم أنفسهم وخالقهم وأغفلتهم عما خلقوا لأجله، ولو عرفوا سبب الحاجة إليها واقتصروا على قدر الضرورة، لم يستغرقهم اشتغال الدنيا والانهماك فيها، ولما جهلوا بالدنيا وحكمتها وحظهم منها لم يقتصروا إلا



على قدر الاحتياج، فأوقعوا انفسهم في اشغالها، وتتابعت هذه الأشغال واتصلت بعضها ببعض،

وتداعت إلى غير نهاية محدودة، فغفلوا عن مقصودها، وتاهوا في كثرة الأشغال. فان أمور الدنيا لا

يفتح منها باب إلا وتتفتح لأجله عشرة أبواب آخر، وهكذا يتداعى إلى غير حد محصور، وكأنها

هاوية لانهاية لعمقها، ومن وقع في مهواة منها سقط منها إلى اخرى.... وهكذا على التوالي. ألا

ترى أن ما يضطر إليه الإنسان بالذات منحصر بالمأكل والملبس والمسكن؟ ولذلك حدثت الحاجة

إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات: الفلاحة، والرعاية للمواشي، والحياكة والبناء

والاقتناص - أي تحصيل ما خلق الله من الصيد والمعادن والحشائش والأحطاب - وتترتب على كل

من هذه الصناعات صناعات آخر، وهكذا إلى أن حدثت جميع الصناعات التي نراها في العالم، وما



من أحد إلا وهو مشتغل بواحدة منها أو أكثر، إلا أهل البطالة والكسالة، حيث غفلوا عن الاشتغال

في أول الصبأ، أو منعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم، حتى نشأوا بلا شغل واكتساب،

فاضطروا إلى الأخذ مما يسعى فيه غيرهم، ولذلك حدثت حرقتان خبيثتان هي (الصوصية)

و(الكدية)٦[6] ولكل واحد منهما أنواع غير محصورة لا تخفى على المتأمل.

---

---

فصل

(ذم الدنيا وأنها عدوة الله والإنسان)

اعلم أن الدنيا عدوة لله ولأوليائه ولاعدائه: أما عداوتها لله، فأنها قطعت الطريق على العبادة، ولذلك لم ينظر إليها مذ خلقها، كما ورد في الأخبار<sup>[1]</sup> وأما عداوتها لأوليائه وأحبائه، فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها، حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها. وأما عداوتها لاعدائه، فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها وحبائلها حتى وثقوا بها وعولوا عليها، فاجتنبوا منها حيرة وندامة تنقطع دونها الأكباد، ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد، فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون، بل يقال لهم:

" اخسؤا فيها ولا تكلمون " <sup>[2]</sup>. " أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم

العذاب ولا هم ينصرون " <sup>[3]</sup>.

والآيات الواردة في ذم الدنيا وحبها كثيرة، واكثر القرآن مشتمل على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة، بل هو المقصود من بعثة الأنبياء، فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها. فلنشر إلى نبذة من الأخبار الواردة في ذم الدنيا وحبها وفي سرعة زوالها، قال رسول الله

١ [1]سيأتي الخبر بهذا المعنى - ص٢٦ - وهو عامى.

٢ [2]المؤمنون، الآية: ١٠٩.

٣ [3]البقرة، الآية: ٨٦.

(ص): " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ". وقال رسول الله (ص): " الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها " وقال (ص): " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " وقال (ص): " من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، وألزم الله قلبه أربع خصال: همماً لا ينقطع عنه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً وفقراً لا ينال غناه أبداً. وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً، وقال (ص): " يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ".

وقال (ص): " لتأتينكم بعدي دنياً تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ". وقال: " ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأبقيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت؟ ". وقال: " أوحى الله - تعالى - إلى موسى: لا تركزن إلى حب الدنيا، فلن تأتيك بكبيرة هي أشد عليك منها ". وقال (ص): " حب الدنيا رأس كل خطيئة ". وقال (ص): " من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ". ومر (ص): على مزبلة، فوقف عليها وقال: " هلموا إلى الدنيا! " وأخذ خرقة قد بليت على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت، فقال: " هذه الدنيا! " وقال (ص): " إن الله لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا، وإنه لم ينظر إليها منذ خلقها ". وقال (ص): " الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادى من لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له ". وقال (ص): " لما هبط آدم من الجنة إلى الأرض قال له: إن للخراب ولد للفناء ". وقال (ص): " لتحيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة. فيؤمر بهم إلى النار "، فقيل: يا رسول الله! أمصلين؟ قال: نعم، كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيئة من الليل، فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه ".

وقال (ص): " هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً؟ ألا إنه من رغب في الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر ذلك، ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية ". وقال (ص): " فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم " وقال: " أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض "، فقيل: ما بركات الأرض؟ قال: " زهرة الدنيا ". وقال (ص): " دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر ". وقال (ص): " سيأتي قوم بعدي يأكلون أطيب الطعام وأنواعها،

وينكحون أجمل النساء وألوانها، ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون أقوى الخيل وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع، وأنفس بالكثير لا تقنع، عاكفين على الدنيا، يغدون ويروحون إليها، اتخذوها آلهة دون إلههم ورباً دون ربهم إلى أمرهم ينتهون وهواهم يلعبون، فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أبداً لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازهم ولا يوقر كبيرهم ومن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام". وقال (ص): " مالي وللدنيا وما انا والدنيا؟! إنما مثلى ومثلها كمثل راكب سار في يوم صائف، فرفعت له شجرة، فقال تحت ظلها ساعة، ثم راح وتركها " قال (ص): " احذروا الدنيا، فانها أسحر من هاروت وماروت". وقال (ص): " حق على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه". وقال عيسى بن مريم (ع) " ويل لصاحب الدنيا! كيف يموت ويتركها، ويأمنها وتغره، ويثق بها وتخذله، ويل للمغترين! كيف ألزمهم ما يكرهون، وفارقهم ما يحبون، وجاءهم ما يوعدون، ويل لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله! كيف يفتضح غداً بذنبه". وقال (ع): " من ذا الذي يبني على أمواج البحر داراً تلکم الدنيا، فلا تتخذوا قراراً ". وقال (ع) " لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ". وأوحى الله - تعالى - إلى موسى: " يا موسى! مالك ولدان الظالمين! إنها ليست لك بدار، اخرج منها همك وفاقها بعقلك فبئست الدار هي، إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي، يا موسى! إنى مرصد للظالم حتى أخذ منه للمظلوم ". وأوحى إليه: " يا موسى! لا تركزن إلى حب الدنيا، فلن تأتيين بكبيرة هي أشد منها ". ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي، ورجع وهو يبكي، فقال موسى: " يا رب عبدك يبكي من مخافتك "، فقال تعالى: " يا بن عمران! لو نزل دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا!".

وقال أمير المؤمنين (ع) بعد ما قيل له صف لنا الدنيا: " وما أصف لك من دار من صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب ". وقال (ع): " إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما الين مسها وفي جوفها السم الناقع، يحذرها الرجل العاقل ويهوى إليها الصبي الجاهل ". وقال وصف الدنيا: " ما أصف من دار اولها عناء وآخرها فناء، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها



حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها آتته، ومن بصر بها بصرتة، ومن ابصر إليها عمته "،  
وقال (ع) في بعض مواضعه: " ارفض الدنيا، فان حب الدنيا يعمي ويصم ويذل الرقاب،  
فتندارك ما بقي من عمرك، ولا تقل غداً وبعد، فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الأمانى  
والتسوية، حتى اتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة،  
وقد اسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى الله بقلب منيب. من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار  
ولا انخزال ". وقال (ع): " لا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء محفوفة، وبالنفاء معروفة،  
وبالغدر موصوفة، فكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم  
من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة،  
وتارات متصرمة، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة،  
ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها، واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من  
قد مضى، ممن كان أطول منكم اعماراً، واشد منكم بطشاً، واعمر دياراً وأبعد آثاراً، فأصبحت  
أصواتهم هامة خامدة من بعد طول تقلبها، وأجسادهم بالية، وديارهم على عروشها خاوية، وآثارهم  
عافية، استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور  
اللاطئة الملحدة فمحلها مقرب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين،  
لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران الاخوان، على ما بينهم من قرب الجوار  
ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل، وقد طحنهم بكلكلة البلاء، وأكلتهم الجنادل والثرى  
واصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد نضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب  
وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات!

" كلاً إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون " [4].

فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى، وارتهنتم في ذلك المضجع،  
وضمكم ذلك المستودع، وكيف بكم لو عاينتم الأمور، وبعثرت القبور، وحصل ما في الصدور،  
واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم  
الحجب والأستار، فظهرت منكم العيوب والأسرار، هالك.

" تجزى كل نفس بما كسبت " [5].

وقال أيضاً - عليه السلام - في بعض خطبه: " أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم، وإن  
كنتم لا تحبون تركها، المبلىة أجسامكم وانتم تريدون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر  
سلكوا طريقاً وكانهم قد قطعوه، وافضوا إلى علم، فكانهم قد بلغوه، وكم عسى أن يجري المجرى  
حتى ينتهي إلى الغاية، وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها،  
فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع، ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال، عجبت  
لطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه " .

وقال السجاد (ع): " إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما  
بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا  
الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً،  
وقرضوا من الدنيا تقريضاً، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع  
عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في  
الجنة مخليين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة، أنفسهم  
عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة، فصاروا بعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافون  
أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، وهم يجأرون إلى ربهم، يسعون في فكاك رقابهم، وأما  
النهار فحلماة علماء بررة أتقياء كأنهم القداح، قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر  
فيقول مرضى، وما بالقوم من مرض، أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها

" وقال (ع): ما من عمل بعد معرفة الله - عز وجل - ومعرفة رسوله (ص) أفضل من بغض الدنيا، فان لذلك لشعباً كثيرة، وللمعاصي شعباً فأول ما عصى الله به الكبر معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين ثم الحرص، وهي معصية آدم وحواء حين قال الله - عز وجل - لهما:

" فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " [6].

فاخذوا مالا حاجة بهما إليه، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك إن أكثر ما يطلب ابن آدم مالا حاجة به إليه. ثم الحسد، وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا. فقال الأنبياء والعلماء - بعد معرفة ذلك: - حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياآن: دنيا بلاغ ودنيا معلونة ". وقال الباقر (ع) لجابر: " يا جابر! إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر! ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا؟! هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؟ يا جابر! إن المؤمنين لم يطمأنوا إلى الدنيا ببقائهم فيها، ولم يامنوا قدومهم الآخرة. يا جابر! الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة، وكان المؤمنون هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة، لم يصمهم عن ذكر الله - جل اسمه - ما سمعوا بأذانهم، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم " [7] وقال الصادق (ع): " مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله ". وقال: فيما ناجى الله - عز وجل - به موسى: " يا موسى! لا تركز إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأما يا موسى! لو وكلتك إلى نفسك لتنتظر لها إذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى! ناس في الخير أهله واستبقهم إليه، فان الخير

٦ [6] الأعراف، الآية: ١٩.

٧ [7] صححنا الحديث على الكافي في باب ذم الدنيا، وصدر الحديث هكذا: " قال جابر: دخلت على أبي جعفر (ع) فقال: يا جابر! والله لمحزون! واني لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك! وما شغلك وما حزن قلبك... " إلى آخر الحديث.

كاسمه، واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنتظر عينك إلى كل مفتون بها وموكل إلى نفسه،  
واعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا، ولا تغبط أحداً بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب  
لواجب الحقوق ولا تغبطن أحداً برضى الناس عنه. حتى تعلم أن الله راض عنه، ولا تغبطن مخلوقاً  
بطاعة الناس له، فان طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه " وأوحى الله  
- تعالى - إلى موسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: " لو شئت أن أزيكما بزينة من الدنيا،  
يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكنى أرب لكما عن ذلك وازوى  
ذلك عنكما وكذلك افعل بأوليائي، إني لازويهم عن نعيمها، كما يزوى الراعي الشفيق غنمه عن  
مواقع الهلكة، وإني لاجنبهم عيش سلوتها، كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مواقع الغرة، وما ذلك  
لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالمًا موفراً، إنما يتزين لي أوليائي: بالذل  
والخشوع والخوف والتقوى". وقال الكاظم (ع): " قال أبو ذر - رحمه الله -: جزى الله الدنيا عن  
مزمة بقدر رغيفين من الشعير، اتغذى بأحدهما وأتغشى بالآخر، وبعد شملتي الصوف، انزر  
بإحداهما واتردى بالأخرى ". وقال لقمان لابنه: " يا بني! بع دنياك باخرتك تربحهما جميعاً، ولا  
تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً. وقال له: " يا بني! إن الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها ناس  
كثير، فلتنك سفينتك فيها تقوى الله - عز وجل - وحشوها بالإيمان، وشرعها التوكل على الله، لعلك  
ناج وما أراك ناجياً ". وقال: " يا بني! إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق  
من جمعوا له، وانما أنت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه أجراً، فاوف عملك واستوف  
أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمتت، فكان حنقها  
عند سمتها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها، ولم ترجع إليها آخر  
الدهر، أخرج بها ولا تعمر، فانك لم تؤمر بعمارتها، واعلم أنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله -  
عز وجل - عن أربع: شبابك فيما أبليت، وعمرك فيما أفنيته، ومالك مما اكتسبته، وفيما أنفقت،  
فتأهب لذلك، وأعد له جواباً، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا. فان قليل الدنيا لا يدوم بقاءه، وكثيرها  
لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرک وجد في أمرک، واكشف الغطاء عن وجهک، وتعرض لمعروف ربک،  
وجدد التوبة في قلبک، واكمش في فراغک قبل أن يقصد قصدک، ويقضى قضاؤک، ويحال بينک  
وبين ما تريد ".

وقال بعض الحكماء: " الدنيا دار خراب، واخرب منها قلب من يعمرها. والجنة دار عمران، وأعمر منها قلب من يعمرها ". وقال بعضهم: " الدنيا لمن تركها، والآخرة لمن طلبها ". وقال بعضهم: " إنك لن تصبح في شئ من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك، ويكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك نفسك في أكلة، وصم الدنيا، وافطر على الآخرة، فان رأس مال الدنيا الهوى، وربحها النار ". وقال بعض أكابر الزهاد: " الدنيا تخلق الأبدان وتجدد الآمال، وتقرب المنية، وتبعد الأمنية، ومن ظفر بها تعب، ومن فاتته نصب"، وقال بعضهم: " ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد التزق به شيء يسؤك ". وقال آخر: " لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: إنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه " وقال حكيم: كانت الدنيا ولم اكن فيها، وتذهب ولا أكون فيها، فكيف اسكن إليها؟ فان عيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية ". وقال بعض العرفاء: " الدنيا حانوت الشيطان، فلا تسرق من حانوته شيئاً، فيجئ في طلبك ويأخذك ". وقال بعضهم: " لو كانت الدنيا من ذهب يبنى والآخرة من خزف يبقى، لكان ينبغي أن يختار العاقل خزفاً يبقى على ذهب يبنى، فكيف والآخرة ذهب يبقى والدنيا أدون من خزف يبنى؟ " وقد ورد: " أن العبد إذا كان معظماً للدنيا، يوقف يوم القيامة، ويقال: هذا عظم ما حقره الله ". وروى: " أنه لما بعث النبي (ص) - أنت إبليس جنوده، فقالوا: قد بعث نبي وأخرجت أمة، قال: يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم! قال: إن كانوا يحبونها ما ابالي ألا يعبدوا الأوثان، وأنا اغدو عليهم واروح بثلاثة: أخذ المال من غير حقه، وانفاقه في غير حقه، وامساكه عن حقه، والشر كله لهذا تبع ". وروى: " انه أوحى الله تعالى إلى بعض انبيائه احذر مقتك، فتسقط من عيني، فاصب عليك الدنيا صبا ". وقال بعض الصحابة: " ما اصبح أحد من الناس في الدنيا إلا وهو ضيف، وماله عارية. فالضيف مرتحل، والعارية مردودة ". وقال بعضهم: " إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء المؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع ". وقيل: " من أقبل على الدنيا احرقته نيرانها حتى يصير رماداً، ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها، ومن أقبل على الله سبحانه، احرقته نيران التوحيد، فصار جوهراً لا حد لقيمته ". وقيل أيضاً: " العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه ".

وسأل بعض الامراء رجلا بلغ عمره مائتي سنة عن الدنيا، فقال: " سنيات بلاء وسنيات رخاء، يوم فيوم، وليلة فليلة، يولد ولد، ويهلك هالك، فلولا المولود باد الخلق، ولولا الهالك لصاقت الدنيا بمن فيها "، فقال له الأمير: سل ما شئت، قال: " اريد منك أن ترد علي ما مضى من عمري، وتدفع عني ما حضر من أجلي "، قال: لا أملك ذلك، قال: " فلا حاجة لي إليك " .

والأخبار والآثار في ذم الدنيا وحبها، وفي سرعة زوالها وعدم الاعتبار بها، وفي هلاك من يطلبها ويرغب إليها، وفي ضديتها للآخرة، أكثر من أن تحصى. وما ورد في ذلك من كلام أئمتنا الراشدين، (لا) سيما عن مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين - فيه بلاغ لقوم زاهدين. ومن تأمل في خطب علي (ع) ومواعظه كما في نهج البلاغة وغيره - يظهر له خساسة الدنيا وذرالتها. وقضية السؤال والجواب بين روح الأمين ونوح في كيفية سرعة زوال الدنيا مشهورة، وحكاية مرور روح الله على قرية هلك أهلها من حب الدنيا معروفة<sup>8</sup> [8] ولعظم آفة الدنيا وحقارتها ومهانيتها عند الله، لم يرضها لأحد من أوليائه وحذرهم عن غوائلها، فتزهدوا فيها وأكلوا منها قصداً، وقدموا فضلاً أخذوا منها ما يكفي، وتركوا ما يلهي، لبسوا من الثياب ما ستر العورة، وأكلوا من الطعام ما سد الجوع، نظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية، وإلى الآخرة أنها باقية، فتزودوا منها كزاد الراكب، فخرّبوا الدنيا وعمروا بها الآخرة، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها باعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بآبدانهم صبروا قليلاً ونعموا طويلاً.

## فصل

### (خسائس صفات الدنيا)

٨ [8] ذكرها (الكافي) عن أبي عبد الله الصادق (ع) في باب حب الدنيا بتمامها.

اعلم أن للدنيا صفات خسيصة قد مثلت في كل صفة بما تماثله فيها فمثالها في سرعة الفناء والزوال وعدم الثبات: مثل النبات الذي اختلط به ماء السماء فاخضر، ثم اصبح هشيمًا تذروه الرياح، أو كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه، أو كقنطرة تعبر عنها ولا تمكث عليها. وفي كونها مجرد الوهم والخيال، وكونها مما لا أصل لها ولا حقيقة، كفىء الظلال، أو خيالات المنام وأضغاث الأحلام، فإنك قد تجد في منامك ما تهواه، فإذا استيقظت ليس معك منه شيء.

وفي عداوتها لأهلها واهلاكها إياهم: بامرأة تزينت للخطاب، حتى إذا نكحتهم ذبحتهم. فقد روى " أن عيسى (ع) كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة، فقال لها، كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم، قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتل، فقال عيسى (ع): بؤساً لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضي؟ كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونوا منك على حذر؟! ".

وفي مخالفة باطنها لظاهرها: كعجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها. فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها، ظهرت لهم قبائحها روى: " انه يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، انيابها بادية، مشوه خلقها، فتشرف على الخلائق، ويقال لهم: تعرفون هذه فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه! فيقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها، وبها تقاطعتم الارحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغررتم، ثم يقذف بها في جهنم، فتنادى: أي رب! أين اتباعي واشياعي؟ فيقول الله - عز وجل - : ألحقوا بها اتباعها واشياعها ".

وفي قصر عمرها لكل شخص بالنسبة إلى ما تقدمه من الأزل وما يتأخر عنه من الأبد: كمثل خطوة واحدة، بل أقل من ذلك، بالنسبة إلى سفر طويل، بل بالنسبة إلى كل مسافة الأرض اضعافاً غير متناهية، ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يبالي كيف انقضت أيامه في ضيق وضر أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة على لبنة. توفي سيد الرسل (ص) وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبه على قصبه. ورأى بعض أصحابه يبني بيتاً من جص، فقال: " أرى الأمر اعجل من هذا ". والى هذا أشار عيسى (ع) حيث قال: " الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها ".

وفي نعومة ظاهرها وخسونة باطنها: مثل الحية التي يلين مسها ويقتل سمها.

وفي قلة ما بقى منها بالاضافة إلى ما سبق: مثل ثوب شق من أوله إلى آخره، فبقى متعلقاً في آخره، فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع.

وفي قلة نسبتها إلى الآخرة: كمثل ما يجعل احد اصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع إليه من الأصل. وفي تأديه علائقها بعض إلى بعض حتى ينجر إلى الهلاك: كماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله.

وفي تأديه الحرص عليها إلى الهلاك غمماً: كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمماً.

وفي تعذر الخلاص من تبعاتها واستحالة عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فيها: كالماشى في الماء، فإنه يمتنع ألا تبتل قدماه.

وفي نضارة أولها وخبائة عاقبتها: كالأطعمة التي تؤكل، فكما أن الطعام كلما كان الذ طعماً واكثر دسومة كان رجيعة اقذر واشد نتناً، فكذلك كل شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب اشهى واقوى، فنتنها وكرهيتها والتأذى بها عند الموت أشد، وهذا مشاهد في الدنيا. فان المصيبة والألم والتفجع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه عليه وحبه له، ولذا ترى أن من نهبت داره واخذت اهله واولاده، يكون تفجعه وألمهم أشد مما إذا اخذ عبد من عبيده، فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ، فهو عند الفقد أدهى وأمر، وما للموت معنى إلا فقد ما في الدنيا.

وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها: مثل طبق ذهب عليه يخور ورياحين، في دار رجل هياه فيها، ودعا الناس على الترتيب واحداً بعد واحد ليدخلوا داره، ويشمه كل واحد وينظر إليه، ثم يتركه لمن يلحقه، لا ليتملكه ويأخذه، فدخل واحد وجهل رسمه، فظن أنه قد وهب ذلك له، فتعلق به قلبه، لما ظن أنه له، فلما استرجع منه ضجر وتألم، ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر. فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا، علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لينتفعوا بما فيها، كما ينتفع المسافر بالعواري، ثم يتركوها ويتوجهوا إلى مقصدهم من



دون صرف قلوبهم إليها، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها، ومن جهل سنه الله فيها، ظن أنها مملوكة له، فيتعلق بها قلبه، فلما اخذت منه عظمت بليته واشتدت مصيبتة.

وفي اغترار الخلق بها وضعف ايمانهم بقوله تعالى في تحذيره إياهم غوائلها: كمفازة غيراء لا نهاية لها، سلكوها قوم وتاهوا فيها بلا زاد وماء وراحلة، فأيقنوا بالهلاك، فبيناهم كذلك إذ خرج عليهم رجل وقال: أرأيتم إن هديتكم إلى رياض خضر وماء رواء ما تعملون؟ قالوا: لا نعصيك في شيء، فأخذ منهم عهداً وموathيق على ذلك، فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراء، فمكث فيهم ما شاء الله، ثم قال: الرحيل! قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم، وإلى رياض ليست كرياضكم. فقال أكثرهم: لا نريد عيشاً خيراً من هذا، فلم يطيعوه. وقالت طائفة - وهم الأقلون - : ألم تعطوا هذا الرجل عهدكم وموathيقكم بالله ألا تعصوه وقد صدقكم في أول حديثه؟ فوالله إنه صادق في هذا الكلام أيضاً! فاتبعه هذا الأقل، فذهب فيهم إلى أن أوردهم في ماء ورياض أحسن بمراتب شتى مما كانوا فيه أولاً، وتخلف عنه الأكثرون، فبدرهم عدو، فأصبحوا من بين قتيل وأسير.

---

تشبهات الدنيا وأهلها  
عاقبة حب الدنيا وبغضها  
حب المال  
ذم المال  
الجمع بين ذم المال ومدحه  
غوائل المال وفوائده

تذنيب

(تشبيها الدنيا وأهلها)

قد شبه بعض الحكماء حال الإنسان واغتراره بالدنيا، وغفلته عن الموت وما بعده من الأهوال،  
وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات: بشخص مدلى في بئر، مشدود وسطه  
بحبل، وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه إليه، منتظر سقوطه، فاتح فاه لالتقامه، وفي أعلى  
ذلك البئر جردان أبيض وأسود، لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً، ولا يفتران عن قرضه  
أناً من الآنات، وذلك الشخص، مع أنه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل أنا فأنا، قد اقبل  
على قليل عسل قد لطح به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمعت عليه زنابير كثيرة، وهو  
مشغول بلطعه منهمك فيه، ملتذ بما أصاب منه، مخاصم لتلك الزنابير عليه، قد صرف باله باجمعه  
إلى ذلك، غير ملتفت إلى ما فوقه وإلى ما تحته. فالبئر هو الدنيا، والحبل هو العمر، والثعبان الفاتح  
فاه هو الموت، والجرذان الليل والنهار القارضان العمر، والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدنيا  
المتزجة بالكدورات والآلام، والزنابير هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها.  
وشبه بعض العرفاء الدنيا وأهلها، في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الآخرة، وحسراتهم العظيمة  
بعد الموت، من فقدهم نعيم الجنة بسبب انغمارهم في خسائس الدنيا: يقوم ركبوا السفينة، فأنتهت بها  
إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة، وحذرهم المقام فيها، وخوفهم مرور السفينة  
واستعجالها، فتفرقوا في نواحي الجزيرة، ففضى بعضهم حاجته، وبادر إلى السفينة، فصادف المقام  
خالياً، فأخذ أوسع الأماكن ووقفها بمراده. وبعضهم توقف في الجزيرة، واشتغل بالنظر إلى

أزهارها وانوارها وأشجارها واحجارها ونغمات طيورها، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها، فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً، فاستقر فيه. وبعضهم، بعد التنبه لخطر مرور السفينة، لما تعلق قلبه ببعض احجار الجزيرة وازهارها وثمارها، لم تسمح نفسه باهمالها، فاستصحب منها جملة ورجع إلى السفينة فلم يجد فيها إلا مكاناً ضيقاً لا يسعه إلا بالتكلف والمشقة، وليس فيه مكان لوضع ما حمله، فصار ذلك ثقلاً عليه ووبالاً، فندم على أخذها، ولم يقدر على رميها، فحملها في السفينة على عنقه متأسفاً على أخذها. وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة، بحيث لم يتنبه أولاً من خطر مرور السفينة ومن نداء الملاح، حتى امتلأت السفينة، فتنبه أخيراً ورجع إليها، مثقلاً بما حمله من احجار الجزيرة وحشائشها، ولما وصل إلى شاطئ البحر سارت السفينة، أولم يجد فيها موضعاً أصلاً، فبقى على شاطئ البحر. وبعضهم لكثرة الاشتغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسوا المركب بالمرّة، ولم يبلغهم النداء أصلاً، لكثرة انغمارهم في أكل الثمار وشرب المياه والتنسم بالانوار والأزهار والتفرج بين الاشجار، فسارت السفينة وبقوا في الجزيرة من دون تنبههم بخطر مرورها، فتفرقوا فيها، فبغضهم نهشته العقارب والحيات وبعضهم افترسته السباع، وبعضهم مات في الأوحال، وبعضهم هلك من الندامة والحسرة والغصة، وأما من بقى على شاطئ البحر فمات جوعاً، وأما من وصل إلى المركب مثقلاً بما اخذه، فشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها، وقد ضيق عليه مكانه، فلم يلبث ان ذبلت ما اخذه من الأزهار، وعفنت الثمار، وكمدت الوان الأحجار، فظهر نتن رائحتها، فتأذى من نتن رائحتها ولم يقدر على القائها في البحر لصيرورتها جزاءً من بدنه، وقد أثر فيه ما أكل منها، ولم ينته إلى الوطن إلا بعد احاطة الامراض والأسقام عليه لأجل ما لم ينفك عنه من النتن، فبلغ إليه سقيماً مدنفاً، فبقى على سقمه أبداً، أو مات بعد مدة، واما من رجع إلى المركب بعد تضيق المكان، فما فاته إلا سعة المحل، فتأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، ومن رجع إليه اولا ووجد المكان الأوسع فلم يتأذى من شيء أصلاً ووصل إلى الوطن سالماً. فهذا مثال اصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة، ونسيانهم وطنهم الحقيقي، وغفلتهم عن عاقبة امرهم. وما اقبح بالعاقل البصير ان تغره بأحجار الأرض وهشيم النبات، مع مفارقتة عند الموت وصيرورته كلا ووبالاً عليه.

## فصل

### (عاقبة حب الدنيا وبغضها)

اعلم انه لا يبلغ مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب، اعني طهارته عن ادناس الدنيا وحبه لله وانسه بذكره، وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة، والمعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكرة، والانس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه، وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت، وهي الباقيات الصالحات.

أما طهارة القلب عن ادناس الدنيا، فهي الجنة بين العبد وبين عذاب الله، كما ورد في الخبر: " ان اعمال العبد تناضل عنه، فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه، وإذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقة تدفع عنه..." الحديث.

وأما الحب والإنس، فهما يوصلان العبد إلى لذة المشاهدة واللقاء. وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى ان يدخل الجنة، فيصير القبر روضة من رياض الجنة، وكيف لا يصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غاية البهجة ونهاية اللذة بمشاهدة جمال الحق، ولا يكون القبر عليه روضة من الرياض الخلد، ولم يكن له إلا محبوب واحد، وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله، وبالموت ارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلقى بينه وبين محبوبه، فقدم عليه مسروراً سالمًا من الموانع آمناً من الفراق؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا، وقد غصبت منه وحيل بينه وبينها، وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه؟ وليس الموت عدماً، إنما هو فراق لمحباب الدنيا وقدوم على الله، فإذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث، وهي: الذكر، والفكر، والعمل الذي يفظمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها. وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن، وصحة البدن لا تنال إلا بالقوت والملبس والمسكن، ويحتاج كل واحد إلى اسباب، فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة، وإن اخذ ذلك على قصد التمتع وحظ النفس صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها. إلا أن الرغبة في

حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الآخرة، وسمى ذلك حراماً، والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب، ويسمى ذلك حلالاً. والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب، فمن نوقش في الحساب عذب، ولذلك قال رسول الله (ص): " في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ". بل لو لم يكن الحساب، لكان ما يفوت عن الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تقويتها بحظوظ حقيرة خسيصة لابقاء لها، هو أيضاً عذاب.

ويرشدك إلى ذلك حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك، وقد سبقوك إلى السعادات الدنيوية، كيف ينقطع قلبك عليها حسرات، مع علمك بأنها سعادات متصرمة لابقاء لها، ومنغصة بكدورات لاصفاء لها، فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الأذهان والدهور دون غايتها؟ وكل من تنعم في الدنيا، ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو بشربة ماء بارد، فهو ينقص من حظه في الآخرة والتعرض لجواب السؤال فيه ذل، وحذر، وخوف، وخطر، وخجل وانكسار، ومشقة، وانتظار، وكل ذلك من نقصان الحظ.

فالدنيا - قليلها وكثيرها، حلالها وحرامها - ملعونة، إلا ما أعان على تقوى الله، فان ذلك القدر ليس من الدنيا، وكل من كانت معرفته أقوى واتم كان حذره من نعيم الدنيا أشد واعظم، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رمى به، إذ تمثل له إبليس وقال رغبت في الدنيا. وحتى أن سليمان (ع) في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة، فان الصبر من لذيذ الأطعمة مع وجودها أشد. ولذا زوى الله - تعالى - الدنيا على نبينا (ص) فكان يطوى أياماً، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع، ولهذا سلط الله المحن والبلاء على الأنبياء والأولياء، ثم الأمتل فالأمتل في درجات العلى. كل ذلك نظراً لهم وامتناناً عليهم، ليتوفر من الآخرة حظهم، كما يمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواكه والأطعمة ويلزمه الفصد والحجامة، شفقة عليه وحباً له لا بخلا به عليه. وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا.

ثم الأشياء على أقسام ثلاثة:

(الأول) مالا يتصور أن يكون لله، بل من الدنيا صورة ومعنى وهي أنواع المعاصي والمحظورات وأصناف التمتع بالمباحات، وهي الدنيا المحضة المذمومة على الإطلاق.

(الثاني) ما صورته من الدنيا، كالأكل والنوم والنكاح وأمثالها، ويمكن أن يجعل معناه لله، فإنه يمكن أن يكون المقصود منه حظ النفس فيكون معناه كصورته أيضاً من الدنيا، ويمكن أن يكون المقصود منه الاستعانة على التقوى، فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا، قال رسول الله (ص): " من طلب من الدنيا حلالاً مكثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر".

(الثالثة) ما صورته لله، ويمكن أن يجعل معناه من الدنيا بالقصد، وهو ترك الشهوات، وتحصيل العلم، وعمل الطاعات والعبادات. فهذه الثلاث إذا لم يكن لها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله صورة معنى، ولم تكن من الدنيا أصلاً، وان كان الغرض منها حفظ المال والحمية والاشتهار بالزهد والورع وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة صار من الدنيا معنى وان كان يظن بصورته أنه لله.

ومنها:

### حب المال

وهو من شعب حب الدنيا، إذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل، والمال بعض اجزاء الدنيا، كما ان الجاه بعضها، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها، وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها، والكبر وطلب العلو بعضها.

وبالجملة: لها أبعاض كثيرة يجمعها كل ما للإنسان فيه حظ عاجل. فأفات الدنيا كثيرة الشعب والارجاء، واسعة الأرجاء والاكناف، ولكن أعظم آفاتا المتعلقة بالقوة الشهوية هو (المال)، إذ كل ذي روح محتاج إليه ولا غناء له عنه، فان فقد حصل الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً، فهو لا يخلو من فوائد وآفات، وفوائده من

المنجيات وأفاته من المهلكات، وتمييز خيرها وشرها من المشكلات، إذ من فقده تحصل صفة الفقر، ومن وجوده تحصل صفة الغناء، وهما حالتان يحصل بهما الامتحان.

ثم (للفاقد) حالتان: القناعة، والحرص. واحداهما محمودة والأخرى مذمومة. و(للحريص) حالتان: تشمر للحرف والصنائع مع اليأس عن الخلق، وطمع بما في أيديهم. وإحدى الحالتين شر من الأخرى. و(للوأجد) حالتان: إمساك، وانفاق. واحدهما مذموم والآخر ممدوح و(للمنفق) حالتان: إسراف، واقتصاد، والأول مذموم والثاني ممدوح وهذه أمور متشابهة لا بد أولاً من تمييزها، ثم الأخذ بمحمودها وترك لمذمومها، حتى تحصل النجاة من غوائل المال وفتنتها. ومن هنا قال بعض الأكابر: الدرهم عقرب، فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فانه إن لدغك قتلك سمه. قيل وما رقيته؟ قال: أخذه من حله، ووضع في حقه.

## فصل

### ذم المال

الكتاب والسنة متظاهران في ذم المال وكراهة حبه، قال الله سبحانه:

" يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون " [1].

وقال: " واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة " [2].

وقال: " المال والبنون زينة الحياة الدنيا... " [3].

١ [1] المنافقون، الآية: ٩.

٢ [2] الأنفال، الآية: ٢٨.

٣ [3] الكهف، الآية: ٤٧.

وقال رسول الله (ص): حب المال والشرف ينبئان النفاق، كما ينبت الماء البقل " وقال (ص): " ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم "، وقال: " شر امتي الاغنياء". وقال (ص): " يقول الله - تعالى -: يا ابن آدم! مالي، مالي! وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فامضيت، أو اكلت فافنيت، أو لبست فأبليت؟! " وقال (ص): " أخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه وهو ماله، وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله، وواحد يتبعه إلى محشره وهو عمله ". وقال (ص): " يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه، كلما يكفأ به الصراط قال له ماله: امض وقد أديت حق الله في. ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كفيه، كلما يكفأ به الصراط قال ماله: ويلك ألا أديت حق الله في؟! ... فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل " وقال (ص): " إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلككم ". وقال (ص): " لكل أمة عجل، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم ". وقال (ص): " يؤتى برجل يوم القيامة، وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال: اذهبوا به إلى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام، فيقال اذهبوا به إلى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال، فيقال له: قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها، فيقول: لا يارب! كسبت من حلال وانفقت في حلال، ولم أضيع شيئاً مما فرضت، فيقال: لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به، فيقول: لا يارب! لم اختل ولم أباه في شيء، فيقال: لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فيقول: لا يارب! لم اضيع حق احد أمرتني أن اعطيه. فيجىء اولئك فيخاصمونه، فيقولون: يا رب اعطيته واغنيتته وجعلته بين اظهرنا وامرته أن يعطينا، فان كان قد اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء، فيقال: قف الآن هات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة... فلا يزال يسأل ".

فليت شعري - يا أخي - ان الرجل الذي فعل في الحلال، وأدى الفرائض بحدودها، وقام بالحقوق كلها، إذا حوسب بهذه المحاسبة، فكيف يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها، وشبهاتها



وشهواتها وزينتها، فيالها من مصيبة ما أفضعها، ورزية ما أجلها، وحسرة ما أعظمها لا ندرى ما تفعل بنا الدنيا غداً في الموقف عند يدي الجبار.

ولخوف هذا الخطر قال بعض الصحابة: " ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله، ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة"، قالوا له: ولم ذلك رحمك الله؟ قال: " لأني غني عن مقامي يوم القيامة، فيقول الله: عبدي من أين اكتسبت وفي أي شيء انفقت؟ " .

فينبغي لكل مؤمن تقي ألا يتلبس بالدنيا، فيرضى بالكفاف، وإن كان معه فضل فليقدمه لنفسه، إذ لو بقي بعده لكان له مفسد وآفات. روى: " أنه قال رجل: يا رسول الله، مالي لا أحب الموت؟ فقال: هل معك من مال؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله، إن قدمه احب أن يلحقه، وإن خلفه احب ان يتخلف معه ". ووضع أمير المؤمنين (ع) درهما على كفه ثم قال: " أما انك ما لم تخرج عني لا تنفعي ". وروى: " ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس، ثم وضعهما على جبهته، ثم قبلهما وقال: من احبكما فهو عبدي حقاً ". وقال عيسى (ع): : لا تنظروا إلى اموال أهل الدنيا، فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم". وقال بعض الأكابر: " مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرين بمثلهما للعبد في ماله عند موته"، قيل: وما هما؟ قال: " يؤخذ منه كله، ويسأل عنه كله " .

ثم جميع ما ورد في ذم الغنى ومدح الفقر - كما يأتي بعضه -، وجميع ما ورد في ذم الدنيا - كما تقدم بعضه - يتناول ذم المال، لأنه أعظم اركان الدنيا.

## فصل

### (الجمع بين ذم المال ومدحه)

أعلم أنه كما ورد ذم المال في الآيات والاحبار ورد مدحه فيهما أيضاً وقد سماه الله خيراً في مواضع، فقال:

" إن ترك خيراً الوصية... "[4]٤. وقال في مقام الامتنان: " ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً "[5]٥ وقال رسول الله (ص) " نعم المال الصالح للرجل الصالح ". وكل ما جاء في ثواب الصدقة، والضيافة، والسخاء، والحج وغير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلا بالمال، فهو ثناء عليه.

ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذامة هو: أن المال قد يكون وسيلة إلى مقصود صحيح هو السعادة الآخروية، إذ الوسائل إليها في الدنيا ثلاث، وهي: الفضائل النفسية، والفضائل البدنية، والفضائل الخارجية التي عمدتها المال. وقد يكون وسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن السعادة الآخروية والحياة الأبدية، والصادة سبيل العلم والعمل. فهو اذن محمود ومذموم بالإضافة إلى المقصودين. فالظواهر الذامة محمولة على صورة كونه وسيلة إلى مقاصد فاسدة، والمادحة على صورة كونه وسيلة إلى مقاصد صحيحة. ولما كانت الطبائع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله، وكان المال مسهلاً لها وآلة إليها، عظم الخطر في ما يزيد على قدر الكفاية، فاستعاذ طوائف الأنبياء والأولياء من شره، حتى قال نبينا (ص): " اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً " وقال (ص): " اللهم احيني مسكيناً وأمتي مسكيناً ".

## فصل

### (غوائل المال وفوائده)

قد ظهر مما ذكر: أن المال مثل حية فيها سم وترياق، فغوائله سمه، وفوائده ترياقه، فمن عرفهما أمكنه أن يحترز من شره ويستدر منه خيره.

ولبيان ذلك نقول: إن غوائله اما دنيوية أو دينية:

٤ [4]البقرة، الآية: ١٨٠.

٥ [5]نوح، الآية: ١٢.

والدنيوية: هي ما يقاسيه أرباب الأموال: من الخوف، والحزن، والهم، والغم، وتفرق خاطر، وسوء العيش، والتعب في كسب الأموال وحفظها، ودفع الحساد وكيد الظالمين، وغير ذلك.

والدينية: ثلاثة أنواع:

اولها - ادائه إلى المعصية. إذ المال من الوسائل إلى المعاصي، ونوع من القدرة المحركة لداعيتها. فإذا استشعرها الإنسان من نفسه، انبعثت الداعية، واقتحم في المعاصي، وارتكب أنواع الفجور. ومهما كان آيساً عن القدرة لم يتحرك داعية إليها. إذ العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية، ومن العصمة ألا يقدر، واما مع القدرة فان اقتحم ما يشتهي هلك، وإن صبر وقع في شدة. إذ الصبر مع القدرة أشد، وفتنة السراء من فتنة الصراء أعظم.

وثانيها - أدائه إلى التمتع في المباحات. فإن الغالب أن صاحب المال ينتعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه، فيصير التمتع محبوباً عنده مألوفاً، بحيث لا يصبر عنه، ويجره البعض منه إلى البعض. وإذا اشتد الفه به وصار عادة له، ربما لم يقدر عليه من الحلال، فيقتحم في الشبهات ويخوض في المحرمات: من الخيانة، والظلم، والغصب، والرياء، والكذب والنفاق، والمداهنة، وسائر الأخلاق المهلكة، والأشغال الرديئة، لينتظم أمر دنياه ويتيسر له تنعمه. وما أقل لصاحب الثروة والمال ألا يصير التمتع مألوفاً له، إذ متى يقدر أن يقنع بخبز الشعير وليس الخشن وترك لذيق الأظعمة بأسرها، فإنما ذلك شأن نادر من أولى النفوس القوية القدسية كسليمان بن داود (ع) وأمثاله. على أن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس، ومن احتاج إلى الناس فلا بد أن يناقهم ويسخط الله في طلب رضاهم، فإن سلم من الآفة الاولى، أعني مباشرة المحرمات، فلا يسلم من هذه أصلاً. ومن الحاجة إلى الناس تثور العداوة والصدافة، ويحصل الحقد، والحسد، والكبر، والرياء، والكذب، والغيبة، والبهتان والنميمة، وسائر معاصي القلب واللسان، وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه واصلاحه.

وثالثها - وهو الذي لا ينفك عنه أحد من ارباب الأموال، وهو أنه يلهيه اصلاح ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى، وكل ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ووبال. ولذا قال روح الله عليه السلام: " في المال ثلاث آفات، أن يأخذه من غير حله "، فقيل: إن أخذه من حله؟ قال: " يضعه في

غير حقه"، فقيل: إن وضعه في حقه؟ فقال: " يشغله اصلاحه عن الله". وهذا هو الداء العضال، إذ أصل العبادات وروحها وحقيقتها هو الذكر والفكر في جلال الله تعالى، وذلك يستدعى قلباً فارغاً. وصاحب الضيعة يصبح ويمسي متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانتته، ومنازعة الشركاء وخصومتهم في الماء والحدود، وخصومة أعوان السلطان في الخراج، وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وغير ذلك. وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة الشركاء وانفرادهم بالربح وتقصيرهم في العمل وتضييعهم المال، ويكون غالباً في بلاد الغربة متفرق الهم محزون القلب من كساد ما يصحبه من مال التجارة. وكذلك صاحب المواشي وغيره من أرباب أصناف الأموال. وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنون تحت الأرض، وصاحبه أيضاً لا يزال متفكراً متردداً فيما يصرف إليه، وفي كيفية حفظه، وفي الخوف ممن يعثر عليه، وفي دفع طمع الخلق منه. وبالجملة: أودية افكار أهل الدنيا لا نهاية لها، والذي ليس معه إلا قوت يومه أو سنته، ولا يطلب أزيد من ذلك، فهو في سلامة من جميع ذلك.

وأما فوائده: فهي أيضاً دنيوية ودينية:

أما الدنيوية: فهي ما يتعلق بالحظوظ العاجلة: من الخلاص من ذل السؤال، وحقارة الفقر، والوصول إلى العز والمجد بين الخلق، وكثرة الاخوان والاصدقاء والاعوان، وحصول الوقار والكرامة في القلوب.

وأما الدينية: فتلاثة أنواع:

اولها - أن ينفقه على نفسه في عبادة، كالحج والجهاد، أو فيما يقوى على العبادة، كالمطعم والملبس والمسكن.

وثانيها - أن يصرفه إلى اشخاص معينة: كالصدقة، والمرورة، ووقاية العرض واجرة الاستخدام. وأما الصدقة بانواعها، فلا يحصى ثوابها، وربما نشير إلى فضيلتها في موضعها. وأما المرورة، ونعني بها صرف المال إلى الإغنياء والاشراف في ضيافة أو هدية أو إعانة وما يجري مجراها مما يكتسب به الاخوان والاصدقاء ويجلب به صفة الجود والسخاء، إذ لا يتصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمرورة، فلا ريب في كونه مما يعظم ثوابه. فقد وردت

اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام، من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها. وأما وقاية العرض، ونعني بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء، وهجو الشعراء، وقطع ألسنة الفاحشين والمغتابين، ومنع شر الظالمين وامثال ذلك فهو أيضاً من الفوائد الدينية. قال رسول الله (ص): " ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة"، وأما اجرة الاستخدام، فلا ريب في اعانتة على أمور الدين، إذ الاعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة اسبابه كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته، وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين، ومن لا مال له يحتاج أن يتولى بنفسه جميع الاعمال التي يحتاج إليها في الدنيا، حتى نسخ الكتاب الذي يفتقر إليه، وكلما يتصور أن يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران وندامة.

وثالثها - أن يصرفه إلى غير معين يحصل به خير عام، وهي الخيرات الجارية: من بناء المساجد، والمدارس، والقناطر، والرباطات، ونصب الخشبات في الطرق، واجراء القنوات، ونسخ المصاحف والكتب العلمية وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة، الدائرة بعد الموت، المستجلبية ببركة أدعية الصالحين إلى اوقات متمادية.

---

## فصل

### (الأمور المنجية من غوائل المال)

من أراد النجاة من غوائل المال، فليحافظ على أمور:

الأول - أن يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلية الاحتياج إليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ إلا قدر حاجته.

الثاني - أن يراعى جهة دخله، فيجتنب الحرام والمشتبه، والجهات المكروهة القادحة في المروءة والحرية، كالهدايا المشوبة بالرشوة، والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة.

الثالث - أن يراعى جهة الخرج، ويقتصد في الأنفاق، غير مبذر ولا مقتنر. قال الله تعالى:

" والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً " [1].

وقال النبي (ص): " ما عال من اقتصد ". ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلاث: أدنى وأوسط وأعلى، وربما كان الميل إلى الأول أحرى وأولى، ليدخل في زمرة المخفين يوم القيامة.

الرابع - أن يضع ما اكتسبه من حله في حقه، ولا يضعه في غير حقه، فان الاثم في الاخذ من غير حله والوضع في غير حقه سواء.

الخامس - أن يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامسك، فيأخذ ما يأخذ استعانة به على ما خلق لأجله، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له واجتناباً عن وزره وثقله، وإذا فعل ذلك لم يضره وجوده قال أمير المؤمنين (ع): " لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد ".

فينبغي لكل مؤمن أن يكون باعث جميع افعاله التقرب إلى الله ليصير الجميع عبادة. فإن أبعد الأفعال عن العبادة الاكل والوقاع وقضاء الحاجة ويصير بالقصد عبادة. فمن أخذ من المال ما يحتاج إليه في طريق الدين، وبذل ما فضل منه على اخوانه المؤمنين، فهو الذي أخذ من حية المال تريقها، واتقى سمها، فلا تضره كثرة المال. إلا أنه لا يتأتى ذلك إلا لمن كثر علمه واستحكمت في الدين قدمه. والعامي إذ يشتبه به في الاستكثار من المال، فشأنه شأن الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحية ويتصرف بها ليأخذ تريقها، فيقتدى به ويأخذها مستحسناً صورتها وشكلها ومستليناً جلدتها فتقتله في الحال. إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل، وقتيل المال قد لا يعرف ذلك. وكما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير في التخطى قتل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة، فيمتنع أن يتشبه العامي الجاهل بالعالم الكامل في الاستكثار من المال.

## فصل

### (الزهد)

ضد حب الدنيا والرغبة إليها هو (الزهد)، وهو ألا يريد الدنيا بقلبه، ويتركها بجوارحه، إلا بقدر ضرورة بدنه. وبعبارة أخرى: هو الإعراض من متاع الدنيا وطيباتها، من الأموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت. وبتقرير آخر: هو الرغبة عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة، أو عن غير الله، عدولاً إلى الله، وهو الدرجة العليا. فمن رغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس، ولم يحب إلا الله، فهو الزاهد المطلق. ومن رغب عن حظوظ الدنيا خوفاً من النار أو طمعاً في نعيم الجنة، من الحور والقصور والفواكه والانهار، فهو أيضاً زاهد، ولكنه دون الأول. ومن ترك بعض حظوظ

الدنيا دون بعض، كالذي يترك المال دون الجاه، أو يترك التوسع في الاكل دون التجمل في الزينة، لا يستحق اسم الزاهد مطلقاً.

وبما ذكر يظهر: أن الزهد إنما يتحقق إذا تمكن من نيل الدنيا وتركها، وكان باعث الترك هو حقارة المرغوب عنه وخساسته، أعنى الدنيا بالإضافة إلى المرغوب إليه وهو الله والدار الآخرة. فلو كان الترك لعدم قدرته عليها، أو لغرض غير الله تعالى وغير الدار الآخرة، من حسن الذكر، واستمالة القلوب، أو الاشتهار بالفتوة والسخاء، أو الاستئفال لما في حفظ الأموال من المشقة والعناء، أو امثال ذلك، لم يكن من الزهد أصلاً.

## فصل

### (مدح الزهد)

الزهد أحد منازل الدين وأعلى مقامات السالكين. قال الله سبحانه:

" فخرج على قومه في زينته... وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير " [2].

فنسب الزهد إلى العلماء، ووصف أهله بالعلم، وهو غاية المدح، وقال:

" ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ

وأبقى " [3].

وقال: " ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وماله في الآخرة من نصيب " [4].

٢ [2]القصص، الآية: ٧٩ - ٨٠.

٣ [3]طه، الآية: ١٣.

٤ [4]الشورى، الآية: ٢٠.



وقال رسول الله (ص): " من أصبح وهمه الدنيا، شئت الله عليه أمره، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له. ومن أصبح وهمه الآخرة، جمع الله له همه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة " وقال (ص): " إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه، فإنه يلقي الحكمة ". وقال (ص): " من أراد أن يؤتیه الله علماً بغير تعلم، وهدى بغير هداية، فليزهد في الدنيا ". وقال (ص): " ازهد في الدنيا يحبك الله. وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ". وقال (ص) لأمير المؤمنين (ع): " يا علي، من عرضت له دنياه وأخرته فاختار الآخرة وترك الدنيا فله الجنة، ومن اختار الدنيا استخفافاً بأخرته فله النار " وقال (ص): " سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالفخر والبخل، ولا المحبة إلا باتباع الهوى. ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم، فصبر على الفقر وهو يقدر على الغناء، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز، لا يريد بذلك إلا وجه الله، أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً ". وقال (ص): بعد ما سئل على معنى شرح الصدر للاسلام: " إن النور إذا دخل القلب انشرح له وانفسح قيل: يا رسول الله، وهل لذلك من علامة؟ قال: " نعم! التجافي عن دار الغرور، والانابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله " وقال (ص): " استحيوا من الله حق الحياء "، قالوا إنا لنستحيى منه تعالى، قال: " فليس كذلك، تبنون مالا تسكنون، وتجمعون مالا تأكلون ". وروى: " أنه قدم عليه بعض الوفود. وقالوا إنا مؤمنون. قال: وما علامة ايمانكم؟ فذكروا الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضى بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالاعداء. فقال (ص): إن كنتم كذلك، فلا تجمعوا مالا تأكلون، ولا تبنون مالا تسكنون، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون "، فجعل الزهد من مكملات ايمانهم. وقال (ص): " من جاء بلا إله إلا الله، لا يخلط معها غيرها، وجبت له الجنة " وفسر (غيرها) بحب الدنيا وطلبها. وقال (ص): " من زهد في الدنيا، ادخل الله الحكمة قلبه، فأنطق بها لسانه، وعرفه داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام ". وروى: " أن بعض زوجاته بكت مما رأت به من الجوع، وقالت له: يا رسول الله، ألا تستطعم الله فيطعمك؟ فقال: والذي نفسي بيده! لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها، وفقر الدنيا على غنائها، وحزن الدنيا على فرحها. إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا

لآل محمد. إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني مثل ما كلفهم، فقال:

" فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل " [5] هـ.

والله ما لي بد من طاعته! وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله! ". وقال (ص): " لا يستكمل العبد الأيمان حتى يكون ألا يعرف أحب إليه من أن يعرف، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته ". وقال (ص): " إذا أراد الله بعبد خيراً، زهده في الدنيا، ورغبه في الآخرة، وبصره بعيوب نفسه " وقال (ص): " من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لهي عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ". وقال (ص): " إن ربي عز وجل عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يارب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فاتضرع اليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك " وروى: " أنه (ص): خرج ذات يوم يمشي ومعه جبرئيل، فصعد على الصفا، فقال له رسول الله (ص): يا جبرائيل، والذي بعثك بالحق! ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يتم كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته، فقال رسول الله (ص): أمر الله القيامة أن تقوم؟ قال: لا! ولكن هذا اسرافيل (ع) قد نزل اليك حين سمع كلامك. فأتاه اسرافيل، فقال: إن الله - عز وجل - سمع ما ذكرت، فبعثني بمفاتيح الأرض، وأمرني أن اعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت، وإن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً. فأوماً إليه جبرائيل أن تواضع لله. فقال: " نبياً عبداً، ثلاثاً " وقال (ص): " قال الله تعالى: إن من اغبط أوليائي عندي رجلاً حفيف الحال ذا حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس، جعل رزقه كفافاً

فصبر عليه، عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه " [6] ٦ وعن علي بن الحسين - صلوات الله عليهما - قال: " مر رسول الله (ص): براعى ابل، فبعث يستسقيه، فقال: أما ما في ضروعها فصبوح الحي، وأما في آنيتنا فغبوقهم فقال رسول الله (ص): اللهم كثر ماله وولده. ثم مر براعى غنم، فبعث إليه يستسقيه، فحلب له ما في ضروعها واكفأ ما في اناؤه في اناء رسول الله (ص)، وبعث إليه بشاة، وقال: هذا ما عندنا، وإن أحببت أن تزيدك زدناك، قال: رسول الله (ص): اللهم ارزقه الكفاف. فقال له بعض اصحابه: يا رسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نحبه، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه. فقال رسول الله (ص): إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. اللهم ارزق محمداً وآل محمد الكفاف " [7] ٧ وقال أمير المؤمنين (ع): " الناس ثلاثة: زاهد، وصابر، وراغب. فاما الزاهد، فقد خرجت الأحزان والافراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يأسى على شيء منها فاته، فهو مستريح. وأما الصابر، فانه يتمناها بقلبه، فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشنأتها ولو اطلعت على قلبه، لعجبت من عفته وتواضعه وحزمه. وأما الراغب، فلا يبالي من أين جاءته، من حلها أو حرامها، ولا يبالي ما دنس فيها عرضه وأهلك نفسه واذهب مروته، فهم في غمرته يعمهون ويضطربون " وقال (ع): " إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا " وقال (ع): " من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً: عرف الله فطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الدنيا فتركها، وعرف الآخرة فطلبها، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الحق فاتبعه ". وقال (ع): " من اشتاق الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف النار لهي عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ". وقال (ع): " إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا، أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا

٦ [6] صححنا الحديث على (الكافي): باب الكفاف. قال في (الوافي): الحفيف - بالمهملة -: العيش السوء وقلة المال. والغامض: الخامل الذليل.

٧ [7] صححنا الحديث على ما في (أصول الكافي): باب الكفاف.

لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص. فالمغيبون من حرم حظه من الآخرة<sup>[8]</sup> وقال علي بن الحسين (ع): " ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله (ص): أفضل من بغض الدنيا... الحديث " [9] وقال الباقر (ع): " أكثر ذكر الموت، فانه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا ". وقال (ع): " قال الله تعالى: وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواى على هواه في شيء من أمر الدنيا، إلا جعلت غناه في نفسه، وهمته في آخرته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر ". وقال (ع): " اعظم الناس قدراً من لا يناول الدنيا في يد من كانت، فمن كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينيه، ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه ". وقال الصادق (ع): " جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ". وقال (ع): " ما كان شيء أحب إلى رسول الله (ص) من ان يظل خائفاً جائعاً في الله تعالى ". وقال (ع): " إذا أراد الله بعبد خيراً، زهده في الدنيا وفقهه في الدين، وبصره عيوبها. ومن أوتيهن فقد أوتى خير الدنيا والآخرة " وقال (ع): " لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا " وهو ضد لما طلب اعداء الحق، قلت: جعلت فداك، مما ذا؟ قال: " من الرغبة فيها "، وقال: " ألا من صبار كريم؟ فانما هي أيام قلائل ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا " [10] وقال (ع): " الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار، وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها، ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها، ولا عوض منها، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ويكون أبداً هاربا من الآفة معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار الآخرة على

٨ [8] صححنا الحديث على (الكافي): باب ذم الدنيا.

٩ [9] الحديث مروى في (أصول الكافي): باب ذم الدنيا وقد مضى ذكره في صفحة ٣٢.

١٠ [10] صححنا الحديث على (الكافي): باب ذم الدنيا.

الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الأجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة"، وقال الرضا (ع): " من أصبح وأمسى معافى في بدنه، أمنا في سربه، عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا".

وكفى للزهد فضيلة ومدحاً أنه اعرف صفات الأنبياء والأولياء، ولم يبعث نبي إلا به، ولو لم يتوقف التقرب إلى الله والنجاة في دار الآخرة عليه، لما ضيق عظماء نوع الإنسان واعرف الناس بحقيقة الحال على أنفسهم في فطامها عن شهوات الدنيا ولذاتها.

فانظر إلى كليم الله موسى (ع) كيف كان غالب قوته نبت الأرض واوراق الأشجار، وكان ضعف بدنه من كثرة رياضته، بحيث ترى الخضرة من صفاق بطنه، كما أخبر به أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة. ثم انظر إلى روح الله (ع) كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر، ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد، اينما يدركه المساء نام، وقال له الحواريون يوماً: يا نبي الله لو أمرتنا أن نبنى بيتاً تعبد الله فيه"، قال " اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء " فقالوا: كيف يستقيم بنيان على الماء؟ قال: " فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا " وروى: " أنه اشتد به يوماً المطر والرعد والبرق، فجعل يطلب بيتاً يلجأ إليه، فرفعت إليه خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فاتاه فإذا فيه اسد، فوضع يده عليه وقال: " إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى " فأوحى الله إليه " مأواك في مستقر من رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة الف حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمنك في عرسك أربعة آلاف عام، يوم منها كعمر الدنيا، ولأمرن مناديا ينادى أين الزهاد في الدنيا، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم".

ثم انظر إلى يحيى بن زكريا، حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه أن يلبس مكانها جبة من صوف ففعل، فأوحى الله إليه: " يا يحيى آثرت علي الدنيا"، فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه.

ثم افتح بصيرتك وتأمل في سيرة رسول الله (ص) وزهده في الدنيا، فانه لبث في النبوة ما لبث، ولم يشبع هو وأهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية، ولم يشبعوا عشية إلا جاعوا غدوة، ولم يشبع من التمر هو وأهل بيته حتى فتح الله عليهم خيبر، وقرب إليه يوماً طعاما على مائدة فيها ارتفاع، فشق

ذلك عليه حتى تغير لونه، فأمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الأرض، وكان ينام على عباءة مثنية فثنوها له ليلة أربع طاقات فنام عليها، فلما استيقظ قال منعموني قيام الليلة هذه بهذه العبادة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها، وكان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة. وروى: " أن امرأة من بني ظفر صنعت له (ص) كساءين ازاراً ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخرة فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك ".

وشدة زهد علي (ع) وتركه الدنيا أشهر من أن يحتاج إلى بيان، وكذا من بعده من الأئمة الراشدين والاصحاب والتابعين وغيرهم من أكابر الدين والسلف الصالحين، حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً ولا أمر من في بيته بصنعة طعام، فعلى اطرافهم يقومون ووجوههم على الأرض يفترشون تجرى دموعهم على خدودهم ويناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار.

وقد حكى أن بعض الخلفاء أرسل إلى بعضهم بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على اهله، فقال أتدرون؟ ما مثلي ومثلكم إلا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها، فكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني فموتوا جوعاً خيراً لكم من أن تذبحوني. وقد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعاً لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به. وكان لبعضهم حب مكسور، فيه ماؤه، لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا.

فيا حبيبي أفق من سكر الهوى واعرف المضادة التي بين الآخرة والدنيا، واقتد بالواقفين على جليلة الحال والمطلعين على حقيقة المآل في المواظبة على الزهد والتقوى وطمأن النفس عن لذائذ الدنيا، فإن ذلك وإن كن شاقاً فمدته قريبة، والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يتقل على أهل المعرفة القاهرين أنفسهم بسياسة الشرع المبين المعتمدين بعروة اليقين بما وعد الله في الآخرة لعباده الزاهدين.



## اعتبارات الزهد ودرجاته

### الزهد الحقيقي

#### الغنى

#### دم الغنى

#### الفقر

## فصل

### (اعتبارات الزهد ودرجاته)

اعلم ان للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات:

(الأول) اعتبار نفسه أي من حيث نفس الترك للدنيا وبهذا الاعتبار له درجات ثلاث: (الأولى) أن يزهد في الدنيا مع ميله إليها وحبها لها بأن يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة، وهذا هو التزهد. (الثانية) أن يترك الدنيا طوعاً وسهولة من دون ميل إليها لاستحقاقه إياها بالاضافة إلى ما يطمع فيه من لذات الآخرة، وهذا كالذي يترك درهماً لأجل درهمين معاوضة فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج إلى قليل انتظار، ومثله ربما اعجب بنفسه ويزهده لاحتمال أن يظن بنفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه. (الثالثة) وهي أعلى الدرجات أن يترك الدنيا طوعاً وشوقاً ولا يرى انه ترك شيئاً، إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خنفساء وأخذ ياقوتة صافية حمراء، فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً وسبب هذا الترك كمال المعرفة، فان العارف على يقين بأن الدنيا بالاضافة إلى الله ونعيم الآخرة أخس من خنفساء بالنظر إلى ياقوتة، هذا الزاهد في أمن من خطر الالتفات إلى الدنيا، كما أن تارك الخنفساء بالياقوتة في أمن من طلب الاقالة في البيع؟

وقد ذكر أرباب القلوب من أهل المعرفة أن مثل تارك الدنيا بالآخرة مثل من منعه عن باب الملك كلب يكون في بابه فالقى إليه لقمة خبز نالها من موائد الملك فشغله بنفسه ودخل الباب ونال غاية القرب من الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته، أفترى أنه يرى لنفسه عوضاً عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلب في مقابلة ما يناله مع كون هذه اللقمة أيضاً من الملك. فالشيطان كلب على باب الله



يمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلها فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي إلى النتن والقدر ويحتاج إلى اخراجه، فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها. ولا ريب في نسبة الدنيا لكل شخص اعني ما يسلم له منها وإن عمر الف سنة بالاضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة إلى ملك الدنيا، إذ لا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي، والدنيا متناهية، ولو كانت تتمّادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها إلى الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذاتها مكدره غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد.

(الثاني) اعتبار المرغوب عنه اعني ما يترك وبهذا الاعتبار له خمس درجات:

(الأولى) أن يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام، ويسمى زهد فرض.

(الثانية) ان يترك المشتبهات أيضاً وهو الزهد في الشبهة، ويسمى زهد سلامة.

(الثالثة) ان يزهد في الزائد عن قدر الحاجة من الحلال أيضاً ولا يزهد في التمتع بالقدر

الضروري من المطعم والملبس والمسكن واثائه والمنكح وما هو وسيلة إليها من المال والجاه، والى

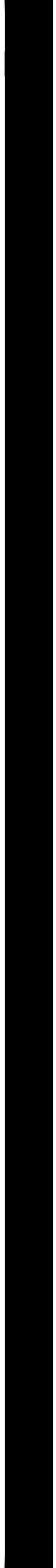
هذه الدرجات كلا أو بعضاً أشار مولانا أمير المؤمنين (ع) بقوله: "كونوا على قبول العمل أشد

عناية منكم على العمل، الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله

عز وجل " [1] ومولانا الصادق (ع) بقوله: " الزهد في الدنيا ليس باضاعة المال ولا تحريم

الحلال بل الزهد في الدنيا ألا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله عز وجل " [2] وهذا مع ما يأتي بعده هو الزهد في الحلال، ويسمى زهد ثقل.

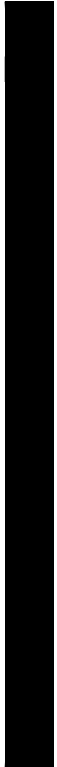
---

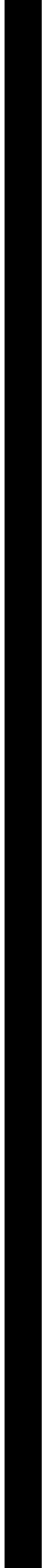


(الرابعة) أن يترك جميع ما للنفس فيه تمتع ويزهد فيه ولو في قدر الضرورة، لا بمعنى ترك هذا القدر بالمرّة، إذ ذلك متعذر، بل تركه من حيث التمتع به وان ارتكبه اضطراراً من قبيل أكل الميتة مع الاكراه له باطناً، وهذا يتناول ترك جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرئاسة والمال والجاه وغيرها، والى هذه الدرجة أشار الصادق (ع) بقوله: " الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه " واليه يرجع قول أمير المؤمنين (ع): " الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه:

" لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " [3]

فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه؛ [4] وقوله (ع): " الزهد في الدنيا ثلاث أحرف: زاء وهاء ودال أما الزاء فترك الزينة وأما الهاء فترك الهوى وأما الدال فترك الدنيا ".





(الخامسة) أن يترك جميع ما سوى الله ويزهد فيه حتى في بدنه ونفسه أيضاً بحيث كان ما يصحبه ويرتكبه في الدنيا إلهاء وإكراهاً من دون استلذاذ وتمتع به، والى هذه الدرجة أشار مولانا الصادق (ع) في كلامه المنقول سابقاً (ص ٦٢) حيث قال: " الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج

---

منها ولا طلب محممة عليها ولا عوض منها بل يرى فوتها راحة وكونها آفة " إلى آخر

الحديث ٥ [5].



ثم الالتفات إلى بعض ما سوى الله والاشتغال به ضروري كضرورة الأكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وأمثال ذلك، لا ينافي هذه المرتبة من الزهد، إذ معنى الانصراف من الدنيا إلى الله تعالى إنما هو الاقبال بكل القلب إليه تعالى ذكراً وفكراً، وهذا لا يتصور بدون البقاء ولا بقاء إلا بضرورات المعيشة، فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصداً لدفع المهلكات عن البدن والاستعانة بالبدن على العبادة وسائر ما يقربه إلى الله لم يكن مشتغلاً بغير الله، إذ مالا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه، فالمشتغل بعلف دابته في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج، ولكن ينبغي أن يكون البدن في طريق الله مثل الدابة في طريق الحج، فكما أن قصدك من تهيئة ما تحتاج إليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك دون تنعمها، فكذلك ينبغي أن يكون قصدك من الأكل والشرب واللباس والسكنى صيانة بدنك عما يهلكك من الجوع والعطش والحر والبرد فتقتصر على قدر الضرورة وتقصد به التقوى على طاعة الله دون التلذذ والتنعم، وذلك لا ينافي الزهد بل هو شرطه، ثم ترتب التلذذ على ذلك لا يضرك إذا لم يكن مقصوداً بالذات لك فان الإنسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الأسفار وصوت الطيور وهذا لا يضر بعبادته إذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة على انه لا لذة حقيقة في الأكل والشرب واللباس وإنما تندفع بها آلام الجوع والعطش والحر والبرد.

ثم لا يخفى أن الفضول من أمور الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمسكن واثاته والمنكح والمال والجاه ينبغي تركها والزهد فيها إذ الأخذ بما لا يحتاج إليه ينافي الزهد. (وأما) غير الفضول مما يحتاج إليه الإنسان ويكون مهما له من الأمور الثمانية، فينبغي ألا يترك الزهد فيها، إذ ما هو المهم الضروري يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فينبغي ألا يترك الزهد فيه أيضاً. ومقتضى غاية الزهد فيه أن يقتصر من القوت على قوت يومه وليلته فان كان عنده أزيد من ذلك فليبدله على بعض المستحقين، فان اقتصر من جنسه على خبز الشعير فهو نهاية الزهد في القوت، إلا أن أكل خبز الحنطة في بعض الأحيان بل أكل أدام واحد في بعض الأوقات إذا لم يكن من اللذائذ الشديدة من أطعمة المتنعمين من أهل الدنيا لا ينافي الزهد، وربما لم يكن أكل اللحم في بعض

---

الأحيان منافياً له. ويقتصر من (اللباس) بعد كونه من القطن أو الصوف على ما يستر الأعضاء ويحفظها من الحر والبرد ولا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل أحدهما. ومن (المسكن) على ما يحفظ نفسه وأهله من الحر والبرد. ومن (أثاثه) اعني الفرش والظرف والقدر والكوز وامثال ذلك، ما يدفع حاجته من غير تعد إلى ما يمكن زوال ضرورته بدونه. ومن (المنكح) على ما تنكسر به سورة شبقة ويحفظه عن النظر والوساوس الشهوية المانعة عن الحضور في العبادات.

ومن (المال) على ما يقضي به حاجة يومه بليلته فان كان كاسباً فإذا اكتسب حاجة يومه فلبترك كسبه ويشغل بأمر الدين، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له مدخل آخر يمكن ان يصل إليه كل يوم قدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بإمساك قدر ما يكفي لسد رمقه بسنة واحدة بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل من كفاية نفقته. وربما قيل إن مثله من ضعفاء الزهاد، بمعنى أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات العالية والدرجات الرفيعة لا يناله، وإن صدق عليه كونه زاهداً، إذ مثله ليس له قوة اليقين، لأن صاحب اليقين الواقعي إذا كان له قوت يومه لا يدخر شيئاً لغده ومن شرط التوكل في الزهد، فلا يكون هذا من الزهاد عنده. وهذا غاية الزهد في الأمور المذكورة، وعليه جرت طوائف الأنبياء وزمرة الأوصياء ومن بعدهم من السلف الأتقياء. والحق أن حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الاشخاص والأوقاف فان أمر المتفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل، ومن قصر جميع همه على تحصيل العلم والعمل ولم يقدر على كسب، حاله يخالف حال أهل الكسب، وكذا في بعض الأوقات وفي بعض الاماكن يمكن تحصيل قدر الحاجة في كل يوم وفي بعض آخر منهما لا يمكن ذلك، فاللائق لكل أحد أن يلاحظ حاله ووقته ومكانه ويتأمل في أن الاصلاح بأمر آخرته والاعون على تحصيل ما خلق لأجله إمساك أي قدر من المال وصرف أي قدر وجنس من القوت، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه إلى ربه فيأخذ به ويترك الزائد، فان بعد صحة النية وخلوص القصد في ذلك لا يخرج به عن الزهد الواقعي وان تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع ايجابه لفقد ما هو اهم في تكميل النفس.

وأما (الجاه) فقد تقدم أن القدر الضروري منه في أمر المعيشة كتحصيل منزلة في قلب خادمه ليخدمه، وفي قلب السلطان ليدفع الاشرار عنه، لا بأس به، فالظاهر عدم منافاة هذا القدر للزهد،

وقال بعض العلماء: (هذا القدر وان لم يكن به بأس إلا أنه يتمادى إلى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) وانما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضرر أو لخلاص من ظلم، اما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن لمستأجره عنده قدر، وانما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة، ومعلوم أن من أراد أن يخدم بغير اجرة فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين. وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها وأن يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له في القلوب أو محل له عند السلطان. وقد الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب، والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً، فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين. وأما التوهّمات والتفديرات التي تخرج إلى الزيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أو هام كاذبة، إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الأوقات فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه، فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلاً واليسير منه داع إلى الكثير وضرارته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره، نعم ما أعطاه الله لبعض عبده من دون سعيه في طلبه لنشر دينه أو لاتصافه ببعض الكمالات المختصة لحصول منزلة له في القلوب فليس به بأس ولا ينافى الزهد، فان جاه رسول الله (ص) كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس.

والحق كما تقدم أن الجاه كالمال في نفي البأس من قدر يضطر إليه الإنسان إذا وقع في زمان أو بلد توقف أمر معيشته عليه، فالقدر الضروري منهما غير محذور وغير مناف للزهد، والزائد على الحاجة سم قاتل، فلا ينبغي أن ينسب المقتصر على الضرورة إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدين لأنه من شرطه والشرط من جملة المشروط، ويدل عليه ما روى أن إبراهيم (ع) اصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرض شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً، فاوحى الله تعالى إليه: (لو سألت خليلك لأعطاك)، فقال يارب: (عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها)، فاوحى الله إليه: (ليس

الحاجة من الدنيا) ويدل عليه أيضاً كلام الصادق (ع) مع سفيان الثوري كما أورده بطوله شيخنا الأقدم رحمه الله في جامعه الكافي.

فإذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة، بل في الدنيا أيضاً، ويعرف ذلك بالتأمل في أحوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه وتحمل الذل فيه، وغاية سعادته أن يتركه لورثته، فيأكلونه وهم أعداؤه، أو يستعينون به على المعصية، فيكون معيناً لهم عليها، ولذلك شبه جامع الدنيا وتابع الشهوات بدود القز، لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها، ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب العمل الذي عمله بنفسه كما قيل في ذلك:

ألم تر أن المرء طول حياته      معنى بأمر لا يزال يعالجه  
كدود كدود القز ينسج دائماً      ويهلك غمماً وسط ما هو ناسجه

فكل مكب على الدنيا متبع للشهوات لا يزال يقيد نفسه بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها، إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين شهواته دفعة، فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها، وهي تجاذبه إلى الدنيا، ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق تجذبه إلى الآخرة فأهون أحواله عند الموت أن يكون مثل شخص ينشر بالمناشير ويفصل أحد جانبيه عن الآخر. فهذا أول عذاب يلقاه قيل ما يراه من حسرات نزوله في اسفل السافلين ومنعه عن أعلى عليين وجوار رب العالمين. فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم، إذ النار لكل محجوب معدة، كما قال الله تعالى:

**" كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم " [6]**

ولما انكشف لأرباب القلوب أن العبد يهلك نفسه باتباع الهوى والخوض في الدنيا إهلاك دود القز نفسه، رفضوا الدنيا بالكلية. فنسأل الله تعالى أن يقرر في قلوبنا ما نفتت في روع حبيبه (ص)، حيث أوحى إليه: **" أحب ما أحببت، فانك مفارقة".**



(الثالث) اعتبار المرغوب فيه: أعني ما يترك لأجله. وله بهذا الاعتبار ثلاث درجات. الأولى: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الآخرة، وهذا زهد الخائفين. الثانية: أن يكون ثواب الله ونعيم الجنة، وهذا زهد الراجين: الثالثة: وهي الدرجة العليا: ألا تكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه، فلا يلتفت إلى الآلام ليقصد منها الخلاص ولا إلى اللذات ليقصد نيلها، بل كان مستغرق الهم بالله، وهذا زهد العارفين، لأنه لا يحب الله خاصة إلا من عرفه بصفاته الكمالية. فكما أن من عرف الدينار والدرهم، وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما، لم يحب إلا الدينار. كذلك من عرف الله، وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة ولذة التمتع بالحواس العيون والنظر إلى القصور وخضرة الأشجار غير ممكن، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره.

وقال بعض الرفاء: ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحواس والقصور متسع في قلوبهم، بل تلك اللذة بالاضافة إلى لذة نعيم الجنة، كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق، بالاضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة، عند أهل المعرفة وأرباب القلوب، كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك، وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك، لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق.

### تتميم

### الزهد الحقيقي

لا تظنن أن كل من يترك مال الدنيا أنه زاهد، فان ترك المال واطهار التصديق والخشونة في المأكل والملبس سهل على من أحب المدح بالزهد. فكم من الرهبان والمرائين تركوا مال الدنيا وروضوا [7] أنفسهم كل يوم على قدر قليل من القوت، واكتفوا من المسكن بأى موضع اتفق لهم، وكان غرضهم من ذلك أن يعرفهم الناس بالزهد ويمدحهم عليه، فهم تركوا المال لنيل الجاه. فالزهد

---

7 [7] في بعض النسخ (ردوا)، وفي بعض آخر (رودوا). والظاهر أن الصحيح ما اثبتناه.

الحقيقي ترك المال والجاه، بل جميع حظوظ النفس من الدنيا. وعلامة ذلك استواء الغنى والفقر والذم والمدح والذل والعز لأجل غلبة الأُنس بالله، إذ ما لم يغلب على القلب الأُنس بالله والحب له لم يخرج عنه حب الدنيا بكليته. إذ محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء والهواء في القدر، فإذا دخل أحدهما خرج الآخر، فكلاهما لا يجتمعان ولا يرتفعان أيضاً. فالقلب المملوء من حب الدنيا يكون خالياً عن حب الله، كما أن القلب المشغول بحب الله وأُنسه فارغ عن حب الدنيا وبقدر ما يقدر ما يخرج أحدهما يدخل الآخر وبالعكس.

ومنها:

### الغنى

وهو وجود كل ما يحتاج إليه من الأموال، وهذا أقل مراتبه، وفوق ذلك مراتب لا تحصى، حتى ينتهي إلى جمع أكثر أموال الدنيا، كما اتفق لبعض الملوك.

ثم (الغنى) إما أن يكون بحيث يسعى في طلب المال وجمعه ويتعب في تحصيله ويكره خروجه عن يده ويتأذى به، وهذا غنى حريص. أو يكون بحيث لا يتعب ولا يسعى في تحصيله، إلا أنه لما أتاه أخذته وفرح به، مع تأذيه بفقده وكرهته له، وهذا أيضاً لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده أو يكون بحيث لا يتعب في طلبه ولا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ويتأذى بفقده، ولكن لما أتاه رضى به: إما مع تساوى وجوده وعدمه أو مع كون وجوده أحب إليه من عدمه، ومثله الغنى الراضي والقانع.

وأيضاً الغنى إما أن يكون جميع ماله حلالاً، أو يكون بعضه أو كله حراماً.

وأيضاً إما يمسكه غاية الإمساك، بحيث لا يؤدي شيئاً من حقوقه الواجبة والمستحبة، أو ينفقه في مصارفه اللائقة. وللانفاق مراتب شتى: ادناها أن يؤدي الحقوق الواجبة، واعلاها أن يبذل كلما يزيد عن أقل مراتب الغنى، بحيث لو تعدى عنه يسيراً صار فقيراً.

## فصل

### ذم الغنى

الغنى الحاصل من الحلال، مع بذل ما يفضل عن أقل مرتبته في المصارف اللائقة ومساواة وجوده وعدمه عند صاحبه، سالم من الآفات والأخطار. وغير ذلك من اقسامه لا يخلو عن آفة أو خطر، وحبه بعض أفراد حب الدنيا، بل هو راجع إلى حب المال بعينه، فيدل على ذمه ما ورد في ذمهما. وقد ورد في ذمه بخصوصه بعض الآيات والأخبار، قال الله سبحانه:

" إن الإنسان ليطغى أن رءاه استغنى " ٨ [8].

وقيل لرسول الله (ص): " أي امتك أشد؟ قال: " الأغنياء ". وقال (ص) لبلال: " ألق الله فقيراً، ولا تلقه غنياً ". وقال (ص): " يدخل الفقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام ". وقال (ص): " اطلعت على الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء. واطلعت على النار، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء ". وفي طريق: " فقلت: أين الأغنياء؟ فقال: حسبهم الجد ". وأوحى الله تعالى إلى موسى " يا موسى، إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً، فقل: ذنب عجلت عقوبته ". وروى: " أنه ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ". وقال عيسى (ع): " بشدة يدخل الغني الجنة ".

## فصل

### الفقر

ضد الغنى (الفقر). وهو فقد ما يحتاج إليه. ولا يسمى فقد ما لا حاجة إليه فقراً. فان عمم ما يحتاج إليه ولم يخص بالمال، لكان كل موجود ممكن محتاجاً، لاحتياجه إلى دوام الوجود وغيره من الحاجات المستفادة من الله سبحانه، وانحصر الغنى بواحد واجب لذاته ومفيد لوجود غيره من

الموجودات، أعنى الله سبحانه. فهو الغنى المطلق، وسائر الأشياء الموجودة فقراء محتاجون. وقد أشير إلى هذا الحصر في الكتاب الألهي بقوله تعالى:

" والله الغني وأنتم الفقراء " [9].

وإن خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء، بل من فقد المال الذي هو محتاج إليه كان فقيراً بالاضافة إليه، والفقير بهذا المعنى هو الذي نريد بيانه هنا.



## اختلاف أحوال الفقراء مراتب الفقر ومدحه الموازنة بين الفقر والغنى

### فصل

#### اختلاف أحوال الفقراء

(الفقير) إما أن يكون راغباً في المال محباً له، بحيث لو وجد إليه سبيلاً لطلبه، ولو بالتعب والمشقة، وإنما ترك طلبه لعجزه منه، ويسمى هذا فقيراً (حريصاً).  
أو يكون وجود المال أحب إليه من عدمه، ولكن لم يبلغ حبه له حداً يبعثه على طلبه، بل إن أتاه بلا طلب أخذه وفرح به، وإن افتقر إلى سعي في طلبه لم يشتغل به، ويسمى هذا فقيراً (قانعاً).  
أو يكون بحيث لا يحبه ولا يرغب فيه، ويكره وجوده ويتأذى به، ولو أتاه هرب منه، مبغضاً له ومحترزاً عن شره، ويسمى هذا فقيراً (زاهداً). فاعراضه عنه وعدم سعيه في محافظته وضبطه لو وجده، إن كان لخوف العقاب فهو (فقر الخائفين). وإن كان لشوق الثواب فهو (فقر الراجين). وإن كان لعدم التفاته اللازم لاقباله على الله تعالى بشرائره من دون غرض دنيوي أو آخروي فهو (فقر العارفين).

أو يكون بحيث لا يحبه حباً يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه، بل يستوى عنده وجوده وعدمه، فلا يفرح بحصوله ولا يتأذى بفقدته، بل كان راضياً بالحالتين على السواء، وغنياً عن دخوله وبقائه وخروجه من يده، من غير خوف من الاحتياج إذا فقد، كالحريص والقانع، ولا حذار من شره واضرارها إذا وجد كالزاهد. فمثله لو كانت أموال الدنيا باسرها في يده لم تضره، إذ هو يرى الأموال في خزائنه لا في يد نفسه، فلا تفريق بين أن تكون في يده أو في يد غيره، فيكون بحيث يستوى عنده المال والهواء المخلوق في الجو، فكما أن كثرة الهواء في جواره لا يؤذيه، ولا يكون قلبه مشغولاً بالفرار عنه ولا يبغضه، بل يستنشق منه بقدر الضرورة، ولا يبخل به على احد، فكذلك كثرة المال لا يؤذيه ولا يشغل قلبه، ويرى نفسه وغيره فيه على السواء في المالكية.

ومثله ينبغي أن يسمى (مستغنياً راضياً)، لاستغناؤه عنه وجوداً وهدماً، ورضائه بالحالتين من دون تفاوت، ومرتبته فوق الزاهد، إذ غاية درجة الزهد كمال الأبرار، وصاحب هذه المرتبة من المقربين، فالزهد في حقه نقصان، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين. والسر فيه: أن الزاهد كاره للدنيا، فهو مشغول بالدنيا، كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله، سواء كان بالحب أو بالبغض. فكل ما سوى الله، كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق. فكما أن التفات قلب العاشق إلى الرقيب وبغضه وكرهته حضوره نقص في العشق، فكذلك التفات قلب العبد إلى غير الله تعالى وبغضه. وكرهته نقصان في الحب والأنس، كما أن التفاتة بالحب نقص فيهما. إذ كما لا يجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة، فكذلك لا يجتمع فيه حب وبغض في حالة واحدة، فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها، وإن كان الثاني أسوأ حالاً من الآخر. إذ المشغول بحبها غافل في غفلته، سالك في طريق البعد، والمشغول ببغضها غافل، هو في غفلته سالك في طريق القرب، فيحتمل زوال غفلته وتبدلها بالشهود، فالكمال مرتقب له، إذ بغض الدنيا مظنة توصل العبد إلى الله.

وهرب الأنبياء والأولياء من المال، وفرارهم عنه، وترجيحهم فقده على وجوده - كما أشير إليه في بعض الأخبار والآثار -: إما نزول منهم إلى درجة الضعفاء ليقبضوا بهم في الترك، إذ الكمال في حقهم حب الترك وبغض الوجود، لأن مع وجوده يتعذر في حقهم استواء وجوده وفقده وكونه عندهم كماء البحر، فلو لم يظهر الأنبياء النفار والكرهة من المال وبقندي الضعفاء بهم في الأخذ لهلكوا. فمثل النبي كمثل المعزم الحاذق، يفر بين يدي أولاده من الحية، لا لضغفه عن أخذها، بل لعلمه بأنه لو أخذها لأخذها أولاده أيضاً إذا رأوها؛ وهلكوا. فالسير بسيرة الضعفاء صفة الأنبياء والأوصياء. أو غير الهرب والنفار اللازمين للبغض والكرهة وخوف الاشتغال به، بل كان نفارهم منه كنفارهم من الماء، على معنى أنهم شربوا منه بقدر حاجتهم، وتركوا الباقي في الشطوط والأنهار للمحتاجين، من غير اشتغال قلوبهم بحبه وبغضه. ألا ترى أنه قد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله وخلفائه، فأخذوها ووضعوها في موضعها، من غير هرب منه وبغض له، وذلك لاستواء المال والماء والحجر والذهب عندهم.

ثم تسمية صاحب هذه المرتبة بالفقير والمستغني لا يوجب التنافي، إذ إطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجاً إليه تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها، فانه أحق باسم العبد من الغافلين، وإن كان عاماً للخلق، ثم كل مرتبة من المراتب المذكورة للفقير، ما عدا الأخيرة، أعم من أن يكون بالغاً حد الاضطرار، بأن يكون ما فقده من المال مضطراً إليه، كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب، أم لا.

وأنت، بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعاني المذكورة، لم يشكلك عليك الجمع بين ما ورد في مدح الفقر - كما يأتي - وبين ما ورد في ذمه، كقوله (ص): " كاد الفقر أن يكون كفراً "، وقوله (ص): " الفقر الموت الأكبر ". وقول أمير المؤمنين (ع): " من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال: بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقعة في دينه، وقلة الحياء في وجهه فنعود بالله من الفقر! ".

## فصل

### مراتب الفقر ومدحه

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع إلى الزهد، وبعضها إلى ما هو فوقه، اعني الرضى والاستغناء، وبعضها إلى القناعة. ففضيلة هذه المراتب ظاهرة، والأخبار الواردة في فضيلة الزهد والرضى والقناعة تدل على فضيلة المراتب المذكورة من الفقر. وأما المرتبة الأولى المتضمنة للحرص، فهو أيضاً لا يخلو عن فضيلة بالنظر إلى الغنى المتضمن له والأخبار الواردة في مدح الفقر تتناول بعمومها جميع مراتبه، قال الله سبحانه:

" للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم [1]. وقال: " للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله... " الآية ٢ [2].

ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح، وقدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار، وفيه دلالة جلية على مدح الفقر [3]. وقال (ص): " خير هذه الأمة فقراؤها، وأسرعها تصعداً في الجنة ضعفائها ". وقال (ص): " اللهم احبني مسكيناً وأمتي مسكيناً، واحشني في زمرة المساكين ". وقال (ص): إن لي حرفتين اثنتين، فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر والجهاد ". وقال (ص): " الفقر، أزين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس ". وسئل عن الفقر، فقال: " خزنة من خزائن الله ". وسئل عنه ثانياً، فقال: " كرامة من الله ". وسئل عنه ثالثاً، فقال: " شيء لا يعطيه إلا نبياً مرسلأ أو مؤمناً كريماً على الله ". وقال (ص): " إن في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء، ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء، لا يدخل فيها إلا نبي فقير أو مؤمن فقير ". وقال: " يوم فقراء أمتي يوم القيامة وثيابهم خضر، وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت، وبأيديهم قضبان من نور يخطبون على المنابر، فيمر عليهم الأنبياء، فيقولون: هؤلاء من الملائكة، وتقول الملائكة: هؤلاء من الأنبياء فيقولون: نحن لا ملائكة ولا انبياء! بل من فقراء أمة محمد (ص)، فيقولون: بم نلتهم هذه الكرامة؟ فيقولون: لم تكن أعمالنا شديدة، ولم نصم الدهر، ولم نقم الليل، ولكن أقمنا على الصلوات الخمس، وإذا سمعنا ذكر محمد فاضت دموعنا على خدودنا " وقال (ص): " كلمني ربي فقال: يا محمد، إذا احببت عبداً أجعل له ثلاثة أشياء: قلبه حزيناً، وبدنه سقيماً، ويده خالية من حطام الدنيا. وإذا أبغضت عبداً، أجعل له ثلاثة أشياء: قلبه مسروراً وبدنه صحيحاً، ويده مملوءة من حطام الدنيا ". وقال (ص): " الناس كلهم مشتاقون إلى

١ [1]الحشر، الآية: ٨.

٢ [2]البقرة، الآية: ٢٧٣.

٣ [3]قال المحقق (الفيض) في (إحياء الأحياء): " لا دلالة في الآيتين على مدح الفقر، وإنما سيقنا لبيان ان مصرف المال انما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات ".

الجنة، والجنة مشتاقة إلى الفقراء ". وقال (ص): " الفقر فخري " وقال (ص): " تحفة المؤمن في الدنيا الفقر " وقال (ص): " يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الآخر إلى أخيه في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي! ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرمة والفضيلة. اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك في أو كساک في يريد بذلك وجهي، فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق. فيتخلل الصفوف. وينظر من فعل ذلك به ويدخله الجنة ". وقال (ص): " أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي، فان لهم دولة "، قالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: " إذا كان يوم القيامة، قيل لهم: انظروا إلى من اطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً، فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة ". وقال (ص): " ألا اخبركم بملوك أهل الجنة؟ " قالوا: بلى يا رسول الله! قال: " كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره ". ودخل (ص) على رجل فقير، ولم ير له شيئاً، فقال: " لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم ". وقال (ص): " إذا أبغض الناس فقراءهم، وأظهروا عمارة الدنيا، وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير، رماهم الله بأربع خصال: بالقط من الزمان، والجور من السلطان، والجنابة من ولادة الحكام، والشوكة من الأعداء "[4].

ورود من طريق أهل البيت (ع): " إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه، فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه. قيل: وما اقتناه؟ قال: لم يترك له أهلاً ولا مالاً ". وقال أمير المؤمنين (ع): " وكل الرزق بالحمق، ووكل الحرمان بالعقل، ووكل البلاء بالصبر " وقال الباقر (ع): " إذا كان يوم القيامة، أمر الله تعالى منادياً ينادي بين يديه: أين الفقراء؟ فيقوم عنق من الناس كثير، فيقول: عبادي! فيقولون: لبيك ربنا! فيقول: إني لم أفركم لهون بكم علي، ولكن إنما اخترتكم لمثل هذا اليوم. تصفحوا وجوه الناس، فمن صنع إليكم معروفاً لم يصنعه إلا في فكافوه عني بالجنة " وقال الصادق (ع): " لولا إلحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق، لنقلهم من الحال التي هم فيها إلى حال أضيقت منها ".

وقال (ع): " ليس لمصاص<sup>ه</sup>[5] شيعتنا في دولة الباطل إلا القوت، شرقوا إن شئتم أو غربوا، لن ترزقوا إلا القوت ". وقال (ع): " ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيراً ولا كافر إلا غنياً، حتى جاء إبراهيم (ع)، فقال:

" ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا "[6].

فصير الله في هؤلاء أموالا وحاجة ". وقال (ع): " إن فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفاً ". ثم قال: " سأضرب لك مثل ذلك: انما مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر، فنظر في إحداهما فلم ير فيها شيئاً، فقال: اسربوها. ونظر في الأخرى، فإذا هي موقرة، فقال: احبسوها ". وفي بعض الأخبار فسر الخريف بألف عام، والعام بألف سنة. وعلى هذا، فيكون المراد من أربعين خريفاً أربعين الف الف عام. وقال الصادق (ع): " المصائب منح من الله، والفقير مخزون عند الله ": أي المصائب عطايا من الله يعطيها عباده، والفقير من جملتها مخزون عنده عزيز لا يعطيه إلا من خصه بمزيد العناية. وقال (ع): " إن الله عز وجل يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر إليهم، فيقول: وعزتي وجلالي! ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي، ولترون ما أصنع بكم اليوم، فمن زود منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فأدخلوه الجنة "، قال " فيقول رجل منهم: يا رب، إن أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم، فنكحوا النساء، ولبسوا الثياب اللينة، وأكلوا الطعام وسكنوا الدور، وركبوا المشهور من الدواب. فأعطني مثل ما أعطيتهم. فيقول تبارك وتعالى: لك ولكل عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا إلى أن انقضت الدنيا سبعون ضعفاً ". وقال (ع): " إن الله جل ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزتي وجلالي! ما أحوجتك في الدنيا من هوان كان بك على فارفع هذا السجف، فانظر إلى ما عوضتك من الدنيا. قال: فيرفع، فيقول: ما ضرني ما منعتني ما عوضتني ". وقال (ع): " إذا كان يوم لقيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة، فيضربوا

ه [5]المصاص: خالص كل شيء. قاله الجوهري.

٦ [6]الممتحنة، الآية: ه.

باب الجنة فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الفقراء، فيقال لهم: اقبلوا الحساب فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه، فيقول الله عز وجل: صدقوا، ادخلوا الجنة ". وقال - لبعض اصحابه: " أما تدخل للسوق؟ أما ترى الفاكهة تباع والشيء مما تشتهيهِ؟ فقلت: بلى! فقال: أما إن لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراء حسنة ". وقال الكاظم (ع): " إن الله عز وجل يقول: إن لم اغن الغني لكرامة به علي، ولم أفقر الفقير لهوان به علي، وهو مما ابتليت به الأغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة "[7]٧. وقال (ع): " إن الأنبياء وأولاد الأنبياء واتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال: السقم في الأبدان وخوف السلطان، والفقير ". وقال الرضا (ع): " من لقي فقيراً مسلماً وسلم عليه خلاف سلامه على الغني، لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان ". وقال (ع): " الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة " وقال موسى (ع) في بعض مناجاته: " إلهي من أحبائك من خلقتك حتى أحبهم لأجلك؟ فقال: كل فقير " وقال عيسى (ع): " إن أحب الأسامي إلي أن يقال: يا مسكين " وقال بعض الصحابة: " ملعون من أكرم الغني وأهان الفقير ". وقال لقمان لابنه: " لا تحقرن أحداً لخلقنا ثيابه، فإن ربك ورببه واحد ".

ومما يدل على فضيلة الفقر، إذا كان مع الرضى أو القناعة أو الصبر أو الصدق أو الستر، قوله (ص): " يا معشر الفقراء: اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم، فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم ". وقوله (ع): " إن أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى ". وقوله (ص): " لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً "، وقوله (ص): " يقول الله تعالى يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: من هم يا ربنا؟ فيقول: فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري، ادخلوهم الجنة. فيدخلونها، ويأكلون ويشربون، والناس في الحساب يترددون ". وقوله (ص): " ما من أحد، غني ولا فقير، إلا ود يوم القيامة انه كان أوتى قوتا في الدنيا " وقوله (ص): " طوبى للمساكين بالصبر! وهم الذين يرون ملكوت السماوات والأرض ". وقوله (ص): " من جاع أو احتاج، فكتمه عن الناس وافشاه إلى الله تعالى، كان حقاً على الله ان

يرزقه رزق السنة من الحلال". وقوله (ع): " إن لكل شيء مفتاحاً، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصابرين وهم جلساء الله يوم القيامة ". وما روى: " ان الله أوحى إلى إسماعيل (ع): " اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي. قال: ومن هم؟ قال الفقراء الصادقون ". وقال رسول الله (ص) لأمير المؤمنين (ع): " يا علي، إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه، فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل أجر الصائم القائم، ومن أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله أما إنه ما قتله بسيف ولا رمح ولكنه قتله بما نكأ من قلبه ".

ثم لا ريب في أن كل من لم يجد القوت من التعفف وستر احتياجه هذا وصبر ورضى يكون داخلاً تحت هذه الأخبار وتثبت له الفضيلة التي وردت فيها، ولا ريب في أن هذه صفة لا توجد في الف الف واحد.

وأما الفقير الحريص الذي يظهر فقره ويجزع معه، فظاهر بعض الأخبار وإن تناوله، إلا أن الظاهر خروجه منها كما أومأت إليه بعض الأخبار المذكورة وإن كان أحسن حالاً من الغني الذي مثله في الحرص.

## فصل

### (الموازنة بين الفقر والغنى)

لا ريب في أن الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ أفضل من الغنى مع الحرص والامسك، كما لا ريب في أن الغنى مع الأنفاق وقصد الاستعانة على العبادة أفضل من الفقر مع الحرص والجزع، وإنما وقع الشك في الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع:

(الأول) في الترجيح بين الفقر مع الصبر، والقناعة والغنى مع الأنفاق، وقصد الاستعانة على العبادة، فقال قوم إن الأول أفضل، لما روى: " أن رسول الله (ص) قال لأصحابه: أي الناس خير؟ فقالوا: موسر من المال يعطى حق الله تعالى من نفسه وماله، فقال نعم الرجل هذا وليس به المراد، قالوا فمن خير الناس يا رسول الله؟ فقال: فقير يعطي جهده " وما روى: " أن الفقراء بعثوا رسولاً



إلى رسول الله (ص) فقال: إني رسول الفقراء إليك، فقال: مرحباً بك وبمن جئت من عندهم، جئت من عند قوم أحبهم، فقال: قالوا إن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه، ويعتمرون ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم، فقال النبي (ص): بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء: أما (الأولى) فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء، لا يدخلها إلا نبي فقير، أو شهيد فقير، أو مؤمن فقير، (والثانية) يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام. (والثالثة) إذا قال الغني: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال الفقير مثل ذلك، لم يلحق الغنى بالفقير وإن انفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها، فرجع إليهم، فقالوا رضيونا ".

وقال آخرون: الثاني أفضل، لأن الغنى من صفات الربوبية، والفقير من لوازم العبودية، ووصف الحق أفضل من وصف العبد.

(واجيب عنه) بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالأسباب والأغراض وغنى العبد بهما إذ هو غنى بوجود المال ومفتقر إلى بقاءه، فأنى يكون الغنى الذي يتصف العبد به من أوصاف الربوبية، نعم الغنى بمعنى الاستغناء من وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوي كلاهما عنده يشبهه أوصاف الحق، إلا أنك قد عرفت أنه نوع من الفقر، وبأن التكبر من أوصاف الربوبية، فينبغي أن يكون أفضل من التواضع، مع أن الأمر ليس كذلك، بل الحق أن الأفضل للعبد إنما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء، إذ صفات الربوبية لا ينبغي أن ينافر فيها، ولذلك قال الله سبحانه: " والعظمة ازارى، والكبرياء ردائي، فمن نازعنى فيهما قصمته ". وعلى هذا فالفقر أفضل من الغنى.

والحق أن ترجيح واحد من صفات الربوبية وصفات العبودية على الآخر للعبد على الإطلاق غير صحيح، إذ كما ينتقض ترجيح الأولى على الثانية بالتكبر ينتقض العكس بالعلم والمعرفة والجهل والغفلة، فإن العلم من صفات الربوبية، والجهل من صفات العبودية، مع أن الأول أفضل من الثاني ضرورة.

والحق أن الأفضل من الفقر والغنى مالا يشغل العبد عن الله، فإن كان الفقر يشغله فالغنى أولى به، وإن كان الغنى يشغله عن الله فالفقر أولى به، وذلك لأن الغنى ليس محذوراً بعينه، بل لكونه

عائقاً عن الوصول إلى الله، والفقر ليس مطلوباً لذاته، بل لعدم كونه عائقاً عن الله، وليس مانعية الأول وعدم مانعية الثاني كلياً، إذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد وكم من غني لا يصرفه الغنى عنه، إذ الشاغل ليس إلا حب الدنيا لمضادته حب الله تعالى، والمحب للشئ مشغول به، سواء كان في وصاله أو في فراقه. فاذن فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال وجوداً وهدماً، فان تساويهما فيه تساوت درجاتهما. وإن تفاوتتا فيه فأيهما أقل تعلقاً درجته أعلى وأفضل، بل مع وجود تعلق لهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من المال أفضل من فقده، إذ الجائع يسلك سبل الموت لا سبيل المعرفة والطاعة، ومع عدم تعلق قلبهما أصلاً بحيث يستوي عندهما وجود المال وعدمه كان المال عندهما كهواء الجو وماء البحر - وبالجملة حصلت لهما المرتبة الأخيرة من الفقر، أعني الاستغناء والرضا - كان الواحد أفضل من الفاقدين، لاستوائهما في عدم الالتفات إليه، ومزية الواحد باستفادة ادعية الفقراء والمساكين. ثم الحكم بانقطاع القلب رأساً عن المال وجوداً وهدماً إنما يتصور في الشاذ النادر الذي لا يسمح الدهر بمثله إلا بعد ازمنة متطاولة، وقلوب جل الناس غير خالية عن حب المال والتعلق به فتفصيل القول بأفضلية من هو أقل تعلقاً بالمال، واستواء درجاتهما مع استوائهما في التعلق، ومزية الواحد على الفاقدين مع انقطاع قلبهما بالكلية عنه مزلة الأقدام وموضع الغرور، إذ الغني ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به، وإنما يشعر به إذا فقده، فما عدا الأنبياء والأولياء وشرذمة قليلة من أكابر الأتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الدنيا إذ جربوا أنفسهم باخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون وليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا، وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الناس وأفضل، لأنه عن الخطر أبعد، إذ فتنة السراء من فتنة الضراء أشد، وعلاقة الفقير وانسه بالدنيا غالباً اضعف، وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره وعبادته، إذ حركات اللسان والجوارح ليست مرادة لا عيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور وتأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ عن غير المذكور أشد من تأثيرها في قلب مشغول، ولهذا وردت الأخبار مطلقة في فضل الفقر على الغنى، وفي فضل الفقراء على الأغنياء.

(الثاني) في الترجيح بين الفقر مع الحرص والجزع، والغنى مع الحرص والامساك. والتحقيق فيه أن مطلوب الفقير إن كان ما لا بد منه في المعيشة وكان حرصه في تحصيل هذا القدر دون الزائد منه وكان قصده الاستعانة به على الدين، وكذا كان حرص الغني وامساكه في هذا القدر بهذا القصد، فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لاضطراره في طلب القوت، وهو أولى بالترجيح إذا كان قصد الغني ذلك وكان مطلوب الفقير فوق الحاجة، أو قدر الحاجة بدون قصد الاستعانة به إلى أمر الدين. وإن كان مطلوب كل منهما فوق الحاجة أو لم يكن قصدهما الاستعانة به على أمر الدين، فالفقد أصلح وأفضل، لانهما استويا في احرص وحب المال، وفي عدم قصد الاستعانة به على الدين، لكنهما افترقا في ان الواجد يتأكد حب الدنيا في قلبه، ويطمئن إليها لأنسه بها، والفاقد يتجافى قلبه عنها اضطراراً، أو تكون الدنيا عنده كالسجن الذي يطلب الخلاص منه. وهو أولى وأحرى بالترجيح، إذا كان قصد الفقير ذلك وكان قصد الغني فوق الحاجة، أو قدر الحاجة بدون الاستعانة به على أمر الدين.

(الثالث) في الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه، وغني هو دونه في الحرص على حفظ المال، وتفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده، والظاهر حينئذ كون الفقير اسوأ حالاً، إذ البعد عن الله بقدر قوة التفجع بفقد المال، والقرب بقدر ضعف التفجع به.

---

ما ينبغي للفقير  
وظيفة الفقراء  
موارد قبول العطاء وردها  
لا يجوز السؤال من غير الحاجة  
الحرص  
القناعة

## فصل

### ما ينبغي للفقير

ينبغي للفقير ألا يكون كارهاً للفقير من حيث إنه فعل الله ومن حيث انه فقير، بل يكون راضياً به طالباً له فرحاناً به لعلمه بغوائل الغنى، وأن يكون متوكلاً في باطنه على الله، واثقاً به في اتيان قدر ضرورته، ويكون قانعاً به كارهاً للزيادة عليه، منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت إلى ما في أيديهم، وغير حريص على اكتساب المال كيف كان، وان يكون صابراً شاكراً على فقره، قال أمير المؤمنين (ع): " إن لله عقوبات بالفقر، ومثوبات بالفقر، فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه، ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالى على فقره ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه، ويعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية، ويتسخط بالقضاء"، وهذا يدل على أن كل فقير ليس مثاباً على فقره، بل من يرضى بفقره، ويفرح به، ويقنع بالكفاف، ويقصر الأمل، وإن لم يرض به وتشوف إلى الكثرة وطول الأمل، وفاته عز القناعة، وتدنس بذل الحرص والطمع، وجره الحرص والطمع إلى مساوى الاخلاق، وارتكاب المنكرات الخارقة للمرات حبط أجره وكان آثماً قلبه.

وينبغي أن يظهر التعفف ويستتر الفقر ويستتر أنه يستتر وألا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم، ولا يتواضع لهم لاجل غناهم بل يتكبر عليهم. قال أمير المؤمنين (ع): " ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله، واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله " وألا يسكت

عن ذكر الحق مدهنة للاغنياء، وطمعاً بما في أيديهم، ولا يفتر بسبب فقره عن عبادة الله، ويبدل قليل ما يفضل عنه، فان ذلك جهد المقل، وفضله اكثر من أموال كثيرة يبذلها الغني، قال رسول الله (ص): " درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف دينار ". قيل وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " اخرج رجل من عرض ماله مائة الف دينار يتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائة الف دينار " وينبغي ألا يدخر ازيد من قدر الحاجة، فإن لم يدخر اكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين، وإن لم يدخر اكثر من قوت أربعين يوماً كان من المتقين، وإن لم يدخر اكثر من قوت سنة - وهو الفضل المشترك بين الفقر والغنى - كان من الصالحين، ولو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء.

## فصل

### وظيفة الفقراء

ما يعطى الفقير بغير سؤاله: إن كان (حراماً أو شبهة) وجب عليه رده والاجتناب عنه، وإن كان (حلالاً)، فان كان (هدية) استحب قبوله تأسياً برسول الله (ص) إن لم تكن فيه منة، ولو كانت فيه منة فالأولى تركه. وما كان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئاً يقول اتركه عندك، وانظر إن كنت انا بعد قبوله في قلبك أفضل منى قبل القبول فاخبرني حتى آخذه وإلا فلا، وعلامة ذلك أن يشق على المعطى رده، ويفرح بالقبول، ويرى المنة على نفسه في قبوله، وإن كان (صدقة أو زكاة) أو غير ذلك مما يكون للثواب المحض، فينبغي أن ينظر في استحقاقه لذلك، فان كان من أهله قبله وإلا رده، وإن كان المعطي أعطاه لوصف يعلمه فيه كعلم أو ورع أو كونه علوياً، ولو لم يكن له هذا الاختصاص لنفر طبعه، ولما تقرب إلى الله باعطائه، ولم يكن هو باطناً كذلك فأخذه حرام، وإن لم يكن هدية ولا صدقة بل أعطاه للشهرة والرياء والسمعة فينبغي أن يرد عليه ولا يقبله، والا كان معيناً له على غرضه الفاسد، والاعانة على الإثم اثم.

## فصل

### موارد قبول العطاء وردّها

ما يعطى الفقير ان كان محتاجاً إليه ولم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ إذا سلم من الآفات المذكورة، قال رسول الله (ص): " ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً "، وقال (ص): " من أتاه شئ من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله إليه فلا يردّه "، وان كان زائداً على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالباً طريق الآخرة، إذ الزيادة على قدر الحاجة إنما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه، وقدّر الحاجة يأتيك رفقا بك، فأنت في اخذ قدر الحاجة مثاب، وفيما زاد عليه إما عاص أو معترض للحساب، قال رسول الله (ص): " لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثب يوارى عورته، وبيت يسكنه فما زاد فهو حساب "، فلا ينبغي لطالب السعادة أن يأخذ الأزيد من الحاجة، إذ النفس إذا رخصت في نقض العزم والعهد ألفت به، وردّها بعد الالف والعادة مشكل.

والحاصل أن أخذ قدر الحاجة راجح لكونه مما لا بد منه، وإيجابه ثواب المعطي، ولذلك لم أمر موسى بن عمران (ع) بأن يفطر عند بني إسرائيل قال: إلهي ما بالي فرقت رزقي على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة، فأوحى الله إليه: " هكذا أصنع بأوليائي أجري ارزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم ". فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث انه مسخر مأجور.

وأما أخذ الزيادة على قدر الحاجة فليس مما ينبغي، من كان حاله التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم، لما في طبعه من البذل والسخاء والرفق والعطاء، فيجوز له اخذ الزيادة لبيدائها على المستحقين، ولكن يلزم أن يبادر إلى الصرف إليهم ولا ينبغي أن يدخر، إذ في امساكه ولو في يوم واحد أو ليلة واحدة فتنة واختبار، فربما مالت النفس إلى الامساك ويصير وبالاً عليها، وقد نقل أن جماعة تصدوا لخدمه الفقراء والتكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأمارة باعانة الشيطان فاتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال، والتنعم في المطعم والمشرب، وانجر أمرهم إلى الهلاك.

## فصل

### لا يجوز السؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن ألا يسأل الناس من غير حاجة اضطر إليها، بل يستعف عن السؤال ما استطاع، لأنه فقر معجل وحساب طويل يوم القيامة. والأصل فيه التحريم لتضمنة الشكوى من الله، واذلال السائل نفسه عند غير الله، وإيذاء المسؤول غالباً، إذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب، وبعد السؤال ألجأ الحياء أو الرياء إليه، ومعلوم أن الاعطاء استحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه إلى البخل لا يكون له حلية شرعاً.

ولتضمنه هذه المفساد ورد في الشريعة المنع منه، قال رسول الله (ص): "مسألة الناس من الفواحش"، وقال (ص): "من سأل عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم، ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم" وقال (ص): "من سأل الناس وعنده قوت ثلاثة أيام لقي الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم" [1] وقال (ص): "ما من عبد فتح على نفسه باباً من المسألة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر". وقال: "إن المسألة لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفضع" وقال: "السؤال عن ظهر صداع في الرأس، وداء في البطن". وقال: "من سأل الناس أموالهم تكثرأ فانما هي جمرة فليستقل منه أو ليستكثر".

**وروى:** "أنه جاءت فخذ من الانصار إلى رسول الله (ص) فسلموا عليه فرد عليهم السلام، فقالوا يا رسول الله ان لنا إليك حاجة فقال: "هاتوا حاجتكم" فقالوا إنها حاجة عظيمة فقال: "هاتوها ما هي" قالوا: تضمن لنا على ربك الجنة، فنكس رأسه، ثم نكت [2] في الأرض، ثم رفع رأسه فقال: "أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا احداً شيئاً"، فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه، فيكره أن يقول لإنسان ناولنيه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه، ويكون على المائدة ويكون بعض الجلساء

١ [1] روى هذا الحديث عنه عن الصادق (ع) (الوسائل كتاب الزكاة أبواب الصدقة الباب ٣٢ الحديث ٥).

٢ [2] نكت الأرض بقضيب أو بإصبعه: ضربها به حال التفكير فكثر فيها.

أقرب إلى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب " [3] وبايع (ص) قوماً على السلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة، ثم قال لهم خفية: " ولا تسألوا الناس شيئاً "، فكان بعد ذلك تقع المحفرة من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها: وكان (ص) يأمر غالباً بالتعفف عن السؤال، ويقول: " من سألنا أعطيناها، ومن استغنى أعناه الله، ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا " وقال: " وما قل من السؤال فهو خير " قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: " ومني " وقال: " لو أن أحدكم أخذ حبلاً فباتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويكف بها وجهه، خير له من أن يسأل ".

وقال سيد الساجدين (ع): " ضمنت على ربي أنه لا يسأل أحد احداً من غير حاجة إلا اضطرته المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة " ونظر عليه السلام يوم عرفة إلى رجال ونساء يسألون، فقال " هؤلاء شرار خلق الله، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس " . وقال الباقر (ع): " أقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر "، وقال الصادق (ع): " طلب الحوائج إلى الناس استلاب [4] للعز ومذهبة للحياء، واليأس مما في أيدي الناس عز للمؤمن في دينه، والطمع هو الفقر الحاضر " . وقال الصادق (ع): لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد احداً، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحد احداً " . وقال: " من سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر " .

ثم المنع والتحريم إنما هو في السؤال بدون الاضطرار، وأما مع الحاجة والاضطرار فلا ريب في جوازه، وقد وردت به الرخصة، قال الله سبحانه:

" وأما السائل فلا تنهر " [5].

٣ [3] صححنا الحديث على الوسائل (كتاب الزكاة أبواب الصدقة الباب ٣٣ الحديث ٤) ويرويه عن الكافي.

٤ [4] الاستلاب بمعنى السلب، وهو من باب الافتعال.

٥ [5] الضحى، الآية: ١٠.



وقال رسول (ص): " لا تردوا السائل ولو بشق تمره " وقال (ص): " لولا أن السائل يكذب ما قدس من ورده " وقال (ص): " للسائل حق وإن جاء على الفرس " وقال (ص): " لا تردوا السائل ولو بظلف محترق " [6]. ولو كان السؤال مطلقاً حراماً لما أجاز الله ورسوله إعانة العاصي على معصيته.

ثم الحاجة المجوزة للسؤال: ما بلغت حد الاضطرار، كسؤال الجائع الخائف على نفسه بالموت أو المرض لو لم يصل إليه قوت، وسؤال العاري الذي بدنه مكشوف ويخاف من الحر والبرد - أولم تبلغ إليه، وهي إما حاجة (مهمة) كالاحتياج إلى الجبة في الشتاء بحيث لولاها لتأذى بالبرد تأدياً لا ينتهي إلى حد الضرورة، والاحتياج إلى الكري مع القدرة على المشي مع المشقة، أو حاجة (خفيفة) كالاحتياج إلى الأدام مع وجود الخبز - فالظاهر جواز السؤال في جميع ذلك (مع رجحانه في الأول، وإباحته في الثاني، ومرجوحيته في الثالث)، بشرط إخلائه عن المحذورات المذكورة، أعني الشكوى والذل والإيذاء، وتندفع هذه المحذورات بأن يظهر حاجته تعريضاً بعد تقديم الشكر لله، وإظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الأصدقاء أو الأسخياء، إذ السؤال من الصديق لا يوجب الإذلال والسخي لا يتأذى بالسؤال بل يفرح به.

ثم ما ذكر إنما هو في السؤال للاحتياج إليه بعد النسبة لما يحتاج إليه في الحال، وأما السؤال لما يحتاج إليه في الاستقبال، فإن كان يحتاج إليه بعد السنة فهو حرام قطعاً، وإن كان يحتاج إليه قبلها، سوء كان بعد اربعين يوماً من يومه أو خمسين أو أقل أو أكثر، فإن أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجة فلا يحل له السؤال، وإن علم بأنه لا يتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهة والمرجوحية، وكلما كان تراخي الحاجة عن يومه أكثر كانت الكراهة أشد. ثم معرفة درجات الحاجة وضعفها وشدتها والوقت الذين يحتاج فيه موكول إلى العبد ومنوط باجتهاده ونظره لنفسه بينه وبين الله، فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخرة، وكلما كان يقينه أقوى، وثقته بمجىء الرزق أتم، وقناعته بقوت الوقت اظهر، فدرجته عند الله أعلى.

فيا حبيبي، لا تهبط نفسك من اوج التوكل والاعتماد على الله إلى حضيض الخوف والاضطراب في مجيء رزقك، ولا تصغ إلى تخويف الشيطان، فانه يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، وكن مطمئنا بوعد ربك إذ قال:

" والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً "[7]٧.

واسمع قول نبيك (ص) حيث قال: " لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطيور، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً ".

ومنها:

### الحرص

وهو معنى راتب في النفس، باعث على جميع مالا يحتاج إليه ولا يفيد من الأموال، من دون أن ينتهي إلى حد يكتفى به، وهو أقوى شعب حب الدنيا واشهر انواعه. ولا ريب في كونه ملكة مهلكة وصفة مضلة بل بادية مظلمة الأرجاء والاطراف، وهاوية غير متناهية الاعماق والاكفاف من وقع فيها ضل وباد، ومن سقط فيها هلك وما عاد. والتجربة والاعتبار والابخار والآثار متظاهرة على أن الحريص لا ينتهي إلى حد يقف دونه، بل لا يزال يخوض في غمرات الدنيا إلى أن يغرق، وتطرحة ارض إلى ارض حتى يهلك. قال رسول الله (ص): " لو كان لابن آدم واديان من ذهب، لابتغى وراءهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب ". وقال (ص): " منهومان لا يشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال ". وقال (ص): " يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان: الحرص، وطول الامل " وقال أبو جعفر الباقر (ع): " مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج، حتى تموت غماً ". وقال الصادق (ع): " إن فيما نزل به الوحي من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضة لابتغى لهما

ثالثاً. يا ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور وواد من الاودية، لا يملأه شيء إلا التراب " وقال بعض الأكابر: " من عجيب أمر الإنسان، انه لو نودى بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال ". ثم ما ورد من الأخبار في ذمه اكثر من أن تحصى، ولا حاجة إلى ايرادها لاشتهارها. وقال الباقر (ع): " رب حريص على أمر قد شقى به حين أتاه، ورب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه ". وأي خسران أشد من أن يسعى الإنسان في طلب به هلاكه؟ رأي تأمل في أن كلما يحرص عليه الإنسان من اموال الدنيا يكون مهلكاً له!؟

## فصل

### القناعة

ضد الحرص (القناعة). وهي ملكة للنفس: توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه، وهي صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل، وعدمها يؤدي بالعبد إلى مساوئ الأخلاق والرذائل، وهي المظنة للوصول إلى المقصد وأعظم الوسائل لتحصيل سعادة الابد، إذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس، ويقتصر على أقله قدرأ أو أخسه نوعاً، ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره، ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك، كان فارغ البال مجتمع الهم، فيتمكن من الاشتغال بأمر الدين وسلوك طريق الآخرة، ومن فاتته القناعة، وتدنس بالحرص والطمع وطول الأمل، وخاض في غمرات الدنيا، تفرق قلبه وتشتت أمره. فكيف يمكنه التثمر لتحصيل أمر الدين والوصول إلى درجات المتقين؟ ولذلك ورد في مدح القناعة ما ورد من الأخبار، قال رسول الله (ص): " طوبى لمن هدى للإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع به! ". وقال: " ما من احد، من غني ولا فقير، إلا ود يوم القيامة أنه كان اوتى قوتاً في الدنيا ". وقال (ص): " أيها الناس، اجملوا في الطلب، فانه ليس للعبد إلا ما كتب له في الدنيا، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة " وقال (ص): نفت روح القدس في روعي: أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها. فاتقوا الله واجملوا في الطلب ". وقال (ص): " كن ورعاً تكن

أعبد الناس وكن قانعاً تكن أشكر الناس، واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً "وفي الخبر  
القدسي: " يا ابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا اعطيتك منها القوت  
وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن ". وروى: " ان موسى سأل ربه تعالى، وقال: أي  
عبادك أغنى؟ قال: اقنعهم لما اعطيتهم ". وقال أمير المؤمنين (ع) " ابن آدم، إن كنت تريد من الدنيا  
ما يكفيك، فان ايسر ما فيها يكفيك وإن كنت إنما تريد مالا يكفيك، فان كل ما فيها لا يكفيك ". وقال  
أبو جعفر (ع): " إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه (ص):  
" فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم " [8]٨. وقال: " ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم  
زهرة الحياة الدنيا " [9]٩.

فان دخلك من ذلك شيء، فانكر عيش رسول الله (ص) فانما كان قوته الشعير - وحلواه التمر،  
ووقوده السعف إذا وجده " [10]١٠ وقال: " من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس. وقال  
الصادق (ع): " من رضي من الله باليسير من المعاش رضى الله عنه باليسير من العمل ". وقال: "   
مكتوب في التوراة: ابن آدم، كن كيف شئت كما تدين تدان، من رضى من الله بالقليل من الرزق  
قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج  
من حد الفجور ". وقال: " إن الله عز وجل يقول: يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه، وذلك أقرب  
له مني، ويفرح عبدي المؤمن إن وسعت عليه، وذلك أبعد له مني ". وقال: " كلما ازداد العبد إيمانا  
ازداد خيفاً في معيشته ". والأخبار الواردة في فضيلة القناعة اكثر من أن تحصى، وما أوردناه  
كاف لاهل البصيرة.

٨ [8]التوبة، الآية: ٥٦.

٩ [9]طه، الآية: ١٣١.

١٠ [10]صححنا الحديث وما قبله على ما في (الكافي): باب القناعة، وكذا الحديثين  
المذكورين بعده. إلا أن هذا الحديث مروى في (الكافي) عن أبي جعفر (ع). وروى  
في (الوسائل) عن كتاب الزهد، في أبواب جهاد النفس من كتاب الجهاد: الباب ٦١  
الحديث ١١، ما يقرب من عبارة هذا الحديث عن أبي عبدالله (ع).



## علاج الحرص

### الطمع

### الاستغناء عن الناس

البخل

ذم البخل

السخاء

معرفة ما يجب أن يبذل  
الايثار

## فصل

### علاج الحرص

طريق المعالجة في إزالة الحرص وتحصيل القناعة: أن يتذكر أولاً ما في القناعة من المدح والشرافة، وعز النفس وفضيلة الحرية، وما في الحرص من الذم والمهانة، وتحمل الذلة ومتابعة الشهوة. ويعرف أن من لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن، فهو قليل العقل ناقص الإيمان. ثم يتذكر ما في جمع المال من الآفات الدنيوية والعقوبات الأخروية، ويكثر التأمل فيما مضى عليه عظماء الخلق وأعز اصنافهم، أعنى الأنبياء والأوصياء ومن سار بسيرتهم من السلف الأتقياء، من صبرهم على القليل، وقناعتهم باليسير، وفيما يجري عليه الكفار من الهندو واليهود والنصارى وأراذل الناس واغنيائهم وامثالهم، من التمتع وجمع المال الكثير. وبعد هذا التأمل لا أظنه يشك في أن الاقتداء بأعز الخلائق أحسن من الاقتداء بأرذلهم، بل المتأمل يعرف أن الحريص المتكالب على لذات الدنيا خارج عن افق الإنسانية، وداخل في جريدة البهائم، إذ الحرص على شهوات البطن والفرج من لوازم البهيمية، واحرص الناس على الشهوات لا يبلغ رتبة البهائم في ذلك. فما من حريص على التمتع في البطن إلا والحمار أكثر أكلا منه، وما من حريص على الجماع إلا والخنزير أشد نزواً منه. فظهر ان الحريص في مرتبة الخنزير والحمير واليهود والهندو، والقانع لا يساهمه في

الرتبة إلا الأنبياء والأولياء. وبعد التأمل في جميع ما ذكر، يتم العلاج العلمي، وبه تسهل إزالة الحرص واكتساب القناعة. فليبادر إلى العلاج العملي، وهو العمل بالاقتصاد في أمر المعيشة، ليسد أبواب الخرج ما أمكن ورد النفس إلى ما لا بد منه. فان من كثر خرجه واتسع انفاقه، لم تمكنه القناعة، فان كان وحده، اكتفى بثوب خشن، ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الأدمام ما أمكنه، وهكذا الحال في سائر ما يضطر إليه ويوطن نفسه عليه. وان كان له عيال رد كل واحد منهم إلى هذا القدر. وإذا بنى أمره على الاقتصاد، لم يحتج إلى كثير جهد وإن كان معيلاً. قال رسول الله (ص): " ما عال من اقتصد "[1]١. وقال (ص): " ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغناء والفقر، والعدل في الرضا والغضب ". وقال: " التدبير نصف المعيشة ". وقال: " من اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله ". وقال " الاقتصاد، وحسن الصمت، والهدى الصالح، جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة ". وقال أمير المؤمنين (ع): " القصد مئرة والسرف متواة "[2]٢. وقال السجاد (ع): " لينفق الرجل بالقصد وبلغه الكفاف، ويقدم منه الفضل لآخرته، فان ذلك أبقى للنعمة وأقرب إلى المزيد من الله تعالى، وانفع في العافية ". وقال الصادق (ع): " إن القصد أمر يحبه الله، وأن السرف أمر يبغضه الله، حتى طرحك النواة، فانها تصلح لشيء، وحتى صبك فضل شرابك "[3]٣ وقال (ع): " ضمننت لمن اقتصد ألا يفتقر " وقال (ع): " إن السرف يورث الفقر، وان القصد يورث الغناء ". والأخبار في مدح الاقتصاد أكثر من أن تحصى.

١ [1] روى في (سفينة البحار): ٢: ٤٣١، عن أمير المؤمنين (ع) مثل هذا الحديث هكذا: " ما عال امرؤ اقتصد "، وكذا في (بحار الأنوار): ٢ مج ١٥/١٩٩.

٢ [2] صححنا الحديث على ما في (الوافي)

٣ [3] صححنا الحديث على ما في (الوافي): ٢٤٥/٥.

ثم إذا تيسرت له المعيشة في الحال، فلا ينبغي أن يكون مضطرباً لاجل الاستقبال، ويعتمد على فضل الله ووعده بأن الرزق الذي قدر له يأتيه وإن لم يكن حريصاً ولا مضطرباً لأجله ولا يعلم لنفسه مدخلاً يأتي رزقه منه. وقال الله تعالى:

" وما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها "٤ [4]. وقال: " ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب "٥ [5].

وقال رسول الله (ص): " أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ".

ثم ينبغي ألا ينظر إلى من هو فوقه، بل ينظر إلى من هو دونه في التمتع وفي مال الدنيا، فإن الشيطان يصرف نظره في أمر الدنيا إلى من هو فوقه، ويقول: لم تفتر عن طلب الدنيا وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس؟ ويصرف نظره في أمر الدين إلى من هو دونه، ويقول: لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك ولا يخاف الله؟ قال أبو ذر (ره): " أوصاني خليلي رسول الله أن انظر إلى من هو دوني، لا إلى من هو فوقي في الدنيا " . وقال (ص): " إذا نظر احدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه " .

ومنها:

### الطمع

وهو التوقع من الناس في أموالهم، وهو أيضاً من شعب حب الدنيا ومن انواعه، ومن الرذائل المهلكة، قال رسول الله (ص): " اياك والطمع، فانه الفقر الحاضر " . وقال أمير المؤمنين (ع): " استغن عن شئت تكن نظيره، وارغب إلى من شئت تكن اسيره، واحسن

٤ [4]هود، الآية: ٦.

٥ [5]الطلاق، الآية: ٢ - ٣.



إلى من شئت تكن اميره ". وقال الباقر (ع): " بئس العبد عبد له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله " وقيل للصادق (ع): ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: " الورع والذي يخرج منه الطمع " [6] والأخبار في ذم الطمع كثيرة، وكفى به ذماً أن كل طامع يكون ذليلاً مهيناً عند الناس، وأن وثوقه بالناس واعتماده عليهم أكثر من وثوقه بالله، إذ لو كان اعتماده على الله أكثر من اعتماده على الناس لم يكن نظره إليهم، بل لم يطمع من أحد شيئاً إلا من الله سبحانه.

## فصل

### الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو (الاستغناء عن الناس) وهو من الفضائل الموجبة لتقرب العبد إلى الله سبحانه، إذا من استغنى بالله عن غير الله أحبه الله. والأخبار الآمرة بالاتصاف به والمادحة له كثيرة. قال رسول الله (ص): " ليس الغنى عن كثرة العروض، إنما الغنى غنى النفس " وقال لأعرابي طلب منه موعظة: " إذا صليت فصل صلاة مودع، ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، واجمع اليأس عما في أيدي الناس ". وقال (ص): " عليك باليأس عما في أيدي الناس، فإنه الغنى الحاضر ". وقال أمير المؤمنين (ع): " ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك " وقال سيد الساجدين (ع): " رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس، ومن لم يرج الناس في شيء، ورد أمره إلى الله تعالى في جميع أمره، استجاب الله تعالى له في كل شيء ". وقال الباقر (ع): " سخاء المرء عما في أيدي الناس أكثر من سخاء النفس والبذل، ومروءة الصبر في حال الفاقة

٦ [6] صححنا الحديث على (الكافي) في باب الطمع كما اثبتناه، لكن في (سفينة البحار): ٩٣/٢، رواه عن الصادق (ع) هكذا: "قال: قلت: ما الذي يثبت الإيمان في قلب العبد؟ قال: الذي يشته فيه الورع، والذي يخرج منه الطمع".

والحاجة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء، وخير المال الثقة بالله واليأس مما في ايدي الناس " وقال (ع): " اليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن في دينه " وقال الصادق (ع): " شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس ". وقال (ع): شيعتنا من لا يسأل الناس، ولو مات جوعاً". وقال (ع): " ثلاث هن فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولايته للامام من آل محمد - عليهم السلام - ". وقال (ع): " إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه، فليأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه " [7] ثم طريق العلاج في قطع الطمع، وكسب الاستغناء قريب مما ذكر في علاج إزالة الحرص وتحصيل القناعة، فتذكر.

ومنها:

### البخل

وهو الامسак حيث ينبغي البذل، كما أن الاسراف هو البذل حيث ينبغي الامسак، وكلاهما مذمومان، والمحمود هو الوسط، وهو الجود والسخاء. إذ لم يؤمر رسول الله (ص) إلا بالسخاء، وقيل له:

" ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط " [8]. وقال تعالى: " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً " [9].

٧ [7] صححنا الأحاديث هنا - ابتداء من الحديث المروي عن علي (ع) على (الكافي): باب الاستغناء عن الناس. و(الوسائل): كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، الباب ٣٧.

٨ [8] الإسراء، الآية: ٢٩.

٩ [9] الفرقان، الآية: ٦٧.

فالجود وسط بين الاقتار والاسراف، وبين البسط والقبض، وهو تقدير البذل والامسك بقدر الواجب اللائق. ولا يكفي في تحقق الجود والسخاء أن يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن قلبه طيباً غير منازع له فيه. فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يضاييرها فهو متسخ وليس بسخي، بل ينبغي ألا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له، وهو صرفه إلى ما يجب أو ينبغي صرفه إليه.

## فصل

### ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه، وهو من خبائث الصفات ورذائل الأخلاق. ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والأخبار. قال الله سبحانه:

" الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله... " [10] ١٠.

وقال تعالى: " ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة " [11] ١١.

وقال رسول الله (ص): " إياكم والشح، فانه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " وقال (ص): " لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة ". وقال (ص): " البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار. وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل، وأدوى الداء البخل " [12] ١٢ وقال (ص):

١٠ [10] النساء، الآية: ٣٦.

١١ [11] آل عمران، الآية: ١٨٠.

١٢ [12] الأحاديث كلها عامية، صححناها على (إحياء العلوم) و(إحياء الأحياء).

" الموبقات ثلاث: شح مطاع، وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ". وقال (ص): " إن الله يبيغض الشيخ الزاني، والبخيل المنان، والمعيل المختال ". وقال (ص): " إياكم والشح، فانما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطعية فقطعوا " [13] وقال (ص): " البخل شجرة تنبت في النار، فلا يلج النار إلا بخيل ".

وقال: " خلق البخل من مقتته، وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله النار. ألا إن البخل من الكفر، والكفر في النار ". وقاتل في الجهاد رجل من أصحاب رسول الله (ص) فبكته باكياً وقالت: واشهيداه!

فقال النبي (ص): " ما يدريك انه شهيد؟ فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه، أو يبخل بما لا ينقصه ". وقال (ص): " إن الله يبيغض البخيل في حياته، والسخي عند موته ". وقال (ص): " السخي الجهول احب إلى الله عز وجل من العابد البخيل ". وقال: " الشح والايمان لا يجتمعان في قلب واحد ". وقال أيضاً: " خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق ". وقال (ص): " لا ينبغي للؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً ". وقال (ص): " يقول قائلكم: الشحيح أعذر من الظالم. وأي ظلم أظلم عند الله من الشح؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ". وقال: " اللهم إني أعوذ بك من البخل! ". وروى: " أنه (ص) كان يطوف البيت، فإذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول: حرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي! قال رسول الله (ص): وما ذنبك؟ صفة لي. قال: هو أعظم من أن أصفه لك. قال ويحك! ذنبك أعظم أم الارضون؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال (ص) ويحك! ذنبك أعظم أم الجبال؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال (ص): فذنبك أعظم أم البحار؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله قال (ص): فذنبك أعظم أم السماوات؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال: ذنبك أعظم أم العرش؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال: ذنبك أعظم أم الله؟ قال: بل الله اعظم وأعلى وأجل. قال: ويحك اتصف لي ذنبك، قال: يا رسول الله، إني رجل ذو ثروة من

المال، وأن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار. فقال رسول الله (ص):  
اليك عنى! لا تحرقني بنارك! فو الذي بعثني بالهداية والكرامة، لو قمت بين الركن والمقام،  
ثم صليت الفي الف عام، وبكيت حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار، ثم  
مت وأنت لنيم، لأكبك الله في النار! ويحك! أما علمت أن الله يقول:

" ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه " ١٤ [14].

" ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " ١٥ [15]

وقال أمير المؤمنين (ع): " سيأتي على الناس زمان عضوض، يعرض المؤمن على ما في  
يديه، ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى:

" ولا تنسوا الفضل بينكم " ١٦ [16].

وروى: " أنه ما من صباح إلا وقد وكل الله تعالى ملكين يناديان: اللهم اجعل لكل ممسك  
تلفاً، ولكل منفق خلفاً!". والأخبار في ذم البخل اكثر من أن تحصى، مع أن تضمنه للمفاسد  
الدنيوية والأخروية مما يحكم به الوجدان ولا يحتاج إلى دليل وبرهان حتى أن النظر إلى  
البخيل يقسى القلب، ومن كان له صفاء سريرة، يكره قلبه ويظلم من ملاقاته وقد قيل:  
(أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه).

## فصل

## السخاء

١٤ [14] محمد، الآية: ٣٨.

١٥ [15] الحشر، الآية: ٩. التغابن، الآية: ١٦.

١٦ [16] البقرة، الآية: ٢٣٧.

ضد البخل (السخاء). وقد عرفت معناه، وهو من ثمرة الزهد كما أن البخل من ثمرة حب الدنيا. فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة أن يكون حاله القناعة إن لم يكن له مال، والسخاء واصطناع المعروف إن كان له مال. ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالي الأخلاق، وهو أصل من أصول النجاة، وأشهر اوصاف النبيين واعرّف أخلاق المرسلين. وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء، قال رسول الله (ص): " السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلّية إلى الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة". وقال (ص): " إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة " وقال (ص): " السخاء شجرة تنبت في الجنة، فلا يلج الجنة إلا سخي ". وقال (ص): " قال الله سبحانه إن هذا دين ارتضيته لنفسى، ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم ". قال (ص): " ما جعل الله أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق ". وقال (ص): " إن من موجبات المغفرة: بذل الطعام. وإفشاء السلام، وحسن الكلام ". وقال (ص): إن السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار ". وقال (ص): " تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله أخذ بيده كلما عثر " وقال (ص): " طعام الجواد دواء، وطعام البخيل داء " [17] وقال (ص): " أفضل الأعمال: الصبر والسماحة ". وقال (ص): " خلقان يحبهما الله، وهما: حسن الخلق، والسخاء " وقال (ص): " إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها " وقال (ص): " الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير، وإن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة - عليهم السلام - ". وقال (ص): " إن لله عبداً يخصصهم بالنعمة لمنافع العباد، فمن بخل بتلك المنافع عن العباد، نقلها الله عنه وحولها إلى غيره ". وقال (ص): " الجنة دار الأسخياء ". وقال (ص): " لشاب سخي مرهق في الذنوب، أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل " [18] وقال (ص): " اصنع

١٧ [17] (البحار): ٢ مج ٢٢١/١٥، باب السخاء والسماحة.

١٨ [18] صححنا الحديث على (البحار) في الموضوع المتقدم: (الشحيح) بدل (البخيل).

المعروف إلى من هو أهله والى من ليس بأهله، فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله". وقال (ص): "إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للمسلمين". وقال (ص): "إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه، حبيب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطائه، كما يبسر الغيث إلى البلدة الجذبة فيحبيها ويحیی بها أهلها". وقال (ص): "السخي محبب في السماوات ومحبب في الأرضيين، خلق من طينة عذبة، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر، والبخيل مبغض في السماوات مبغض في الأرضيين، خلق من طينة سبخة، وخلق ماء عينيه من ماء العوسج". وقال (ص): "إن أفضل الناس إيماناً أبسطهم كفاً". وقال (ص): "يؤتى يوم القيامة برجل، فيقال: احتج فيقول: يا رب، خلقتني وهديتني، وأوسعت علي فلم أزل أوسع على خلقك، وأنشر عليهم لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره. فيقول الرب - تعالى ذكره -: صدق عبدي، أدخلوه الجنة". وروى: "أنه أتى النبي (ع) وفد من اليمن، وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدهم استقصاء في محاجة النبي (ص) فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، وتردد وجهه وأطرق إلى الأرض فأتاه جبرئيل (ع) فقال: "ربك يقرئك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي (ص) الغضب، ورفع رأسه قال: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخي تطعم الطعام لشردت بك، وجعلتك حديثاً لمن خلقك! فقال له الرجل: إن ربك يحب السخاء؟ فقال: نعم! فقال: إني أشهد ألا إله إلا الله، وأنت رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا رددت عن مالي أحداً! " [19]، وقال (ص): "كل معروف صدقة، وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها". وقال (ص): "كل معروف صدقة،

والدال على الخير كفاعله، والله تعالى يحب اغائة اللهفان " وروى: أنه أوحى الله إلى موسى  
(ع): لا تقتل السامري، فإنه سخي " ٢٠ [20] وقال عيسى (ع): " استكثروا من شيء لا  
تأكله النار " قيل: وما هو؟ قال: " المعروف " . وقال أمير المؤمنين (ع) " ومن يبسط يده  
بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته " ٢١ [21]. وقال  
الباقر (ع): " إن الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي: يا صاحب الخير أتم وابشر  
وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر، وملك ينادي: أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً،  
وملك ينضح الأرض بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض " . وقال الصادق (ع) لبعض  
جلسائه: " ألا أخبرك بشيء تقرب به من الله وتقرب من الجنة وتباعد من النار؟ " ، فقال:  
بلى. فقال: " عليك بالسخاء " . وقال: " خياركم سحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم. ومن خالص  
الإيمان: البر بالإخوان والسعي في حوائجهم، وأن البار بالإخوان ليحبه الرحمن، وفي ذلك  
مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران ودخول الجنان " . وقال الكاظم (ع): " السخي  
الحسن الخلق في كنف الله، لا يستخلى الله منه حتى يدخله الجنة. وما بعث الله نبياً ولا وصياً  
إلا سخياً، ولا كان أحد من الصالحين إلا سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى  
." .

## فصل

### معرفة ما يجب أن يبذل

٢٠ [20] الروايات كلها عامية، صححناها على إحياء العلوم: ٢١٠/٣.

٢١ [21] صححنا الحديث على (الوافي): ٢٩٤/٥، باب الجود والبخل.



لعلك تقول: إنك قلت: السخاء هو الوسط بين الإقتار والإسراف وهو صرف المال إلى ما يجب أو ينبغي صرفه إليه، وهذا غير كاف لمعرفة حد السخاء، لتوقفه على معرفة ما يجب أو ينبغي، وهو عندنا مبهم.

وقلنا: ما يجب أو ينبغي يتناول الواجب واللائق بحسب الشرع والمروة والعادة، فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروة والعادة جميعاً، فإن امنع واحداً منها فهو بخيل، وإن كان الذي يمنع واجب الشرع أبخل. ثم ما يجب بذله شرعاً مضبوط معين، من الزكاة والخمس وغيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه، والإنفاق على أهله وعياله على قدر احتياجهم. فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعي ويستحق اسم السخي شرعاً، إذا كان الأداء بطيبة من قلبه، من دون أن يشق عليه، إذ لو شق عليه ذلك كان بخيلاً بالطبع ومتسخياً بالتكلف وأما ما يجب مروة وعادة، فهو ترك المضايقة في بذل ما يستتبع المضايقة فيه عرفاً وعادة، وهو يختلف في الأحوال والأشخاص، فتستتبع من الغني المضايقة مالا يستتبع من الفقير، ومع الأهل والأقارب ما لا يستتبع مع الأجانب، ومع الجار مالا يستتبع من البعيد، وفي الضيافة مالا يستتبع أقل منه في المبايعة والمعاملة، ويستتبع من المضايقة في الأطعمة ما لا يستتبع في غيرها. وبالجمل: يختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك. وبمن معه المضايقة من صديق أو قريب أو جار أو أجنبي أو بعيد، وبمن منه المضايقة من غني أو فقير أو أمير أو رعية أو عالم أو جاهل أو صبي أو كامل. فالسخي هو الذي لا يمنع حيث ينبغي ألا يمنع شرعاً أو مروة أو عادة، والبخيل من يمنع شيئاً مما ينبغي ألا يمنع شرعاً أو مروة أو عادة. ولا يمكن التنصيص على مقدار ذلك، فلعل حد البخل هو إمساك المال لغرض وذلك الغرض أهم من حفظ المال، وفي مقابله الجود والسخاء.

ثم من يؤدي الواجب ويحفظ العادة والمروة، ولكن له مال كثير قد جمعه، لا يصرفه إلى المحتاجين ولا ينفقه في الصدقات المستحبة ليكون له عدة على نوائب الزمان، وإن لم يكن بخيلاً عند عوام الخلق، ولكنه بخيل عند أهل الفطنة والكياسة، إذ التبري عن البخل

والإتصاف بصفة الجود السخاء لا يتحقق عندهم ما لم يبذل زيادة على قدر واجب الشرع  
وواجب المروءة والعادة اللائقة به، لطلب الفضيلة والثواب، ونيل الدرجات في الآخرة.  
وتختلف هذه الزيادة باختلاف مقدار ماله، وباختلاف حاجة المحتاجين وصلاتهم وورعهم.  
فاتصافه بالجود، بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير، وتختلف درجات ذلك. فاصطناع  
المعروف أمر وراء ما توجبه العادة والمروءة، وهو الجد بشرط أن يكون عن طيبة من النفس  
ولا يكون لأجل غرض من خدمة أو مدح وثناء. إذ من يبذل المال بعوض المدح والثناء أو  
غيره فليس بجواد، بل هو ببيع يشتري المدح بماله، لكون المدح ألد عنده من المال.  
فالجود هو بذل الشيء عن طيبة من القلب من غير غرض، هذا وإن كان حقيقته، إلا أنه لا  
يتصور في غير حق الله، إذ ما من إنسان يبذل الشيء إلا لغرض، لكن إذا لم يكن غرضه إلا  
الثواب في الآخرة ورفع الدرجات، واكتساب فضيلة الجود، وتطهير النفس عن رذيلة البخل،  
سمى جواداً، وإن كان غرضه شيئاً من الأمور الدنيوية لم يسم جواداً.

### تنبيه

### الإيثار

أرفع درجات الجود والسخاء (الإيثار)، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه. قال الله  
سبحانه في معرض الثناء على أهل الإيثار:

" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " ٢٢ [22].

وقال رسول الله (ص): أيما امرؤ اشتهى شهوة، فرد شهوته وأثر على نفسه، غفر له ".  
وكان الإيثار من شعار رسول الله (ص)، ولقد قالت بعض زوجاته: " إنه (ص) ما شبع  
ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا " وروي:

أن موسى بن عمران قال: يا رب، أرني بعض درجات محمد وامته. قال: يا موسى، إنك لن تطيق ذلك، لكني أريك منزلة من منازلهم، جليلة عظيمة، فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي. قال: فكشف له عن ملكوت السموات، فنظر إلى منزلة كادت أن تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله، فقال: يا رب، بماذا بلغ إلى هذه الكرامة؟ قال تعالى: بخلق اختصاصه به من بينهم، وهو الإيثار يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحبيبت من محاسبته، وبوأتته من جنتي حيث يشاء " وسئل الصادق (ع): " أي الصدقة أفضل؟ قال (ع): جهد المقل، أما سمعت قول الله عز وجل: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ " وإيثار علي (ع) غيره في جميع أوقات عمره مشهور، وفي الكتب مسطور ولقد أثر حياة رسول الله (ص) على حياته ليلة المبيت فباهي الله به الملائكة، وأنزل فيه:

" ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله " [23] ٢٣.

ولقد كان الخواص من شيعته والمقتدون به في سنته وسيرته، يجتهدون في المحافظة على هذه الفضيلة مهما أمكن.

علاج مرض البخل

الزكاة

سر وجوب الزكاة وفضيلة سائر الانفاقات

الحث على التعجيل في الاعطاء

فضيلة اعلان الصدقة الواجبة

ذم المن والأذى في الصدق

## فصل

### علاج مرض البخل

علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل. والعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود، والعمل يرجع إلى البذل على سبيل التكلف إلى أن يصير طبعاً له. فكل طالب لإزالة البخل وكسب الجود ينبغي أن يكثر التأمل في أخبار ذم البخل ومدح السخاء، وما توعد الله به على البخل من العذاب العظيم، ويكثر التأمل في أحوال البخلاء وفي نفرة الطبع عنهم، حتى يعرف بنور المعرفة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة. ثم يكلف نفسه على البذل ومفارقة المال، ولا يزال يفعل ذلك إلى أن يهيج رغبته في البذل، وكلما تحركت الرغبة ينبغي ان يجتنب خاطر الأول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويوسوسه بأنواع الوسوس الصادة عن البذل.

ولو كان مرض البخل مزماً غير مندفع بما مر، فمن معالجاته أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالجود، فيبذل على قصد الرياء، حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في الاشتهار بصفة الجود، فيكون قد زال عن نفسه رذيلة البخل واكتسب خبث الرياء، ولكن يتعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه، ويكون طلب الشهرة والاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال، كما يسلى الصبي عند فطامه عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا لكون اللعب مطلوباً بذاته، بل لينتقل من الثدي إليه ثم ينتقل عنه إلى غيره. فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلب بعضها على بعض حتى يندفع الجميع، فتسلط الشهوة على الغضب حتى تكسر سورته بها، ويسلب الغضب على الشهوة حتى تكسر رعونتها به. وقد جرت سنة الله بدفع المؤذيات والمهلكات بعضها ببعض، إلى أن يندفع الجميع، سواء كانت من الصفات

المؤذية أو من الأشخاص المؤذية من الظلمة والأشرار، ألا ترى انه يسلط الظالمين والأشرار بعضهم على بعض إلى أن يهلك الجميع؟

ومثال ذلك - كما قيل -: ان الميت تستحيل جميع اجزائه دوداً، ثم يأكل بعض الديدان بعضاً، إلى ان يرجع إلى اثنين قويين، ثم لا يزالان يتقابلان ويتعارضان، إلى أن يغلب أحدهما الآخر فيأكله ويسمن به، ثم لا يزال يبقى وحده جائعاً إلى أن يموت. فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعض على بعضها حتى يقمعها، فيجعل الأضعف قوتاً للاقوى، إلى أن لا تبقى إلا واحدة. ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة، وهو منع القوت منها، أي عدم العمل بمقتضاها، فانها تقتضي لا محالة آثاراً، فإذا خولفت خمدت وماتت. مثلاً البخل يقتضى إمساك المال، فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد والمشقة مرة بعد أخرى، ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعاً، وسقط التعب والمشقة فيه.

ثم العمدة في علاجه أن يقطع سببه، وسببه حب المال، وسبب حب المال إما حب الشهوات التي يتوقف الوصول إليها على المال مع طول الأمل، إذ لو لم يكن له طول أمل وعلم أنه يموت بعد أيام قلائل ربما لم يبخل بماله، أو ادخاره وابقاؤه لأولاده، فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه، فيمسك المال لاجلهم، أو حبه عين المال من حيث إنه مال فيحب، فان بعض الناس من المشايخ والمعمرين يكون له من المال ما يكفيه لغاية ما يتصور من بقية عمره، وتزيد معه أموال كثيرة، ولا ولد له ليحتاط لأجله، مع ذلك لا تسمح نفسه بإخراج مثل الزكاة ومداواة نفسه عند المرض، بل هو محب للدنانير، عاشق لها، يتلذذ بوجودها في يده، مع علمه بأنه عن قريب يموت، فتضيع أو تأخذها اعداؤه، ومع ذلك لا تسمح نفسه بأن يأكل منها أو يتصدق ببعضها. وهذا مرض عسر العلاج، لا سيما في كبر السن، إذ حينئذ يكون المرض مزماً والطبيعة المدافعة له قاصرة والبدن ضعيفاً. ومثله مثل من عشق شخصاً فاحب رسوله، ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله. فان الدنانير رسول مبلغ إلى الحاجات، وهي محبوبة من هذه الحيثية، لا من حيث أنها دنانير، فمن نسي الحاجات وصارت الدنانير

محبوبة عنده في نفسها فهو في غاية الضلالة والخسران بل من رأى بين الفاضل منها عن قدر الحاجة وبين الحجر فرقا، فهو في غاية الجهل.

ثم لما كان الطريق في قطع سبب كل علة أن يواظب على ضد هذا السبب، فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأفران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم، ويعالج التفات القلب إلى الأولاد بأن الذي خلقهم خلق ارزاقهم، وكم من ولد لم يرث مالا من أبيه وحاله أحسن ممن ورث، وبأن يعلم أن ولده إن كان تقياً صالحاً فيكفيه الله، وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته عليه، ويعالج حب المال من حيث أنه مال، بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق، فلا يحفظ منه إلا بقدر حاجته، ويبذل الباقي على المستحقين ليبقى له ثوابه في الآخرة.

### تذنيب

اعلم أن بذل الأموال وانفاقها المترتب على صفة الجود والسخاء يتناول أموراً: بعضها واجب، وبعضها مندوب. وقد ورد في فضيلة كل منها بخصوصه أخبار، فلا بد لنا أن نشير إلى ذلك تأكيداً لبيان فضل السخاء، وإلى بعض مالها من الآداب والدقائق الباطنة، ونحيل مالها من الأحكام والشروط الظاهرة إلى كتب الفقه، فنقول:

أما الأمور الواجبة، فأولها:

### الزكاة

الآيات الأخبار الواردة في ذم تاركها مدح فاعلها كثيرة. قال الله سبحانه:

" فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " [1]١. وقال تعالى: " والذين يكنزون الذهب والفضة

ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب ألیم " [2]٢.

ومعنى الأنفاق في سبيل الله اخراج الزكاة، كما ورد عن أهل البيت - عليهم السلام -،  
وأجمع عليه المفسرون. وقال رسول الله (ص): " إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها ".  
وقال الباقر (ع): " إن الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة، قال:

" فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " [3]٣.

فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة، فلم يقيم الصلاة ". وقال الصادق (ع): " ما من ذي مال  
ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله، إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر، وسلط عليه شجاعاً أقرع  
يريده وهو يحيد عنه، فإذا رأى أنه لا يتخلص منه، أمكنه من يده، ففضمها كما يقضم الفحل،  
ثم يصير طوقاً في عنقه، وذلك قول الله تعالى:

" سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة " [4]٤.

وما من ذي مال إبل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله، إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر،  
تطأه كل ذات ظلف بظلفها، وتنهشه كل ذات ناب بنابها، وما من ذي مال نخل أو كرم أو  
زرع يمنع زكاتها، إلا طوقه الله تعالى ربيعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة

١ [1]الحج، الآية: ٧٨.

٢ [2]التوبة، الآية: ٣٥.

٣ [3]المجادلة، الآية: ١٣.

٤ [4]آل عمران، الآية: ١٨٠.

"[5]٥. وقال (ع): " ما فرض الله على هذه الأمة شيئاً أشد عليهم من الزكاة، وفيها تهلك عامتهم ". وقال: " من منع قيراطاً من الزكاة، فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله تعالى:

" قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت "[6]٦.

وقال (ع): " إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء، ومعونة للفقراء. ولو أن الناس ادوا زكاة أموالهم، ما بقى مسلم فقيراً محتاجاً، ولا ستغنى بما فرض الله له. وإن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله. واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق: أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة، وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بتركه التسييح في ذلك اليوم، وإن أحب الناس إلى الله تعالى أسخاهم كفاً وأسخى الناس من أدى زكاة ماله، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله ". وقال (ع): " إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنما هو شيء ظاهر حقق بها دمه وسمى بها مسلماً، ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة "[7]٧. والأخبار في فضل الزكاة ودم تاركها أكثر من أن تحصى، وما ذكرناه كاف لا يقاظ الطالبين.

## فصل

### سر وجوب الزكاة، وفضيلة سائر الانفاقات

٥ [5]قال في (الوافي): ٢٤١/٦، باب الزكاة: " بيان (القاع): الأرض السهلة المطمئنة. و(القرقر): الأرض المستوية اللينة. و(الشجاع) — بالضم والكسر: الحية، أو الذكر منها، أو ضرب منها. و(الفحل) — بالمهمله: الذكر من كل حيوان، ومن الإبل خاصة، وهو المراد هنا. (الريع) — بكسر الراء وفتحها — المرتفع من الأرض ".

٦ [6]المؤمنون، الآية: ٩٩ — ١٠٠.

٧ [7]صححنا الأحاديث كلها على (الوافي): ٢٤١/٦ — ٢٤٢، باب الزكاة.



السر في ايجاب الزكاة، بل فضيلة مطلق انفاق المال، ثلاثة أمور:

الأول - أن التوحيد العام ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، إذ المحبة لا تقبل الشركة، والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة سائر المحاب، والأموال محبوبة عند الناس، لأنها آلة تمتعهم بالدنيا، ولاجلها يأنسون بهذا العالم، ويخافون من الموت ويتوحشون منه، مع أن فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا في صدق دعواهم الحب التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم، اعنى المال، ولذلك قال الله سبحانه:

**" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " [8].**

ولفهم هذا السر في بذل الأموال، انقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة ثلاثة أقسام: (قسم) صدقوا التوحيد ووفوا بعهده، ولم يجعلوا قلوبهم إلا محلا لحب واحد. فنزلوا عن جميع أموالهم، ولم يدخروا شيئاً من الدرهم والدينار وغيرهما من أنواع المال، ولم يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم، حتى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة في مائتي درهم؟ فقال: أما على العوام - بحكم الشرع - فخمسة دراهم، وأما نحن، فيجب علينا بذل الجميع. وسئل الصادق (ع) " في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال: أما الزكاة الظاهرة، ففي كل ألف خمسة وعشرون، وأما الباطنة، فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك " . (قسم) درجاتهم دون هذا، وهم الذين أمسكوا أموالهم، ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات ومراسم الخيرات، ويكون قصدهم من الإمساك الأنفاق على قدر الحاجة، دون التمتع، وصرف الفاضل عن قدر الحاجة إلى وجوه البر. وهؤلاء لا يقتصرون على اعطاء مجرد ما يجب عليهم من الزكاة والخمس، بل يؤدون جميع أنواع البر والمعروف أو أكثرها (قسم) اقتصروا على اداء الواجب، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه. وهو أدون الدرجات وأقل المراتب، وهو درجة العوام الراغبين إلى المال، لجهلهم بحقيقته وفائدته، وضعف حبهم للأخرة.

الثاني - تطهير النفس عن رذيلة البخل، فانه من المهلكات - كما تقدم -، وإنما تزول هذه الرذيلة ببذل المال مرة بعد أخرى حتى يعود إذ حب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها، حتى يصير ذلك اعياداً. وعلى هذا، فالإنفاق يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله، وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

الثالث - شكر النعمة، فان لله سبحانه على عبده نعمة في نفسه ونعمة في مال فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن، والمالية شكر لنعمة المال. وما أقبح بالغني المسلم أن ينظر إلى فقير مسلم، وقد ضيق الرزق عليه واحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال، واحواج غيره إليه، باعطاء عشر أو ربع عشر من ماله.

## فصل

### الحث على التعجيل في الاعطاء

ينبغي للمعطي المنفق، عند ظهور داعية الخير من باطنه، أن يغتنم الفرصة، ويسارع إلى الامتثال، تعجيلاً لادخال السرور في قلوب الفقراء وحذراً عن عوائق الزمان المانعة عن الخيرات، وعلماً بأن في التأخير آفات وتنبها بأن انبعث داعية الخير لمة الملك، وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، فما أسرع تقلبه، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر، وله لمة عقيب لمة الملك، وصوناً للفقراء عن الاضطرار إلى السؤال، إذ ورد: ان الإعطاء معه مكافاة لوجهه المبذول وثمن لما أخذ منه، وليس بمعروف. وروى: " أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيغة، وكان الرجل ممن ترجى نوافله، ويؤمل نائله ورفده، وكان لا يسأل علياً ولا غيره شيئاً، فقال رجل لأمير المؤمنين (ع) والله ما سألك فلان شيئاً! ولقد كان يجزيه من الخمسة أو ساق وسق واحد. فقال له أمير المؤمنين (ع): لا أكثر الله في المؤمنين ضربك! أعطي أنا، وتبخل أنت! الله أنت! إذا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد المسألة، ثم أعطيه بعد المسألة، فلم اعطه إلا ثمن ما أخذت منه، وذلك لأنى عرضته أن يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي وربيه

عز وجل عند تعبدته له وطلب حوائجه إليه. فمن فعل هذا بأخيه المسلم، وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه، فلم يصدق الله في دعائه، حيث يتمنى له الجنة بلسانه، ويبخل عليه بالحطام من ماله " [9] ٩. ثم ينبغي أن يعين لأداء صدقته وقتاً فاضلاً، كيوم الغدير وشهر ذي الحجة، (لا) سيما العشرة الأولى، أو شهر رمضان، (لا) سيما العشرة الأخيرة. وقد ورد أن رسول الله (ص) كان أجود الخلق، وكان في رمضان كالريح المرسلة، لا يمسك فيه شيئاً.

## فصل

### فضيلة إعلان الصدقة الواجبة

الصدقة الواجبة، أعني الزكاة، إعلانها أفضل من أسرارها - إن كان في إظهارها ترغيب للناس في الاقتداء، وأمن من تطرق الرياء، ولم يكن الفقير بحيث يستحي من أخذها علانية. قال الصادق (ع): " كلما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكلما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه، ولو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسناً جميلاً ". وقال في قوله تعالى:

" وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم " [10] ١٠:

" هي ما سوى الزكاة فإن الزكاة علانية غير سر ". فلو دخل في نفسه الرياء مع الاظهار، أو كان الفقير يستحي من أخذها علانية، كان الأسرار بها أفضل: أما الأول: فظاهر، وأما الثاني: فلما روى: " انه قيل لأبي جعفر الباقر (ع): الرجل من أصحابنا يستحي من أن يأخذ

٩ [9] صححنا الحديث على (الوافي): ٢٨٦/٦، باب آداب الاعطاء. قال (البيهقي) ضيعة بالمدينة، و(النوافل): العطايا، و(لله انت!) أي كن لله وانصفتني في القول.

من الزكاة، فاعطيه من الزكاة ولا أسمى له انها من الزكاة. فقال: اعطه ولا تسم له، ولا تنزل المؤمن".

وبالجملة: الإعلان كما يتصور فيه فائدة الترغيب، يتطرق إليه محذور الرياء والمن والأذى، وذلك يختلف بالأحوال والأشخاص. فبالنظر إلى بعض الأحوال والأشخاص، يكون الإعلان أفضل، وبالنظر إلى بعض آخر، يكون الأسرار أفضل. فلا بد لكل منفق أن يلاحظ حاله ووقته ويقابل الفائدة بالمحذور، ويختار ما هو الأفضل. ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة، اتضح له ما هو الأولى والألبق،

## فصل

### (ذم المن والأذى في الصدقة)

ينبغي للمتصدق أن يجتنب عن المن والأذى. قال الله سبحانه:

" لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى " [11] ١١. وقال: " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى " [12] ١٢.

وقال رسول الله (ص): " إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال، وكرهتهن للأوصياء من ولدى وأتباعهم من بعدى: العبث في الصلاة، والرفث في الصوم، والمن بعد الصدقة، وإتيان المساجد جنباً، والتطلع في الوفد، والضحك بين القبور".

و(المن): أن يرى نفسه محسناً. ومن ثمراتها الظاهر: الاظهار بالانفاق، والتحدث به، وطلب المكافاة منه، بالشكر والخدمة والتعظيم والمتابعة في الأمور. و(الأذى): التعبير،

١١ [11] البقرة، الآية: ٢٦٤.

١٢ [12] البقرة، الآية: ٢٦٣.

والتوبيخ، والاستخفاف والاستخدام، والقول السيء، وتقطيب الوجه، وهتك الستر. ثم معرفة الأذى ظاهرة، وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن. واما المن الباطني، أي رؤية نفسه محسناً، فيعرف بأن يكون استبعاده من خيانة القابض بعد العطاء اكثر من استبعاده منه قبله. وعلاج المن: أن يعرف ان المحسن هو الفقير القابض لا يصله الثواب والانجاء من العذاب، وكونه نائباً عن الله تعالى، وكون ما يعطيه حقاً من الله سبحانه، أحال عليه الفقير انجازاً لما وعده من الرزق. وعلاج الأذى: أن يعرف أن سببه استكثار العطاء وكرهية إنفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيراً منه، لغنائه واحتياجه، وجميع ذلك جهل وحماقة. اما استكثاره العطاء، فلأن ما أعطاه بالنظر إلى ما يطلبه لأجله من رضا الله وثواب الآخرة في غاية القلة والخسة، وكيف يستعظم العاقل بذل خسيس إذا أخذ في مقابله خطيراً باقياً. واما استحقاره الفقير، فلما تقدم من فضل الفقير على الغني، فكيف يرى نفسه خيراً منه؟ وكفى للفقير فضلاً: ان الله سبحانه جعل الغني مسخرأً له، بأن يكتسب المال بالجد والتعب، ويسعى في حفظه، ويسلمه إلى الفقير بقدر حاجته، ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلمه إليه. فالغني يخدم الفقير في طلب المال، مع كون ما يحمده منه للفقير، وكون ما يذم منه من تحمل المشاق وتقلد المظالم وحراسة الفضلات إلى أن يموت فتأكله الأعداء، على الغنى.

وبالجملة: العاقل، بعد التأمل، يعلم أن ما يعطيه قليل في مقابلة ما يأخذه، وأن الفقير محسن إليه. قال أمير المؤمنين (ع): " ومن علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه، لم يستبطن الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك ووقيت به عرضك، وأعلم أن الطالب اليك لحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك، فاکرم وجهك عن رده " [13] ١٣. وينبغي للمحترز عن المن والأذى أن يتواضع ويتخضع للفقير عند اعطائه، بأن

يضع الصدقة لديه ويمثل قائماً بين يديه، أو يبسط كفه ليأخذ الفقير، وتكون يد الفقير هي العليا.

---

ما ينبغي للمعطي  
ما ينبغي للفقراء في أخذ الصدقة  
زكاة الأبدان  
الخمسة  
الانفاق على الأهل والعيال  
ما ينبغي في الانفاق على العيال  
صدقة التطوع

## فصل

### (ما ينبغي للمعطي)

ومما ينبغي للمعطي أن يستصغر العظيمة ليعظم عند الله، وإن استعظمها صغرت عند الله، قال الصادق (ع): " رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، وتستيره، وتعجيله. فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تممته، وإذا عجلته هنأته وإن كان غير ذلك محقته ونكذته " [1]؟ واستعظام العطاء غير المن والأذى، إذ الصرف إلى عمارة المسجد ومثله يتأتى فيه الاستعطاء، ولا يتأتى فيه المن والأذى، وأن يعطي الأجود والأحب والأبعد عن الشبهة لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبة إلى الله، إذ إمساك الجيد لنفسه وأهله، وانفاق الرديء في سبيل الله يوجب إثارة غير الله وترجيحه عليه، ولو فعل هذا لضيف وقدم إليه أبدأ طعام في البيت لا تكسر قلبه ووغر به صدره.

هذا إذا كان نظره إلى الله بأن يتصدق لوجه الله، من غير ملاحظة عوض لنفسه في دار الآخرة، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فلا ريب في أن العاقل لا يؤثر غيره

على نفسه، وليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى، وأكل فأفنى. ولعظم فائدة انفاق الأجداد  
الأحب، وقبح انفاق الرديء الأخس، قال الله تعالى:

" أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون  
ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه " [2] ٢:

أي لا تأخذونه إلا مع كراهية وحياء، وهو معنى الاغماض، وما هذا شأنه عندكم فلا  
تؤثروا به ربكم. وقال سبحانه:

" لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون! " [3] ٣. وقال: " ويجعلون لله ما يكرهون " [4] ٤

وفي الخبر: " سبق درهم مائة ألف درهم ". وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أحل ماله  
وأجوده، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من  
ماله، فيذل على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه.

ومما ينبغي له أن يغنى الفقير إذا قدر، ففي الخبر إذا أعطيته فأغنه وأن يقبل يده بعد  
الإعطاء، لأنه يقع في يد الله تعالى أولاً. قال أمير المؤمنين (ع): " إذا ناولتم السائل فليرد  
الذي ناوله يده إلى فيه فيقبلها، فإن الله عز وجل يأخذ الصدقات ". وقال النبي (ص): " ما  
تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله، ثم تلا هذه الآية.  
" ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات؟ " [5] ٥ .

٢ [2] البقرة، الآية: ٢٦٧.

٣ [3] آل عمران، الآية: ٩٢.

٤ [4] النحل، الآية: ٦٢.

٥ [5] التوبة، الآية: ١٠٥.



وقال الصادق (ع): " إن الله تعالى يقول: ما من شئ إلا وقد وكلت به من يقبضه غيري، إلا الصدقة، فاني ألتقفها بيدي تلقفاً، حتى أن الرجل ليتصدق بالتمر أو بشق تمره، فارببها له كما يربي الرجل فلوله وفصيله، فتأتى يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد [6]٦. وأن يلتمس الدعاء من الفقير، لأن دعاءه يستجاب فيه كما روي: " أن علي بن الحسين (ع) كان يقول للخادم: امسك قليلاً حتى يدعوا، فان دعوة السائل الفقير لا ترد ". وأنه (ع) كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل، أن يأمره أن يدعو بالخير. وعن أحدهما - عليهما السلام -: " إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء، فانه يستجاب لهم فيكم، ولا يستجاب لهم في أنفسهم ". وما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض، لانه شبيهه المكافاة، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله، ولو أرسلوا معروفاً إلى فقير، قالوا للرسول أحفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله، خلاف طريقة أئمتنا الراشدين عليهم السلام فلا اعتبار به عندنا.

ومما ينبغي له أيضاً أن يصرف الصدقات إلى من يكثر باعطائه الأجر كأهل الورع والعلم، وأرباب التقوى والصدق، والكاملين في الإيمان والتشيع. قال رسول الله (ص): لا يأكل طعامك إلا تقي"، وقال (ص): " اطعموا طعامك الأتقياء " وقال (ص): " أضف بطعامكم من تحبه في الله ". ولكن يرفعهم من الزكاة الواجبة والصدقات، لأنها أوساخ الأموال، ويوسع عليهم بالهدايا والصلاة، ففي الخبر: " مستحقوا الزكاة المستضعفون من شيعة محمد وآله: الذين لم تقو بصائرهم، وأما من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لأولياتهم والبراءة من أعدائهم معرفته، فذاك أخوكم في الدين، أمس بكم رحماً من الآباء والأمهات المخالفين، فلا تعطوه زكاة ولا صدقة فان موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد، تحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة وليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر، وارفعوهم عن الزكاة والصدقات وتزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم. أوجب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم

يصبه على أخيه المؤمن؟ إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم..."  
الحديث.

ولا ينبغي أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط، بل ينبغي الصرف إلى من بلغ مقام التوحيد، ويرى النعمة من الله، ولا ينظر إلى الوسائط إذ من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط، فغير خال من نوع من الشرك الخفي. قال الصادق (ع) في قول الله تعالى:

" وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون "[7]٧.

" وهو قول الرجل، لولا فلان لهلكت أو لولا فلان لما أصبت كذا ولولا فلان لصاع عيالي! ألا ترى أنه قد جعل الله شريكاً في ملكه، يرزقه أو يدفع عنه؟ ". فقال الراوي يجوز أن يقال: لولا أن الله منّ علي بقلان لهلكت؟ قال " نعم! لا بأس بهذا ". ومن أهل المزينة والاختصاص بالبذل إليه، من كان مستتراً ساتراً للحاجة، كائناً من أهل المروءة، متغشياً في جلباب التجمل، محصوراً في سبيل الله، محبوساً في طريق الآخرة بعيلة أو مرض أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب، والأولى من الكل الأقارب وأولو الأرحام من أهل الاحتياج، فإن الأنفاق عليهم صدقة وصلة. وفي صلة الرحم من الثواب مالا يخفى، قال أمير المؤمنين (ع): " لأن أصل أختاً من اخواني بدرهم، أحب إلي من أتصدق بعشرين درهماً، ولأن أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعق رقبة ". وفي خبر آخر: " لا صدقة وذو رحم محتاج، الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين ". وفي الخبر: " إن أفضل الصدقات والصلاة الأنفاق على ذي الرحم الكاشح ": يعني المبغض، وكأنه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص والتقوى.

## فصل

### ما ينبغي للفقراء في أخذ الصدقة

ينبغي للفقير الأخذ أن يعلم أن الله تعالى أوجب صرف المال إليه ليكفي مهمته، فيتجرد للعبادة والاستعداد للموت، فينبغي أن يتأهب لذلك ولا يصرفه عنه فضول الدنيا، ويشكر الله على ذلك، ويشكر المعطي، فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه، قال رسول الله (ص): " من لم يشكر الناس لم يشكر الله ". وقال الصادق (ع): " لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل: وما قاطعوا سبل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره " [8] وقال أمير المؤمنين (ع): " من صنع بمثل ما صنع إليه فانما كافاه، ومن ضعفه كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً ".

وينبغي له أيضاً أن يستر عيوب صاحب العطاء، ولا يذمه ولا يحقره ولا يعيره بالمنع إذا منع، ويفخم عند نفسه وعند الناس اعطاءه، بحيث لا يخرج عن كونه واسطة، لئلا يكون مشركاً، وأن يتوقى مواقع الحرمة والريبة والشبهة في أصله ومقداره، فلا يأخذ ممن لا يحل ماله أو يشتبه، كعمال السلاطين والجنود ومن أكثر كسبه من الحرام، ولا الزيادة على قدر الحاجة، ولا يسأل على رأس الملامن يستحي الرد، وأن يتورع العالم والمتقى من أخذ الزكاة والصدقات ما لم يضطر إليها، تنزيهاً لنفسه عن الأوساخ، وأن يستر الأخذ بنية أنه أبقى لستر المروءة والتعفف، وأصون لنفسه عن الإهانة والاذلال، واعون للمعطي على الاخفاء والأسرار، واسلم لقلوب الناس من الحسد وسوء الظن، أو يظهره بنية الإخلاص والصدق وإظهار المسكنة والعبودية، والتبرى عن الكبر، وتلبس الحال وإقامة سيئة الشكر أو غير ذلك. فانه يختلف باختلاف النيات والأشخاص والأحوال، ولكل امرئ ما نوى، وكل مراقب للأحوال عارف بالفوائد والمفاسد، يمكنه الأخذ بالأمنع الأرجح.

## تميم

### زكاة الأبدان

اعلم أنه كما في المال زكاة فكذلك للبدن زكاة، وهو نقصه ليزيد الخير والبركة لصاحبه. وهذا النقص إما أن يكون اختياراً، بأن يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية، أو اضطراراً، بأن يصاب بمرض وآفة. قال رسول الله (ص) يوماً لأصحابه: " ملعون كل مال لا يزكى، ملعون كل جسد لا يزكى، ولو في كل أربعين يوماً مرة. قيل له: يا رسول الله، أما زكاة المال فقد عرفناها، فما زكاة الأجساد؟ قال (ص): أن يصاب بآفة ". فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك، فلما رأهم قد تغيرت الوانهم، قال: " هل تدرون ما عنيت بقولي؟ فقالوا: لا يا رسول الله! قال: إن الرجل يخدش الخدشة، وينكب النكبة، ويعثر العثرة ويمرض المرضة، ويشاك الشوكة، وما أشبه هذا... "، حتى ذكر في حديث اختلاج العين. وقال (ص): " لكل شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام ". وقال الصادق (ع): " على كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعر من شعرك، بل على كل لحظة من لحاظك زكاة. فزكاة العين: النظرة بالعبرة<sup>9</sup> [9] والغض عن الشهوات وما يضاهاها. وزكاة الاذن: استماع العلم والحكمة والقرآن، وفوائد الدين من الموعدة والنصيحة، وما فيه نجاتك، وبالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما. وزكاة اللسان: النصح للمسلمين، والתיقظ للغافلين، وكثرة التسبيح والذكر وغيرها. وزكاة اليد: البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به، وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى، والقبض

عن الشر. وزكاة الرجل: السعى في حقوق الله، من زيارة الصالحين، ومجالس الذكر،  
وإصلاح الناس، وصلة الأرحام، والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك " [10] ١٠.

وثانيها:

### الخمس

وقد فرضه الله تعالى على عباده صوتاً لذرية نبيه (ص) عن الافتقار، وتنزيهاً لهم عن  
الصدقات التي هي أوساخ الناس، فقال سبحانه:

" واعلموا إنما غنمتم من شيءٍ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين  
وابن السبيل، وإن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله  
على كل شيء قدير " [11] ١١.

والمستفاد من الآية: أن مانع الخمس لا إيمان له. وقال أمير المؤمنين (ع): " هلك الناس  
في بطونهم وفروجهم، لأنهم لا يؤدون إلينا حقنا ". ولا ريب في عظم الثواب والأجر في  
أدائه وإيصاله إلى أهله، وكيف لا وهو إعانة ذرية الرسول (ص) وقضاء حوائجهم، وقد قال  
رسول الله (ص): " حققت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله " [12] ١٢. وقال  
(ص): " أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم والساعي  
لهم في أمورهم عند ما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه " وقال (ص): " من  
اصطنع إلى أحد من أهل بيتي بدأً، كافئته يوم القيامة ". وعن الصادق (ع) قال: " إذا كان

١٠ [10] صححنا الحديث على (مصباح الشريعة): الباب ٢٢، وفيه اختلاف كثير عن  
نسخ (جامع السعادات) بما لم يخرج عن المعنى.

١١ [11] الأنفال، الآية: ٤١.

١٢ [12] صححنا هذا الحديث على (جامع الأخبار): الباب ٢، الفصل ٦.

يوم القيامة، نادى مناد: أيها الخلائق، أنصتوا، فإن محمداً يكلمكم. فتنصت الخلائق، فيقوم النبي (ص) فيقول: ما يعشر الخلائق من كانت له عندي يد أو منة أو معروف فليقم حتى أكافيه. فيقولون: بأبائنا وأمهاتنا! وأي يد وأي منة وأي معروف لنا؟! بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق. فيقول لهم: بلى! من آوى أحداً من أهل بيتي، أو برهم، أو كساهم من عرى، أو اشبع جائعهم، فليقم حتى أكافيه. فيقوم أناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله: يا محمد، يا حبيبي، قد جعلت مكافاتهم إليك، فأسكنهم من الجنة حيث شئت. قال: فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم "١٣ [13]". وقد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار والآداب والشرائط الباطنة.

وينبغي أن يكون معطيه في غاية الحذر عن استعظامه وعن المن والأذى وأن يكون في غاية التخضع والتواضع للذرية العلوية عند اعطائه إياهم، ويعلم أنه عبد من عباد الله، أعطاه مولاه نبذاً من أمواله، ثم امره بأن يوصل قليلاً منها إلى ذرية نبيه (ص)، وجعل له أيضاً في مقابلة هذا الإيصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الأجر والثواب في العقبى فما أقيح بالعاقل - مع ذلك - أن يستعظم ما يعطيه، ويمن على أولاد نبيه (ص).

ثالثها:

### الأنفاق على الأهل والعيال

والتوسع عليهم. وهو أيضاً من الواجبات، على النحو المقرر في كتب الفقه. وما ورد في مدحه وعظم أجره أكثر من أن يحصى، قال رسول الله (ص): " الكاد على عياله كالمجاهد

في سبيل الله " ١٤ [14] وقال (ص): " خيركم خيركم لأهله ". وقال (ص): " المؤمن يأكل بشهوة أهله، والمنافق يأكل أهله بشهوته " ١٥ [15] وقال: " أفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى، وأبدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يلوم الله على الكفاف " ١٦ [16] وقال (ص): " دينار أنفقته على أهلك، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقية، ودينار تصدقت به على مسكين، واعظمها أجراً الدينار الذي أنفقته على أهلك ". وقال (ص): " ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة، وأن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى فم امرأته ". وقال (ص): " من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة ". قال (ص): " من كانت له ثلاث بنات، فانفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله تعالى له الجنة، إلا أن يعمل عملاً لا يغفر الله له ". وقال (ص) يوماً لأصحابه: " تصدقوا. فقال رجل: إن عندي ديناراً. قال: أنفقه على نفسك. فقال: إن عندي آخر قال أنفقته على زوجتك. قال: إن عندي آخر. قال: أنفقته على ولدك. وقال: إن عندي آخر. قال: أنفقته على خادمك. قال: إن عندي آخر. قال (ص): أنت أبصر به " ١٧ [17]. وقال (ص): " ملعون ملعون من ألقى كله على الناس ملعون ملعون من ضيع من يعوله! "، وقال (ص) لأمير المؤمنين (ع) بعد ما رآه في البيت ينقي العدس، وفاطمة (ع) جالسة عند القدر: " اسمع يا أبا الحسن، وما أقول إلا من أمر ربي: ما من رجل يعين امرأته في بيتها، إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين وداود

١٤ [14] صححنا الحديث على (الوسائل): كتاب التجارة، أبواب مقدماتها، الباب ٢٢. وروى الحديث في (المستدرک) عن (غوالي اللئالی).

١٥ [15] صححنا الحديث على (الوسائل): كتاب النكاح، أبواب النفقات، الباب ٢١. وكذا الحديث الآتي: " ملعون ملعون... ".

١٦ [16] صححنا الحديث على (الوافي): ٢٨٩/٦، وهو بمضمونه من المشهورات التي يروها العامة والخاصة.

١٧ [17] صححنا الحديث على (أحياء العلوم): ٢٠٣/١.

النبي ويعقوب وعيسى (ع). يا علي، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وكتب له بكل يوم وأليله ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة وأعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة. يا علي، ساعة في خدمة البيت خير من عبادة ألف سنة، وألف حجة، وألف عمرة، وخير من عتق ألف رقبة، وألف غزوة، وألف مريض عاده، وألف جمعة، وألف جنازة، وألف جائع يشبعهم، وألف عار يكسوهم، وألف فرس يوجهه في سبيل الله، وخير له من ألف دينار يتصدق على المساكين، وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن ألف أسيرة اشتراها فأعتقها، وخير له من ألف بدنة يعطى للمساكين، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة. يا علي، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب. يا علي، خدمة العيال كفارة للكبائر، وتطفى غضب الرب، ومهور حور العين، وتزيد في الحسنات والدرجات. يا علي، لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة [18].

وقال السجاد (ع): "أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله" وقال (ع): "لئن ادخل السوق، ومعى دراهم ابتاع لعيالى لحما، وقد قرموا [19] إليه، أحب إلي من أن أعتق نسمة".  
وقال الصادق (ع): "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله". وقال (ع): "من سعادة الرجل أن يكون القيم على عياله". وقال الكاظم (ع): "إن عيال الرجل اسراؤه، فمن انعم الله عليه نعمة فليوسع على اسرائه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول النعمة". وقال أبو الحسن الرضا (ع): "ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته". وقال (ع): "صاحب النعمة

١٨ [18] صححنا الحديث على (جامع الأخبار): الباب ٨، الفصل ٣، طبع بمبنى سنة ١٣٢٨، ولم نعثر على الحديث في الكتب المعتبرة. إلا أنه في (مستدرك الوسائل) نقله عن (جامع الأخبار) نفسه في أبواب مقدمات التجارة: الباب ١٧.

١٩ [19] قال في (الوافي): ٢٨٨/٦، باب التوسع على العيال، في شرح هذا الحديث: "القرم: شدة شهوة اللحم".



يجب عليه التوسعة على عياله " ٢٠ [20]. والأخبار الواردة في ثواب الإنفاق على العيال وخدمتهم والتوسع عليهم مما لا تعد كثرة. وما ذكرناه كاف لإيقاظ أهل الاستبصار.

## فصل

### ما ينبغي في الإنفاق على العيال

ينبغي لطالب الأجر والثواب في إنفاق العيال: أن يقصد في كده وسعيه في تحصيل النفقة وفي إنفاقه وجه الله وثواب الآخرة، إذ لا ثواب بدون القربة، وأن يجتنب عن تحصيل الحرام والشبهة، ولا يدخل على عياله إلا الحلال، إذ أخذ الحرام وإنفاقه أعظم الذنوب وأشد المعاصي، وان يقصد في التحصيل والإنفاق، فليحترز عن الإقتار لئلا يضيع عياله وعن الإسراف لئلا يضيع عمره في طلب المال، فيكون من الخاسرين الهالكين. قال سبحانه:

" وكلوا واشربوا ولا تسرفوا " ٢١ [21]. وقال: " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط " ٢٢ [22]. وقال: " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً " ٢٣ [23].

وعن الصادق (ع): " أنه تلا هذه الآية: " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً "، فأخذ قبضة من حصي وقبضها بيده، فقال: هذا الإقتار الذي ذكره الله في كتابه. ثم أخذ قبضة أخرى، فأرخى كفه كلها، ثم قال: هذا الإسراف. ثم أخذ قبضة أخرى، فأرخى

٢٠ [20] صححنا الأحاديث، ابتداء من الرواية عن السجاد، على (الوسائل): كتاب النكاح، أبواب النفقات، الباب ٢٠ و ٢١.

٢١ [21] الأعراف، الآية: ٢١.

٢٢ [22] الإسراء، الآية: ٢٩.

٢٣ [23] الفرقان، الآية: ٦٧.

بعضها وامسك بعضها، وقال: هذا القوام "٢٤ [24] وينبغي ألا يستأثر نفسه أو بعض عياله بمأكل طيب، ولا يطعم سائرهم منه، فإن ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف، إلا أن يضطر إليه، لمرض أو ضعف أو غير ذلك. وينبغي ألا يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه، وأن يقعد عياله كلهم على مائدة عند الأكل فقد روى: " إن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة ".

وأما الامور المستحبة من الأنفاق، الداخلة تحت السخاء، فأولها:

### صدقة التطوع

وفضلها عظيم، وفوائدها الدنيوية والأخروية كثيرة. قال رسول الله (ص): " تصدقوا ولو بتمر، فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار ". وقال (ص): " اتقوا النار ولو بشق تمر، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة " وقال (ص): " ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً، إلا كان الله أخذها بيمينه، فيربيها له كما يربي أحدكم فصيله، حتى تبلغ التمرة مثل أحد ". وقال (ص): " ما احسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته ". وقال (ص): " كل امرئ في ظل صدقته، حتى يقضي بين الناس " وقال (ص): " أرض القيامة نار، ما خلا ظل المؤمن، فإن صدقته تظله ". وقال (ص): " إن الله لا آله إلا هو، ليدفع بالصدقة الداء والديبيلة، والحرق والغرق، والهدم والجنون... " وعد سبعين باباً من الشر. وقال (ص): " صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل " [25] ٢٥. وقال (ص): " إذا أطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه ".

٢٤ [24] صححنا الحديث على (الوافي): ٢٩٦/٦. باب فضل القصد بين الإسراف والتقتير.

٢٥ [25] الأخبار النبوية المذكورة في هذا الفصل اغلبها عامية صححناها على (إحياء العلوم): ج ١ بيان فصيلة الصدقة.

وفائدة التخصيص بالذكر والليل: أن من يسألك ليلاً في صورة الإنسان، يحتمل أن يكون ملكاً أذاك للامتحان، كما روى: " أنه سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران (ع)، وقال: يا موسى، أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل، إنه يأتيك من ليس بانس ولا جان، بل ملائكة من ملائكة الرحمن، يبلونك فيما خولتك، ويسألونك فيما نولتك، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران ". ولذلك حث رسول الله (ص) على عدم رد السائل، وقال: " اعط السائل ولو على ظهر فرس ". وقال (ص): " لا تقطعوا على السائل مسألته فلولا أن المساكين يكذبون ما افلح من ردهم " وقال الباقر (ع): " البر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان عن صاحبهما سبعين مئة سوء، وقال الصادق (ع): " داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء، واستنزلوا الرزق بالصدقة، فإنها تفك من بين لحي سبعمئة شيطان، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهي تقع في يد الرب تعالى قبل أن تقع في يد العبد " وقال (ع): " الصدقة باليد تقي مئة سوء، وتدفع سبعين نوعاً من البلاء، وتفك عن لحي سبعين شيطاناً كلهم يأمره ألا يفعل ". وقال (ع): " يستحب للمريض أن يعطي السائل بيده، ويأمره أن يدعو له ". وقال (ع): " باكروا بالصدقة، فان البلاء لا يتخطاها، ومن تصدق بصدقة أول النهار دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم، فان تصدق اول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة ". وكان (ع) إذا أعتم - أي صلى العتمة - وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم، فحمله على عنقه، ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة، فقسمه فيهم ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبد الله (ع)، فقدوا ذلك فعلموا أنه كان أبا عبد الله - (ع) وسئل (ع) عن السائل يسأل ولا يدرى ما هو، فقال: " اعط من اوقع في قلبك الرحمة ". وقال (ع) في السؤال: " اطعموا ثلاثه، وان شئتم أن تزدادوا فزدادوا، وإلا فقد أديتم حق يومكم " وقال (ع) في الرجل يعطى غيره الدراهم يقسمها، قال: " يجرى له من الأجر مثل ما يجرى للمعطي، ولا ينقص من أجره شيئاً. ولو أن المعروف جرى على سبعين يد، لأوجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء ". وقد وردت أخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه، قال أمير المؤمنين (ع): " أول ما يبداً به في الآخرة صدقة الماء يعني في الأجر ". وقال أبو جعفر

(ع): " إن الله تعالى يحب إيراد الكبد الحراء، ومن سقى الماء كبداً حراء، من بهيمة وغيرها أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ". وقال الصادق (ع): " من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء، كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء، كان كمن أحيى نفساً، ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس جميعاً ".

(تنبيه): سئل رسول الله (ص): " أي الصدقة أفضل؟ قال: أن تتصدق وأنت صحيح، تأمل البقاء وتخشى الفاقة، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا ".

---

فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة  
الهدية  
الضيافة  
ما ينبغي أن يقصد في الضيافة  
آداب الضيافة  
الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ  
القرض  
انظار المعسر والتحليل  
بذل الكسوة والسكنى ونحوهما  
ما يبذل لوقاية العرض والنفس  
ما ينفع في المنافع العامة

## فصل

### فضيلة الإسرار في الصدقة المندوبة

لا كلام في أن الإسرار في الصدقة المندوبة افضل من إظهارها للمعطي في إعطائها،  
ويدل عليه قول الصادق (ع): " الصدقة في السر والله افضل من الصدقة في العلانية  
" [1]. وقوله (ع): " كلما فرض الله عليك فإعلانه افضل من إسراره، وكلما كان تطوعاً،  
فإسراره افضل من إعلانه ".

وانما الكلام في أن الأفضل للآخذ في أخذها أن يأخذها سراً أو علانية. فليل الأفضل له  
أخذها سراً، لانه ابقى للتعفف وستر المروة، واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء  
الظن والغيبة. وعون للمعطي على اسرار العمل، وقد علمت افضلية السر على الجهر في  
الاعطاء، وأصون لنفسه عن الإذلال والإهانة، واخلص من شوب شركة الحضار، فان  
المستفاد من الأخبار: أن الحضار شركاء من أهدي له في الهدية. والظاهر ان الصدقة مثلها  
إذا كان الحضار من أهلها. قال رسول الله (ص): " من أهدي له هدية وعنده قوم، فهم

١ [1] صححنا أغلب هذه الأخبار المروية عن أهل البيت (ع) في هذا المقام على  
(الوافي): ٢٨٢/٦، ٢٨٤ باب فضل الصدقة وباب فضل صدقة السر.

شركاؤه فيها". وقال الباقر (ع): "جلساء الرجل شركاؤه في الهدية". وقال (ع): "إذا أهدي للرجل هدية من طعام، وعنده قوم، فهم شركاؤه في الهدية: الفاكهة أو غيرها". وقيل: الأفضل اخذها علانية، والتحدث بها، لتنتقية الكبر والرياء، وتلبيس الحال، وإيجابه الإخلاص والصدق، وإقامة منة الشكر، وإسقاط الجاه والمنزلة، وإظهار العبودية والمسكنة، مع أن العارف ينبغي ألا ينظر إلا إلى الله، والسر والعلانية في حقه واحد، فاختلاف الحال شرك في التوحيد.

والحق أن الحكم بأفضلية أحدهما على الإطلاق غير صحيح، إذ تختلف أفضلية كل منها باختلاف النيات، وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص

فينبغي لطالب السعادة أن يراقب نفسه، ويلاحظ حاله ووقته، ويرى أن أي الحالتين من السر والجهر بالنظر إليه أقرب إلى الخلوص والقربة، وأبعد من الرياء والتلبيس وسائر الآفات، فيختار ذلك، ولا يتدلى بحبل الغرور، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان. مثلاً إذا كان طبعه مائلاً إلى الاسرار ورأى أن باعث هذا الميل حفظ الجاه والمنزلة وخوف سقوط القدر من أعين الناس، ونظر الخلق إليه بعين الازدراء، والى المعطى كونه منعماً محسناً إليه، أو خوف ألا يعطيه الناس بعد ذلك لعلمهم بما أخذه، فلينتقل عن الاسرار ويأخذها علانية، إذ لو ابقى نفسه على ما استكن فيها من الداء الدفين، وعمل بمقتضاها، صار هالكاً وإن كان طبعه مائلاً إلى الاسرار، وأيقن بأن باعث الميل إليه: إبقاء التعفف، وستر المروءة، وصيانة الناس عن الحسد، وسوء الظن والغيبة، ولم يكن باعته شيء من المفاصد المذكورة، فالأولى أن يأخذها سراً. ويعرف ذلك بأن يكون تآلمه بانكشاف أخذه للصدقة كتآلمه بانكشاف صدقة أخذها بعض اقرانه واخوانه المؤمنين، فانه إن كان طالباً لبقاء السر واعانة المعطي على الاسرار، وصيانة العلم عن الابتذال، وحفظ الناس عن الحسد والغيبة وسوء الظن، فينبغي أن يكون طالباً لها في صدقة أخيه أيضاً، إذ يحصل ما يحذر منه: من هتك الستر، وابتذال العلم، ووقوع الناس في الغيبة والحسد بانكشاف صدقة أخيه أيضاً. فان كان انكشاف صدقته اثقل عليه من انكشاف صدقة غيره، فتقديره الحذر من

هذه المعاني تلبس من النفس ومكر من الشيطان. وإذا كان طبعه مائلاً إلى الإظهار، ووجد منه أن باعث هذا الميل هو التطيب لقلب المعطي، والاستحاث له على مثله، والإظهار للغير بأنه من المبالغين في الشكر، حتى يرغبوا في الإحسان إليه فليتنبه أن هذا الداء من الداء الدفين الذي يهلكه لو لم يعالجه، فليترك أخذها جهراً والتحدث بها، وينتقل إلى الأخذ خفية. وإن تيقن من نفسه بأن الباعث هو إقامة السنة في الشكر، والتحدث بالنعمة، وإسقاط الجاه والمنزلة، وإظهار العبودية والمسكنة، أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة من دون تطرق شيء من المفاصد المذكورة، فالإظهار أفضل، ويعرف ذلك بأن تميل نفسه إلى الشكر، حيث لا ينتهي الخبر إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه، وبين يدي جماعة يعلم أنهم يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها، وعادتهم ألا يعطوها إلا من يخفيها ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها. ثم إذا جزم بكون الباعث إقامة السنة في الشكر، فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي، فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر والنشر فيخفى الأخذ ولا يشكر، لأن قضاء حقه ألا ينصره على الإثم، وإن كان ممن لا يحب الشكر ولا يطلب النشر، فالأولى أن يشكره ويظهر صدقته.

وينبغي لكل من يراعي قلبه أن يلاحظ هذه الدقائق ولا يهملها، إذ أعمال الجوارح مع إهمالها ضحكة للشيطان وشماتة له، لكثرة التعب فيها مع عدم تصور نفع لها، والعلم بهذه الدقائق وملاحظتها هو العلم الذي ورد فيه أن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة، إذ بهذا العلم تحيي عبادة العمر، وبالجهل به تموت عبادة العمر.

وثانيها:

### الهدية

وهي ما يعطى ويرسل إلى أخيه المسلم، فقيراً كان أم غنياً، طلباً للاستيناس، وتأكيداً للصحة والتودد. وهو مندوب إليه من الشرع، ومع سلامة القصد والنية يكون عبادة. قال رسول الله (ص): " تحابوا تهادوا، فإنها تذهب بالضغائن. وقال (ص): " لو أهدي إلي ذراع

لقبلت ". وقال أمير المؤمنين (ع): " لان أهدي لأخي المسلم هدية أحب إلي من أن أتصدق بمثلها ". وقال (ع): " من تكرمه الرجل لأخيه المسلم، أن تقبل تحفته وأن يتحفه بما عنده، ولا يتكلف له شيئاً "

وثالثها:

### الضيافة

وثوابها جزيل، وأجرها جميل، وفضلها عظيم، وثمرها جسيم. قال رسول الله (ص): " لا خير فيمن لا يضيف ". ومر (ص) برجل له إبل وبقر كثير، فلم يضيفه، ومر بامرأة لها شويها، فذبحت له، فقال (ص): " انظروا إليهما، فإنما هذه الأخلاق بيد الله عز وجل، فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل ". وقال (ص): " الضيف إذا جاء فنزل بالقوم، جاء برزقه معه من السماء، فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله ". وقال: " ما من ضيف حل بقوم إلا ورزقه في حجره ". وقال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ". وقال (ص): " لا تزال أمتي بخير: ما تحابوا، وأدوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وأقرأوا الضيف، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين ". وقال (ص): " إذا أراد الله بقوم خيراً أهدى لهم هدية. قالوا: وما تلك الهدية؟ قال: الضيف ينزل برزقه، ويرتحل بذنوب أهل البيت ". وقال (ص): كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة ". وقال (ص): " الضيف دليل الجنة ". وقال أمير المؤمنين (ع): " ما من مؤمن يحب الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر فينظر أهل الجمع، فيقولون: ما هذا إلا نبي مرسل! فيقول ملك: هذا مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف، ولا سبيل له إلا أن يدخل الجنة " وقال (ع): " ما من مؤمن يسمع بهمس الضيف وفرح بذلك إلا غفرت له خطايا، وان كانت مطبقة بين السماء والأرض ". وبكى (ع): يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: " لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني ". وعن محمد بن قيس عن أبي عبد الله (ع)، قال: " ذكر أصحابنا قوماً، فقلت: والله ما اتعدى ولا اتعشى إلا ومعني منهم اثنان أو ثلاثة أو اقل أو أكثر



فقال (ع): فضلهم عليك اكثر من فضلك عليهم. قلت: جعلت فداك! كيف ذا وأنا أطعمهم طعامي، وانفق عليهم من مالي، ويخدمهم خادمي؟ فقال: إذا دخلوا عليك دخلوا من الله بالرزق الكثير، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك". وكان إبراهيم الخليل (ع) إذا أراد أن يأكل، خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه، وكان يكنى (أبا الضيفان).

وجميع الأخبار الواردة في فضيلة إطعام المؤمن وسعيه تدل على فضيلة الضيافة، كقوله (ص) بعد سؤاله عن الحج المبرور: " هو إطعام الطعام وطيب الكلام ". وقال (ص): " من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات: الفردوس، وجنة عدن، وطوبى شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده ". وقول الصادق (ع): " من أشبع مؤمناً وجبت له الجنة ". وقوله (ع): " من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا الله رب العالمين ". وسئل (ص): " ما الإيمان؟ فقال: إطعام الطعام ". وقال: " أن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أمتى من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام ". وقال (ص): " من أحب الأعمال إلى الله تعالى: إشباع جوعة المؤمن، وتنفيس كربته، وقضاء دينه ". وقال (ص): " إن الله يحب الإطعام في الله، ويحب الذي يطعم الطعام في الله، والبركة في بيته أسرع من الشفرة في سنام البعير ". وقال (ص): " خيركم من أطعم الطعام ". وقال (ص): " من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتى يشبعه، وسقاه حتى يرويه، بعده الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ". وفي الخبر: " ان الله تعالى يقول للعبد في القيامة: يا ابن آدم، خفت فلم تطعمني. فيقول: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك فلم تطعمه، ولو أطعمته كنت أطعمتني ". وقال (ص): " من سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ". وقال (ص): " من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء، أعطاه

الله بكل شربة سبعين ألف حسنة، وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء، فكأنما اعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل " [2].

## فصل

### (ما ينبغي أن يقصد بالضيافة)

ينبغي أن يقصد في ضيافته التقرب إلى الله، والتسنى بسنة رسول الله واستمالة قلوب الإخوان، وادخال السرور على قلوب المؤمنين، ولا يقصد به الرياء والمفاخرة والمباهاة، وإلا ضاع عمله، وإن يدعو الفقراء والأتقياء وإن كان في ضيافة الأغنياء ومطلق الناس فضيلة أيضاً. وينبغي ألا يهمل في ضيافة الأقارب والجيران، إذ إهمالهم قطع رحم وإحاش، وألا يدعو من يعلم أنه تشق عليه الإجابة. وينبغي أن يعجل في إحضار الطعام لأنه من إكرام الضيف، وقد ورد: " أن العجلة من الشيطان، إلا في خمسة أشياء، فإنها من سنة رسول الله (ص): إطعام الضيف، وتجهيز البيت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنوب ". وأن يحضر من الطعام قدر الكفاية، إذ التقليل عنه نقص في المروءة، والزيادة عليه تضييع، وأن يسعى في إكرام الضيف: من طلاقة الوجه، وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة، والخروج معه إلى باب الدار إذا خرج، قال رسول الله (ص): " إن من سنة الضيف أن يشيعه إلى باب الدار ". ومما ينبغي له ألا يستخدم الضيف، قال الباقر (ع): " من الجفاء استخدام الضيف ". وكان عند الرضا (ع) ضيف، فكان يوماً في بعض الحوائج، فنهاه عن ذلك، وقام بنفسه إلى تلك الحاجة، وقال: " نهى رسول الله (ص) عن أن يستخدم الضيف ".

٢ [2] صححنا أحاديث هذا الفصل على (البحار): ٤مج ١١٠/١٥، باب إطعام المؤمن. و٢٤٢، ٢٤٤. باب آداب الضيف. وعلى (الكافي): باب إطعام المؤمن. وعلى (الوسائل): في آداب المائدة من كتاب الأطعمة والأشربة.

## فصل

### (آداب الضيافة)

ينبغي لكل مؤمن أن يجيب دعوة أخيه إلى الضيافة، من غير أن يفرق بين الغني والفقير، بل يكون أسرع إجابة إلى دعوة الفقير، وألا يمنعه بعد المسافة عن الإجابة إذا أمكن احتمالها عادة. قال رسول الله (ص): "أوصي الشاهد من أمتي والغائب، أن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال، ولا يمنعه صوم التطوع عن الإجابة بل يحضر، فإن علم سرور أخيه بالإفطار فليفطر، ويحتسب في إفطاره أفضل ما يحتسب في صومه" وقال الصادق (ع): "من دخل على أخيه وهو صائم، فافطر عنده ولم يعلمه بصومه فيمن عليه، كتب الله له صوم سنة، وإن علم أنه متكلف ولا يسر بإفطاره فليتعطل".

وينبغي ألا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن، ليدخل عمله في أمور الدنيا، بل ينوى الاقتداء بسنة رسول الله (ص) وإكرام أخيه المؤمن، ليكون في عمله مطيعاً لله مثاباً في الآخرة، وأن يحترز عن الإجابة إذا كان الداعي من الظلمة أو الفساق، أو كانت ضيافته للفخر والمباهاة، ومن كان طعامه حراماً أو شبهة، أو لم يكن موضعه أو بساطه المفروش حلالاً، أو كان في الموضع شيء من المنكرات كإنباء فضة، أو تصوير حيوان على سقف أو حائط، أو أحد آلات اللهو من المزامير وأمثالها، أو التشاغل بشيء من اللهو واللعب والهزل، فكل ذلك مما يمنع الإجابة، ويوجب تحريمها أو كراهيتها. قال الصادق (ع): "لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله تعالى فيه ولا يقدر على تغييره، ومن ابتلى بحضور طعام ظالم إكراهاً وتقية، فليقل الأكل، ولا يأكل أطيب الأطعمة".

وينبغي للضيف - أيضاً - إذا دخل الدار ألا يتصدر، ولا يقصد احسن الأماكن، بل يتواضع ويرضى بالدون من المجلس، وإن أشار إليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه ويجلس فيه، وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع أو الانحطاط، وألا يجلس في مقابلة باب حجرة النسوان، ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام، فانه دليل الشره وخسة النفس، وأن يخص بالتحية والسلام أولاً من يقرب منه.

وينبغي لمن دعى إلى الضيافة ألا يطول الانتظار عليهم، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد.

ورابعها:

### الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ

والمراد من الأول: ما يعرضه الرجل ويقدره في ماله، من قليل أو كثير، غير الصدقات الواجبة، يعطيه محتاجاً أو يصل به رحمه. والمراد بالثاني: ما يعطى به إلى الفقراء من الضغث بعد الضغث: أي القبضة بعد القبضة من الزرع يوم حصاده، ومن الحفنة بعد الحفنة: أي ملء الكف من التمر أو الحنطة أو غيرهما من الثمار والفواكه والحبوبات عند قطعها وتصفيتها. وهذان النوعان من الأنفاق معدودان في صدقة التطوع، وقد وردت بخصوصهما أخبار كثيرة لشدة استحبابهما. قال الصادق (ع): " إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلا بأدائها وهي الزكاة، بها حقنوا دماءهم، وبها سموا مسلمين، ولكن الله تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال الله تعالى:

" والذين في أموالهم حق معلوم " [3]

والحق المعلوم غير الزكاة، وهو شئ يفرضه الرجل على نفسه في ماله، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله، فيؤدى الذي فرض على نفسه إن شاء كل يوم، وإن شاء كل جمعة، وإن شاء في كل شهر " [4]. وقال (ع): " الحق المعلوم ليس من الزكاة، هو الشئ تخرجه من مالك، إن شئت كل جمعة، وإن شئت كل شهر، ولكل ذي فضل فضله، وقول الله تعالى: (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)، فليس من الزكاة، والمعانون

٣ [3]المعارج، الآية: ٢٤.

٤ [4]صححنا الحديث على (الوافي): ٢٨١/٦، باب جملة ما يجب في المال من الحقوق.

ليس من الزكاة، وهو المعروف تصنعه والقرض تقرضه ومتاع البيت تعيره، وصلة قرابتك ليس من الزكاة وقال الله تعالى: (والذين في أموالهم حق معلوم)، فالحق المعلوم غير الزكاة، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه انه في ماله ونفسه، ويجب له أن يفرضه على قدر طاقته ووسعه<sup>٥</sup>[5]. وقال (ع): " وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة. فقلت: أصلحك الله، وما علينا في أموالنا غير الزكاة؟ فقال: سبحان الله! أما تسمع قول الله تعالى؟ يقول في كتابه:

" والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم "[6]٦.

قال: قلت: فماذا الحق المعلوم الذي علينا؟ قال: هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله، يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر، قل أو كثر غير أنه يدوم عليه "[7]٧. وقال (ع) في قول الله تعالى: (في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم): " هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال، فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة آلاف والأقل والأكثر، فيصل به رحمه، ويحمل به الكل عن قومه ". وقال (ع) " في الزرع حقان: حق تؤخذ به، وحق تعطيه. قلت: وما الذي أخذ به وما الذي أعطيه؟ قال: أما الذي تؤخذ به، فالعشر ونصف العشر، وأما الذي تعطيه، فقول الله:

" وآتوا حقه يوم حصاده<sup>٨</sup>[8].

يعني من حصدك الشيء ثم الشيء - ولا اعلمه إلا قال الضغث ثم الضغث - حتى تفرغ

"[9]٩. وقال (ع): " لا تصرم بالليل ولا تحصد بالليل، ولا تبذر بالليل.

٥ [5] نفس المصدر: باب جملة ما يجب فيه الزكاة (الوسائل): ٧/٢، باب الحقوق في المال سوى الزكاة.

٦ [6] المعارج، الآية: ٢٤، ٢٥.

٧ [7] صحننا الحديث على (الوافي): ٢٨١/٦، باب جملة ما يجب في المال من الحقوق وعلى (الوسائل): ٧/٢، باب جملة ما يجب فيه الزكاة.

٨ [8] الأنعام، الآية: ١٤١.

فانك إن فعلت ذلك لم يأتك القانع والمعتر. فقلت: وما القانع والمعتر؟ فقال: القانع الذي يقنع بما أعطيته، والمعتر: الذي يمر بك فيسألك. وإن حصدت بالليل لم يأتك السؤال، وهو قول الله تعالى: (وأتوا حقه يوم حصاده) عند الحصاد، يعني القبضة بعد القبضة إذا حصدته، فإذا خرج فالحفنة بعد الحفنه، وكذلك عند الصرام، وكذلك عند البذر. ولا تيزر بالليل لأنك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد". وقال الباقر (ع) في قول الله تعالى (وأتوا حقه يوم حصاده): " هذا من الصدقة، يعطي المسكين القبضة بعد القبضة، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة، حتى يفرغ " وفي مضمون هذه الأخبار أخبار كثيرة أخر.

وخامسها:

### القرض

وهو أيضاً من ثمرات السخاء، لأن السخي تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله إلى حين استطاعته، كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله، والبخيل يشق عليه ذلك. وثواب القرض عظيم، وفضله جسيم. قال الباقر (ع): " من أقرض رجلاً قرضاً إلى ميسرة كان ماله في زكاة، وكان هو في الصلاة مع الملائكة حتى يقبضه ". وقال الصادق (ع): " مكتوب على باب الجنة: الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر ". وقال (ع): ما من مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله، إلا حسب الله له أجره بحساب الصدقة، حتى يرجع ماله إليه، يعني أعطاه الله في كل أن اجر صدقة، ذلك لأن له قضاءه في كل أن، فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانياً وثالثاً وهلم جرا، إلى أن يقبضه " وقال (ع): " لا تمنعوا قرض الخمير

والخبز واقتباس النار، فانه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق".  
وقال: " لا تمنعوا قرض الخمير والخبز، فان منعهما يورث الفقر " ١٠ [10].

وسادسها:

### أنظار المعسر والتحليل

وهو أيضاً من أفراد البذل المترتب على السخاء، وقد ورد في فضله أخبار كثيرة، قال الصادق (ع): " من أراد أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله، فلينظر معسراً، أو يدع له من حقه ". وقال (ع): " إن رسول الله (ص) قال في يوم حار - وحنًا كفه -: من أحب أن يستظل من فور جهنم؟ - قالها ثلاث مرات - فقال الناس في كل مرة: نحن يا رسول الله. فقال: من أنظر غريماً أو ترك المعسر ". وقال (ع): " سعد رسول الله (ص) المنبر ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على أنبيائه ثم قال: أيها الناس، ليبلغ الشاهد الغائب منكم، ألا ومن انظر معسراً كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله، حتى يستوفيه ". وقيل له (ع): " إن لعبد الرحمن بن سبابة ديناً على رجل قد مات، وقد كلمناه ان يحلله فأبى، فقال: ويحه! أما يعلم ان له بكل درهم عشرة إذا حلله، وإن لم يحلله فإنما هو درهم بدرهم؟ " ١١ [11] وفي معناها أخبار كثيرة آخر.

وسابعها:

١٠ [10] صححنا الأحاديث الواردة في هذا المقام على (الوافي): ٢٩٢/٦، باب القرض.

١١ [11] صححنا جميع الأحاديث الواردة في هذا المقام على (الوافي): ٢٩٢/٦، باب أنظار المعسر والتحليل، وعلى (فروع الكافي): باب أنظار المعسر، كتاب الزكاة.

## بذل الكسوة والسكنى ونحوهما

غير ما ذكر من وجوه الإعانة بالمسلم، كبذل الكسوة والسكنى، وحمله على الدابة، واعطائه الماعون، وأعارته المتاع وسائر ما يحتاج إليه، وإطراق الفحل وغير ذلك، فإن جميع ذلك من ثمرات السخاء، ومنعها من نتائج البخل. وفي كل واحد منها فضيلة وثواب، وورد في فضيلة كل منها أخبار.

ومما يدل على مدح كسوة المؤمن، قول الباقر (ع): "لإن أحج حجة أحب إلي من أن أعتق رقبة ورقبة ورقبة (حتى انتهى إلى عشره)، ومثلها ومثلها (حتى انتهى إلى سبعين). ولأن أعول أهل بيت من المسلمين، اشبع جوعتهم، واكسوا عورتهم، واكف وجوههم عن الناس، أحب إلي من أن أحج حجة وحجة (حتى انتهى إلى عشر) وعشر مثلها ومثلها (حتى انتهى إلى سبعين) " [12] ١٢. وقال الصادق (ع): "من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف، كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة، وأن يهون عليه من سكرات الموت، وأن يوسع عليه في قبره، وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى، وهو قول الله عز وجل في كتابه:

" وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون " [13] ١٣

وقال: " من كسا أحداً من فقراء المسلمين ثوباً من عرى، أو اعانته بشيء مما يقويه على معيشته، وكل الله عز وجل به سبعة آلاف ملك من الملائكة، يستغفرون لكل ذنب عمله، إلى أن ينفخ في الصور " [14] ١٤.

١٢ [12] صححنا الحديث على (الوافي): ٢٨٢/٦، باب فضل الصدقة.

١٣ [13] الأنبياء، الآية: ١٠٣.

١٤ [14] صححنا الأحاديث الواردة في هذا المقام على (الكافي): باب من كسا مؤمناً.



وثامنها:

### ما يبذل لوقاية العرض والنفس

ما يبذل لوقاية العرض، وحفظ الحرمة، ورفع شر الأشرار وظلم الظلمة. فان السخى لا يقصر في شيء من ذلك، والبخيل ربما منع بخله عن ذلك، فيهتك عرضه ويذهب حرمة. وفي بعض الأخبار دلالة على أن البذل لذلك صدقة. وتقدم أن ما وقى المرء به عرضه فهو صدقة وكذا بذل ما تقتضيه المروءة والعادة من ثمرات الجود والسخاء، ومن منعه كان بخيلاً.

وتاسعها:

### ما ينفق في المنافع العامة

والخيرات الجارية، من بناء المساجد والمدارس والربط والقناطير، واجراء القنوات، وأمثال ذلك مما يبقى أثره على مر الدهور، ويصل نفعه وثوابه إلى صاحبه في كل وقت إلى يوم النشور. ولا يخفى ثواب ذلك. والأخبار الواردة في مدحه وفضيلته أكثر من أن تحصى، ولا حاجة إلى ذكرها لاشتهارها بين الناس.

---

الفرق بين الأنفاق والبر والمعروف

طلب الحرام

عزة تحصيل الحلال

أنواع الأموال

الفرق بين الرشوة والهدية

الورع عن الحرام

### تنبيه

### الفرق بين الأنفاق والبر والمعروف

اعلم أن لفظ الأنفاق والمعروف والبر يتناول جميع ما تقدم من الأنفاقات الواجبة والمستحبة. والفرق بينها: أن الأنفاق خاص بالمال، والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والاحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع من فعل وترك، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والغالب في الأخبار إرادة ما يتعلق بالمال من معانيه. والبر كالمعروف في شموله لجميع أعمال الخير في الأصل، وانصراف إطلاقه غالباً في الأخبار إلى ما يتعلق بالمال من وجوه الأنفاقات المتقدمة بأسرها، وربما خص بما سوى الصدقة منها، لما ورد أن البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر. والظاهر أن مبنى الخبر على ذكر الخاص بعد العام، فلا وجه للتخصيص. ثم الصدقة تتناول جميع ما تقدم من وجوه الأنفاق، سوى المروءة. وعلى أي تقدير، لا ريب في أن ما ورد من الآيات والأخبار في فضيلة مطلق الأنفاق والمعروف والبر يدل على فضيلة كل واحد مما تقدم من وجوه الأنفاق، كقوله سبحانه:

" أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم " [1].

وقوله: " وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خيرٍ يوف إليكم وأنتم لا تظلمون " [2]. وقوله: " وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى... " الآية [3].

وقوله: " قل ما أنفقتم من خيرٍ فلولالدين والأقربين... " [4] ٤. وقوله: " يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة " [5] ٥. وقوله: " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلةٍ... " الآية [6] ٦. وقوله: " الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أدى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [7] ٧.

وقول رسول الله (ص): " أول من يدخل الجنة المعروف وأهله، وأول من يرد علي الحوض ".  
وقوله (ص): " إن البركة أسرع إلى البيت الذي يمتار فيه المعروف من الشفرة في سنام الجزور، أو من السيل إلى منتهاه ". وقول الباقر (ع): " إن من أحب عباد الله إلى الله، لمن حبيب إليه المعروف وحبب إليه فعاله " وقول الصادق (ع): " إن من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف، وإن من فناء الإسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف " وقوله (ع): " رأيت المعروف كاسمه، وليس شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه ". وقوله (ع) مخاطباً لزرارة " ثلاثة إن تعلمهن المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء لنعمه عليه. فقلت وما هن؟ فقال: تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته، وتطويله لجلوسه على طعامه إذا اطعم على مائدته، واصطناعه المعروف إلى

٢ [2] البقرة، الآية: ٢٧٢.

٣ [3] البقرة، الآية: ١٧٧.

٤ [4] البقرة، الآية: ٢١٥.

٥ [5] البقرة، الآية: ٢٥٤.

٦ [6] البقرة، الآية: ٢٦١.

٧ [7] البقرة، الآية: ٢٦٢.

أهله". وقوله (ع): " أقبلوا لاهل المعروف عثراتهم، واغفروا لهم، فان كف الله عليهم هكذا - وأوماً بيده كأنه يظلل بها شيئاً ". وقوله (ع): " صنائع المعروف تقى مصارع السوء ". وقال (ع): " إن للجنة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف. وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ": يعني كما أنهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعونه في الآخرة، يهبون حسناتهم لمن شأوا، كما قال الصدق (ع) في خبر آخر: " يقال لهم في الآخرة: إن ذنوبكم قد غفرت لكم، فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة ". وقال (ع): " قال اصحاب رسول الله (ص): يا رسول الله فداك أبوانا وامهاتنا! إن اصحاب المعروف في الدنيا عرفوا بمعروفهم، فبم يعرفون في الآخرة؟ فقال (ص): إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة، أمر ريحاً عبقة طيبة فلصقت بأهل المعروف، فلا يمر أحد منهم بملاً من أهل الجنة إلا وجدوا ريحه، فقالوا: هذا من أهل المعروف

"<sup>8</sup>[8].

ومنها - أي من رذائل القوة الشهوية -:

### طلب الحرام

وعدم الاجتناب عنه. ولا ريب في كونه مترتباً على حب الدنيا والحرص عليها، وهو أعظم المهلكات، وبه هلك أكثر من هلك، وجل الناس حرموا عن السعادة لأجله، ومنعوا عن توفيق الوصول إلى الله بسببه. ومن تأمل يعلم أن أكل الحرام أعظم الحجب للعبد من نيل درجة الأبرار، وأقوى الموانع له عن الوصول إلى عالم الأنوار، وهو موجب لظلمة القلب وكدرته، وهو الباعث لخبثه وغفلته، هو العلة العظمى لخسران النفس وهلاكها، وهو السبب الأقوى لضلالتها، وخبائثها، هو الذي أنساها عهود الحمى، وهو الذي أهواها في مهاوى الضلالة والردى وما للقلب المتكون من الحرام والاستعداد لفيوضات عالم القدس! وأنى للنظفة الحاصلة منه والوصول إلى مراتب الانس

وكيف يدخل النور والضيء في قلب أظلمته أذخنة المحرمات؟ وكيف تحصل الطهارة والصفاء

لنفس اخبتها قدرات المشتبهات؟

ولأمر ما حذر عنه أصحاب الشرع وأمناء الوحي غاية التحذير، وزجروا منه أشد الزجر، قال رسول الله (ص): إن الله ملكا على بيت المقدس، ينادى كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل " : أي لا نافلة ولا فريضة. وقال (ص): " من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أين أدخله النار ". وقال (ص): " كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ". وقال (ص): " من أصاب مالا من مأثم، فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله، جمع الله ذلك جمعاً، ثم أدخله في النار ". وقال (ص): إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي هذه المكاسب الحرام، والشهوة الخفية، والربا ". وقال (ص): " من اكتسب مالا من الحرام فان تصدق به لم يقبل منه، وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار " [9] ٩. وقال الصادق (ع): " إذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ثم حج فلبى، نودي: لا لبيك ولا سعديك [10] ١٠! وان كان من حله، نودي لبيك وسعديك! ". وقال (ع): " كسب الحرام يبين في الذرية ". وقال (ع) في قوله تعالى:

" وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً " [11] ١١

" ان كانت اعمالهم أشد بياضاً من القباطى، فيقول الله عز وجل لها: كوني هباء. وذلك أنهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه " [12] ١٢. وقال الكاظم (ع): إن الحرام لا ينمى، وان نمى لم يبارك

٩ [9] هذه النبويات - عدا الخامس - مذكورة في (إحياء العلوم): ٨١/٢، وصححناها عليه. اما الخامس، فقد رواه في (الوسائل) عن (الكافي): كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب منه، الباب ١، الحديث ١.

١٠ [10] صححنا الحديث على (الوسائل): كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، باب عدم جواز الأنفاق من الكسب الحرام، الحديث ٣. وفي نسخ (جامع السعادات): " إذا كسب "

١١ [11] الفرقان، الآية: ٢٣.

١٢ [12] صححنا الحديث على (الوسائل): كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به الباب ١، الحديث ٦. وكذا ما قبله في هذا الباب، الحديث ٣.

فيه، وإن انفق لم يؤجر عليه، وما خلفه كان زاده إلى النار ". وفي بعض الأخبار: " أن العبد ليوقف عند الميزان، وله من الحسنات أمثال الجبال، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه انفق، حتى تفنى تلك المطالبات كل أعماله، فلا تبقى له حسنة. فتنادى الملائكة: هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا، وارتهن اليوم بأعماله " وورد: " أن أهل الرجل وأولاده يتعلقون به يوم القيامة، فيوقفونه بين يدي الله تعالى، ويقولون: يا ربنا خذ لنا، بحقنا منه، فإنه ما علمنا ما نجعل، وكان يطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم. فيقتصص لهم منه " [13].

## فصل

### عزة تحصيل الحلال

ينبغي لطالب النجاة أن يفر من الحرام فراره من الاسد، ويحترز منه احترازه من الحية السوداء، بل أشد. وأنى يمكنه ذلك في أمثال زماننا الذي لم يبق فيه من الحلال إلا الماء الفرات والحشيش النابت في ارض الموات، وما عداه قد أخبثته الايدي العادية، وأفسدته المعاملات الفاسدة ما من درهم إلا وقد غصب من أهله مرة بعد أولى، وما من دينار إلا وقد خرج من ايدي من أخذه قهراً كرة غب أولى، جل المياه والاراضي من أهلها مغصوبة، وأنى يمكن القطع بحلية الأقوات واكثر المواشي والحيوانات من أهلها منهوبة، فأنى يتأتى الجزم بحلية اللحوم والالبان والدسوم. فهيهات ذلك هيهات! ما من تاجر إلا ومعاملته مع الظالمين، وما من ذي عمل إلا وهو مخالط للجائرين من عمال السلاطين.

وبالجملة: الحلال في امثال زماننا مفقود، والسبيل دون الوصول إليه مسدود. ولعمري! أن فقده آفة عمّ في الدين ضررها، ونار استطار في الخلق شررها. والظاهر أن أكثر الإعصار كان حالها كذلك، ولذلك قال الإمام جعفر بن محمد الصادق - عليهما السلام -: " المؤمن يأكل في الدنيا بمنزلة

١٣ [13] هذان الخبران الاخيران لم نعثر لهما على مستند. وقد ذكرهما في (إحياء العلوم): ٣٠/٢، فقال عن الأول: " وفي الخبر "، وعن الثاني: " ويقال ".

المضطر ". وقال رجل للكاظم (ع): " ادع الله جل وعز أن يرزقني الحلال، فقال: أتدري ما الحلال؟ قال: الكسب الطيب. فقال: كان علي بن الحسين - عليهما السلام - يقول: الحلال قوت المصطفين. ولكن قل: أسألك من رزقك الواسع ". ومع ذلك كله، لا ينبغي للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحلال، ويترك الفرق والفصل بين الأموال، فإن الله سبحانه أجل واعظم من أن يكلف عباده بأكل الحلال ويسد عنهم طريق تحصيله.

## فصل

### أنواع الأموال

اعلم أن الأموال على أقسام ثلاثة: حلال بين، وحرام بين، وشبهات بينهما. ولكل منها درجات، فإن الحرام وإن كان كله خبيثاً، إلا أن بعضه أخبث من بعض، فإن ما يؤخذ بالمعاملة الفاسدة مع التراضي ليس في الحرمة كمال اليتيم الذي يؤخذ قهراً. وكذا الحلال وإن كان كله طيباً، إلا أن بعضه أطيّب من بعض. والشبهة كلها مكروهة، ولكن بعضها أشد كراهة من بعض، وكما أن الطيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضه حار في الدرجة الأولى، وبعضه في الثانية، وبعضه في الثالثة، وبعضه في الرابعة، فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية، وبعضه في الثالثة، وبعضه، في الرابعة، وكذلك درجات الحلال في الصفاء والطيبة، ودرجات الشبهة في الكراهة.

ثم الحرام إما يحرم لعينه، كالكلب والخنزير والتراب وغيرها من المحرمات العينية، أو لصفة حادثه فيه، كالخمر لاسكاره، والطعام المسموم لسميته، أو لخلل في جهة اثبات اليد عليه. وله أقسام غير محصورة، كالمأخوذ بالظلم والقهر والغصب والسرقة والخيانة في الامانة غيرها، والغش والتلبيس والرشوة، وبالبخس في الوزن والكيل، وباحدى المعاملات الفاسدة من الربا والصرف والاحتكار، وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه وقد نهى الله سبحانه عن جميع ذلك في آيات كثيرة، كقوله تعالى:

" ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " ١٤ [14]. وقوله: " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً... " ١٥ [15]، وعن خصوص الربا بقوله: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين "، ثم قال " فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله "، ثم قال " وإن تبتم فلکم رؤس أموالکم " ١٦ [16]، ثم قال: " ومن عاد فأولئك أصحاب النار " ١٧ [17].

جعل أكل الربا في أول الامر مؤدياً إلى محاربة الله، وفي آخره متعرضاً للنار. وقد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه في أخبار كثيرة، وهي في كتب الأخبار والفقهاء المذكورة، وتفصيل جميع المحرمات موكول إلى كتب الفقهاء، وليس هنا موضع بيانه، فليرجع فيه إلى كتب الفقهاء.

### الفرق بين الرشوة والهدية

وربما يتوهم الاشتباه في بعض الموارد بين الرشوة والهدية، فلنشر إلى جلية الحال فيهما، فنقول:  
هنا صور:

الأولى - أن يسلم أو يرسل مالا إلى بعض الاخوان طلباً للاستئناس وتأكيذاً للصحة والتودد. وقد عرفت كونه هدية وحلالاً، سواء قصد به الثواب في الآخرة والتقرب إلى الله تعالى أيضاً، أو لم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستئناس والتودد.

١٤ [14] البقرة، الآية: ١٨٨.

١٥ [15] النساء، الآية: ١٠.

١٦ [16] البقرة، الآية: ٢٧٨ - ٢٧٩.

١٧ [17] البقرة، الآية: ٢٧٥.



الثانية - أن يقصد بالبذل عوض مالي معين في العاجل، كأن يهدى الفقير إلى الغني أو الغني شيئاً طمعاً في عوض أكثر أو مساو من ماله. وهذا أيضاً نوع هدية، وحقيقتة ترجع إلى هبة بشرط العوض، وإذا وفى بما (يطمع فيه) ١٨ [18] من العوض فلا ريب في حليته. قال الصادق (ع): " الربا رباءان: ربا يؤكل، وربا لا يؤكل فاما الذي يؤكل فهديتك إلى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها، فذلك الربا الذي يؤكل وهو قول الله تعالى:

" وما أتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله " ١٩ [19].

وأما الذي لا يؤكل، فهو الذي نهى الله عز وجل عنه، وأوعد عليه النار " ٢٠ [20] وعنه (ع): " قال: الهدية على ثلاثة وجوه: هدية مكافأة، وهدية مصنعة، وهدية لله عز وجل " ٢١ [21]. وفي بعض الأخبار نوع إشعار بالحل، وإن لم يتحقق الوفاء بما (يطمع فيه) ٢٢ [22] من العوض، كخبر اسحاق بن عمار عن الصادق (ع): " قال: قلت له (ع): الرجل الفقير يهدى الي الهدية، يتعرض لما عندي، فأخذها ولا أعطيه شيئاً أيجل لي؟ قال نعم! هي لك حلال، ولكن لا تدع أن تعطيه " ٢٣ [23] وهل يحل مع إعطائه العوض المطموع فيه إذا لم يكن من ماله، بل كان من الأموال التي أعطته الناس ليصرف إلى الفقراء من الزكوات والاحماس وسائر وجوه البر، والظاهر الحل إذا كان

١٨ [18] في النسخ: " يطعمه "، فرجحنا ما اثبتناه.

١٩ [19] الروم، الآية: ٣٩.

٢٠ [20] صححناه على (الوسائل): كتاب التجارة، أبواب الربا، الباب ٣، الحديث ١.

٢١ [21] صححناه على (الوسائل): كتاب التجارة، أبواب ما يكسب به، الباب ١١٩، الحديث ٢.

٢٢ [22] في النسخ: (يطعمه).

٢٣ [23] صححناه على (الوسائل): كتاب التجارة، أبواب ما يكسب به، الباب ١١٩، الحديث ٢.

المهدي من أهل الاستحقاق والمهدى له معطياً إياه، وإن لم يكن ليهدى له شيئاً. وفيه تأمل، كما يظهر بعد ذلك.

الثالثة - أن يقصد به الاعانة بعمل معين، كالمحتاج إلى السلطان أو ذي شوكة يهدي إلى وكيلهما، أو من له مكانة عندهما، فينظر إلى ذلك العمل، فإن كان حراماً، كالسعي في تنجز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غير ذلك، أو واجباً، كدفع ظلم أو استخلاص حق ينحصر الدفع والاستخلاص به، أو شهادة معينة، أو حكم شرعي يجب عليه، أو أمثال ذلك، فهو رشوة محرمة يحرم أخذها، وإن كان العمل مباحاً لا حراماً ولا واجباً. فإن كان فيه تعب، بحيث جاز الاستئجار عليه، فما يأخذه حلال وجار مجرى الجعالة، كأن يقول: أوصل هذه الفضة إلى السلطان ولك دينار أو أقترح على فلان أن يعينني على كذا أو يعطيني كذا، وتوقف تنجز غرضه على تعب أو كلام طويل، فما يأخذه في جميع ذلك مباح، إذا كان الغرض مشروعاً مباحاً، وهو مثل ما يأخذه وكيل القاضي للخصومة بين يديه، بشرط ألا يتعدى من الحق. وإن لم يكن العمل مما فيه تعب بل كان مثل كلمة أو فعل لا تعب فيها أصلاً، ولكن كانت تلك الكلمة أو تلك الفعل من مثله مفيدة، لكونه ذا منزلة، كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان، فقال بعض العلماء: الآخذ على هذا حرام، إذ لم يثبت في الشرع جواز ذلك. ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته. وفيه نظر، إذ الظاهر جواز هذا الآخذ مع مشروعية الغرض وعدم كونه واجباً عليه.

الرابعة - أن يطلب به حصول التودد والمحبة، ولكن لا من حيث إنه تودد فقط، بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها، وكان بحيث لولا جاهه لكان لا يهدى إليه، فإن كان جاهه لأجل علم أروع أو نسب فالامر فيه أخف، والظاهر كون الآخذ حينئذ مكروهاً، لأنه هدية في الظاهر مع كونه مشابهاً للرشوة. وإن كان لأجل ولاية تولاها، من قضاء أو حكومة أو ولاية صدقة أو وقف أو جباية مال أو غير ذلك من الاعمال السلطانية، فالظاهر كون ما يأخذه حراماً لو كان بحيث لا يهدى إليه لولا تلك الولاية، لأنه رشوة عرضت في معرض الهدية، إذ القصد بها في الحال طلب التقرب والمحبة، ولكن لأمر ينحصر في جنسه، لظهور أن ما يمكن التوصل إليه بالولايات ماذا، قال رسول الله (ص): " يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية، والقتل

بالموعظة، يقتل البريء لتوعظ به العامة". وروى: " أنه (ص) بعث والياً على صدقات الأزدي، فلما جاء أمسك بعض ما معه، وقال: هذا لكم وهذا لي هدية. فقال (ص): ألا جلست في بيت أبيك وبيت امك حتى تأتيك هدية إن كنت صادقاً! ثم قال: مالي استعمل الرجل منكم، فيقول: هذه لكم وهذه هدية لي، ألا جلس في بيت أمه ليهدى له! والذي نفسي بيده! لا يأخذ منكم أحد شيئاً بغير حقه إلا أتى الله بحمله، ولا يأتين احدكم يوم القيامة ببيعير له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر... ثم رفع يديه حتى رأوا بياض ابطينه، وقال: اللهم هل بلغت؟" [24] ٢٤.

وعلى هذا، فينبغي لكل وال أو حاكم وقاض وغيرهم من عمال السلاطين، أن يقدر نفسه في بيت أبيه وامه معزولاً بلا شغل، فما كان يعطى حينئذ يجوز له أن يأخذه في ولايته أيضاً، وما لا يعطى مع عزله ويعطى لولايته يحرم أخذه، وما أشكل عليه من عطايا اصدقائه فهو شبهة وطريق الاحتياط فيها واضح.

## فصل

### الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه، وهو الورع بأحد اطلاقيه، فان الورع قد يفسر بملكة التنزه والاجتناب عن مال الحرام اكلاً وطلباً واخذاً واستعمالاً، وقد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصي ومنعها عما لا ينبغي. فعلى الأول يكون ضداً لعدم الاجتناب عن المال الحرام، ويكون من رذائل قوة الشهوة، وعلى الثاني يكون ضداً لملكة الولوع على مطلق المعصية، ويكون من رذائل القوة الغضبية والشهوية جميعاً.

ثم الظاهر ان التقوى مرادفة للورع، فان لها أيضاً تفسيرين: أحدهما الإتقاء عن الأموال المحرمة، وقد اطلقت التقوى في بعض الأخبار على هذا المعنى. وثانيهما: ملكة الاتقاء عن مطلق المعاصي،

خوفاً من سخط الله وطلباً لرضاه. فعلى الأول يكون ضدّاً لعدم التنزه عن المال الحرام ورتيلة لقوة الشهوة، وعلى الثاني يكون ضدّاً لملكة ارتكاب المعاصي ورتيلة للقوتين معاً.

ثم اللازم على طريقتنا ان يذكر الورع والتقوى بالتفسير الأول هنا وبالتفسير الثاني في المقام الرابع الذي نذكر فيه ما يتعلق بالقوتين أو بالثلاث من الرذائل والفضائل. إلا انا نذكر ما ورد في فضيلتهما هنا، لدلالة ما ورد في فضيلتهما بالتفسير الثاني على فضيلتهما بالتفسير الأول أيضاً، ولعدم فائدة في استئناف عنوان على حدة لمطلق المعصية وذكر ما ورد في ذمها، ثم تذييلها بضعها الذي هو الورع والتقوى بتفسيرهما العام. إذ بعد ذكر جميع الأجناس والأنواع والأصناف من المعاصي والطاعات، بأحكامها ولوازمها وذمها ومدحها، لا فائدة لاستئناف ذكر مطلق المعصية أو الطاعة إذ لا يتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد في ذم مطلق المعصية، وما ورد في مدح مطلق الطاعة، وهذا أمر ظاهر لا حاجة إليه في كتب الأخلاق. نعم، نشير إلى مطلق العصيان وضده، أعني الورع والتقوى بالمعنى الأعم أجماً، ضبطاً للأنواع والأقسام.

---

مدح الورع  
مداخل الحلال  
درجات الورع  
الغدر والخيانة  
أنواع الفجور  
الخوض في الباطل  
التكلم بما لا يعنى أو الفضول  
حد التكلم بما لا يعنى  
علاج الخوض بما لا يعنى  
الصمت

## فصل

### مدح الورع

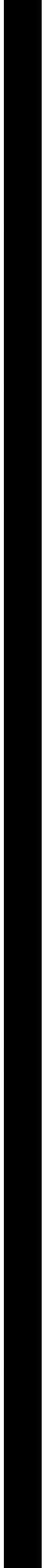
الورع والتقوى عن الحرام أعظم المنجيات، وعمدة ما ينال به إلى السعادات ورفع الدرجات. قال رسول الله (ص): "خيركم دينكم الورع". وقال (ص): "من لقي الله سبحانه ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كله". وفي بعض الكتب السماوية "وأما الورعون، فاني استحيي أن أحاسبهم". وقال الباقر (ع): "إن أشد العبادة الورع". وقال (ع): "ما شيعتنا إلا من أتقى الله واطاعه، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة. احب العباد إلى الله تعالى واکرمهم عليه أبقاهم واعملهم بطاعته" وقال الصادق (ع): "أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه". وقال: "اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع". وقال (ع): "عليكم بالورع، فانه لا ينال ما عند الله إلا بالورع". وقال (ع): "إن الله ضمن لمن اتقاه، أن يحوله عما يكره إلى ما يحب، ويرزقه من حيث لا يحتسب". وقال (ع): "إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى". وقال (ع): "ما نقل الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه من غير مال، واعزه من غير عشيرة، وأنسه من غير بشر". وقال (ع): "إنما أصحابي من أشد ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، هؤلاء أصحابي". وقال (ع): "ألا وإن من اتباع امرنا وارادته الورع،

فتزينوا به يرحمكم الله، وكيدوا أعداءنا ينعشكم الله ". وقال (ع): " أعينونا بالورع، فان من لقي الله منكم بالورع، كان له عند الله فرجاً. إن الله عز وجل يقول:

" ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً [1].

فمنا النبي، ومنا الصديق والشهداء والصالحون " وقال أبو جعفر (ع): " قال الله عز وجل. يابن آدم اجتنب ما حرم عليك تكن من أروع الناس ". وسئل الصادق (ع) عن الورع من الناس، فقال: " الذي يتورع عن محارم الله عز وجل " [2].





ولكون طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه باعثاً للهلاك، وتوقف النجاة والسعادة في الآخرة على الورع عن المحرمات، مع افتقار الناس في الدنيا إلى المطاعم والملابس، ورد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ما ورد

قال رسول الله (ص): " طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة ". وقال (ص): " من بات كالا من طلب الحلال، بات مغفوراً له ". وقال (ص): " العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال ". وقال (ص): " العبادة عشرة أجزاء تسعة... أجزاءه في طلب الحلال ". وقال (ص): " من أكل من كد يده، مر على الصراط كالبرق الخاطف ". وقال (ص): " من أكل من كد يده، نظر الله إليه بالرحمة، ثم لا يعذبه أبداً ". وقال (ص): " من أكل من كد يده حلالاً، فتح الله له أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء ". وقال (ص): " من أكل من كد يده، كان يوم القيامة في عداد الأنبياء، ويأخذ ثواب الأنبياء ". وقال (ص): " من طلب الدنيا استعفاً عن الناس وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه

---



كالقمر ليلة البدر "3]3[ وكان (ص) إذا نظر إلى الرجل واعجبه، قال: هل له حرفة؟ فان

قال: لا، قال: سقط من عيني. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن المؤمن إذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه". وقال (ص): " من سعى على عياله من حله، فهو كالمجاهد في سبيل الله". وقال (ص): " من طلب الدنيا حلالاً في عفاف، كن في درجة الشهداء " وقال (ص): " من أكل الحلال أربعين يوماً، نور الله قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ". طلب منه (ص) بعض الصحابة أن يجعله الله تعالى مستجاب الدعوة، فقال له: " أظب طعمتك تستجب دعوتك ". وقال الصادق (ع): " اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام، وقرلوا لهم: إن فلان بن فلان يقرؤكم السلام، وقولوا لهم: عليكم بتقوى الله عز وجل، وما ينال به ما عند الله، إني والله ما أمركم إلا بما تأمر به أنفسنا، فعليكم بالجد والاجتهاد، وإذا

---

صليتم الصبح وانصرفتم، فبكروا في طلب لرزق، واطلبوا الحلال، فإن الله عز وجل

سيرز فكم ويعينكم عليه " 4].

## فصل

### مداخل الحلال

إعلم أن مداخل الحلال خمسة:

الأول - مالا يؤخذ من مالك، كنبيل المعادن، وإحياء الموات، والاصطياد، والاحتطاب، والاحتشاش، والاستقاء من الشطوط والأنهار وهذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصاً بذي حرمة من الناس، وتفصيل ذلك موكول إلى كتاب إحياء الموات.

الثاني - ما يؤخذ قهراً ممن لا حرمة له، وهو الفيء، والغنيمة، وسائر أموال الكفار المحاربين. وذلك حلال للمسلمين بالشروط المقررة في كتاب الغنائم والجزية.

الثالث - ما ينتقل إليه بالرضى من غير عوض، من حى أو ميت، كالهبة، والميراث، والوصية، والصدقات. وهذا حلال بشرط أن يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال، ويضمن سائر الشروط المقررة في كتاب الهبات والفرايض والوصايا والصدقات.

الرابع - ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة، وذلك حلال بالشرائط والآداب المقررة في فن المعاملات من الفقه، من البيع، والسلم، والإجارة، والصلح والشركة، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، والحوالة، والضمان، والكتابة، والخلع، والصداق، وغير ذلك من المعاوضات.

الخامس - ما يحصل من الزراعة ومنافع الحيوانات. وهو حلال إذا كان الأرض والبذر والماء والحيوانات حلالاً بأحد الوجوه المتقدمة.

فهذه مداخل الحلال، فينبغي لطالب النجاة أن يكون ما يكتسبه من المال من أحد هذه المداخل، بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحلية.

---

## فصل

### درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على أربع درجات:

الأولى - ورع العدول: وهو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه، وتسقط به العدالة، ويثبت به العصيان والتعرض للنار، وهو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين.

الثانية - ورع الصالحين: هو الاجتناب من الشبهات أيضاً.

الثالثة - الورع عما يخاف ادائه إلى محرم أو شبهة أيضاً، وإن لم يكن في نفسه حراماً ولا شبهة، فهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس.

الرابعة - ورع الصديقين: وهو الاجتناب عن كل ما ليس لله، ويتناول لغير الله، وغير نيته التقوى على عبادته وإن كان حلالاً صرفاً لا يخاف ادائه إلى حرام أو شبهة. والصديقون الذين هذه درجاتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ أنفسهم، المتفردون لله تعالى بالقصد، الراؤن كل ما ليس لله تعالى حراماً، والعاملون بقوله سبحانه:

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون " [5].

### تتميم

قال الصادق (ع): " التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى من خوف النار والعقاب، وهو ترك الحرام، وهو تقوى العام. وتقوى من الله، وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام، وهو تقوى

الخاص. وتقوى في الله، وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهة "6[6] والى هذه المراتب



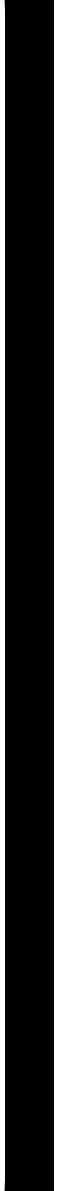
الثلاث أشير في الكتاب الإلهي بقوله:

" ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا

الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين " [7]

الغدر والخيانة

---



في المال أو العرض أو الجاه. ويدخل تحته الذهب بحقوق الناس خفية، وحبسها من غير عسر، وبالبخس في الوزن والكيل، وبالغش بما يخفى، وغير ذلك من التلبيسات المموهة والتلبيسات المحرمة. وجميع ذلك من خبائث القوة الشهوية وذرائلها، ومن الرذائل المهلكة وخبائثها. وقد وردت في ذم الخيانة وبأقسامها أخبار كثيرة، وجميع ما يدل على ذم الذهب بحقوق الناس وأخذ أموالهم بدون رضاهم يدل على ذمها.

و ضد الخيانة (الأمانة)، وقد وردت في مدحها وعظم فوائدها أخبار كثيرة، كقول الصادق (ع): إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر" وقوله (ع): " لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو

ترکه استوحش، ولكن اختبروهم بصدق الحديث وأداء الأمانة "٨ [8] وقوله (ع): " انظر ما

---

بلغ به علي (ع) عند رسول الله (ص): فالزمه، فان علياً (ع) إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله

(ص) بصدق الحديث وأداء الأمانة " [9] وقوله (ع): " ثلاث لا عذر فيها لأحد: أداء

---

الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد إلى البر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو



فاجرین " [10] . وقوله (ع): " کان أبی یقول أربع من کن فیہ کمل إیمانہ، وإن کان من

---

قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك، وهي: الصدق، وأداء الأمانة، والحياء، وحسن الخلق

"[11]١١. وقوله (ع): " أهل الأرض مرحومون ما يخافون وأدوا الأمانة وعملوا بالحق "

وقيل له (ع): " إن امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن، ومع ذلك ما رأينا مثل ما صب عليها من الرزق. فقال: إنها صدقت الحديث وأدت الأمانة، وذلك يجلب

الرزق "١٢ [12] والأخبار في فضيلة الأمانة كثيرة. و لقد قال لقمان: " ما بلغت إلى ما

بلغت إليه من الحكمة، إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة". فمن تأمل في ذم الخيانة ويجابها  
الفضيحة والعار في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة، وفي فضيلة الأمانة وأدائها إلى خير  
الدنيا وسعادة الآخرة، سهل عليه ترك الخيانة والاتصاف بالأمانة.

### أنواع الفجور

من الزنا، واللواط، وشرب الخمر، والاشتغال بالملاهي، واستعمال آلاتها، من العود،  
والمزمار، والرباب، والدف، وامثالها. فان كل ذلك من رذائل القوة الشهوية. وكذا لبس  
الذهب والحريير للرجال. وقد وردت في ذم كل واحد منهما بخصوصه أخبار كثيرة، ولا  
حاجة إلى ذكرها، لشيوعها واشتهارها.

ومنها:

### الخوض في الباطل

وهو التكلم في المعاصي والفجور وحكايتها، كحكايات أحوال النساء ومجالس الخمر،  
ومقامات الفساق، وتنعم الأغنياء، وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة،  
وأمثال ذلك. فكل ذلك من رداءة القوة الشهوية وخبائثها.

ثم لما كانت أنواع الباطل غير محصورة لكثرتها، فالخوض فيه أيضاً كذلك، وتكون له  
أنواع غير متناهية، ولا يفتح باب كلام إلا وينتهي إلى واحد منها، فلا خلاص منه إلا  
باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهمات الدين والدنيا. وربما وقعت من الرجل من أنواع  
الخوض في الباطل كلمة تهلكه هو مستحق لها، فان أكثر الخوض في الباطل حرام، ولذا  
قال رسول الله (ص): " أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل ". وإليه  
الإشارة بقوله تعالى:

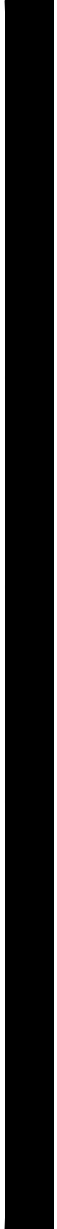
" وكنا نخوض مع الخائضين " ١٣ [13]. **وقوله تعالى:** " فلا تعقدوا معهم حتى

يخوضوا في حديث غيره " ١٤ [14].





وقال (ص): " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ



ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة" ١٥ [15] وقال سلمان الفارسي



(رض): " أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة، أكثرهم كلاماً في معصية الله ". وكان رجل من الأنصار يمر على مجلس الخائضين في الباطل، فيقول لهم: " توضحوا، فإن بعض ما تقولون شر من الحدث "

ثم الخوض في الباطل هو ذكر محظورات سبق وجودها بمجرد شهوة النفس، من دون حاجة داعية إليه، فلا مدخلية له بمثل الغيبة والنميمة والفحش والمرء والجدال وامثالها، ويدخل فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة، فان الحديث عنها خوض في الباطل، وورد النهى عنه.

ومنها:

### التكلم بما لا يعنى أو بالفضول

والمراد بالأول: التكلم بما لا فائدة فيه أصلاً، لا في الدين ولا في الدنيا، والثاني - أعني فضول الكلام -: أعم منه، إذ يتناول الخوض في مالا يعنى والزيادة في ما يعنى على قدر الحاجة. فان من يعنيه أمر ويتمكن من تقريره وتأديته وتأدية مقصوده بكلمة واحدة، ومع ذلك ذكر كلمتين فالثانية فضول، أي فضل على الحاجة. ولا ريب في أن التكلم بما لا يعنى وبالفضول مذموم، وإن لم يكن فيه إثم، وهو ناش عن رداءة القوة الشهوية، إذ الباعث عليه ليس إلا مجرد تشهى النفس وهواها.

والسر في ذمه: أنه يوجب تضييع الوقت، والمنع من الذكر والفكر وربما يبني لأجل تهليله أو تسبيحه قصر في الجنة، وربما ينفخ من نفحات رحمة الله عند الفكرة ما يعظم جدواه، فمن قدر على أن يأخذ كنزاً من الكنوز، فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها، كان خاسراً. فمن ترك ذكر الله والفكر في عجائب قدرته، واشتغل بمباح لا يعنيه، وان لم يَأْتُمْ، إلا أنه قد خسر، حيث فاتته الربح العظيم بذكر الله وفكره. فان رأس مال العبد أوقاته، ومهما صرفها إلى مالا

يعنيه، ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة، فقد ضيع رأس ماله. على أن الغالب تأدية الخوض في

مالا يعني وفي الفضول إلى الخوض في الباطل، وربما أدى إلى الكذب بالزيادة والنقصان.

ولذا ورد في ذمه ما ورد، وقد روى: " أنه استشهد يوم أحد غلام من أصحاب النبي (ص)،

ووجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئاً لك

الجنة يا بني! فقال النبي (ص): وما يدريك! لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع مالا يضره؟



" . ورد أياً: " أن رسول الله (ص) قال لبعض أصحابه - وهو مريض - : ابشر . فقالت

امه: هنيئاً لك الجنة! فقال رسول الله (ص): وما يدريك؟ لعله قال مالا يعنيه أو منع ما يعنيه؟

" : يعني إنما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه، وإن كان

كلامه مباحاً، فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب، فانه نوع من العذاب. وروى: " أنه

تکلم رجل عند النبي (ص) فاکثر، فقال له النبي کم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتای

وأسناني. فقال: أفما كان في ذلك ما يرد كلامك؟ " وفي رواية أخرى: " أنه قال ذلك في

رجل اثنى عليه، فاستهتر في الكلام، ثم قال: ما أوتي رجل شراً من فضل في لسانه".

وروى: " أنه قدم رهط من بني عامر على رسول الله (ص)، فشرعوا بالمدح والثناء عليه.



فقال (ص): قولوا قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان " [16]. ومراده (ص): أن اللسان إذا

اطلق الثناء، ولو بالصدق، فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها. وقال بعض الصحابة " إن الرجل ليكلمني بالكلام وجوابه أشهى إلي من الماء البارد على الظمآن فاتركه خيفة أن يكون فضولاً ". وقال بعض الأكابر: " من كثر كلامه كثرت كذبه ". وقال بعضهم: " يهلك الناس في خصلتين: فضول المال وفضول الكلام " .

## فصل

### حد التكلم بما لا يعنى

التكلم بما لا يعنى وبالفضول لا تنحصر أنواعه وأقسامه، لعدم تناهياها، وإنما حده أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم، ولم تتضرر في شيء مما يتعلق بك، ولم يعطل شيء من أمورك. مثاله: أن تحكى مع قوم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار، وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم. فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر، ولا يتصور فيها فائدة دينية ولا دنيوية لأحد، فإذا بالغت في الاجتهاد حتى لا تمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتيال شخص ولا مذمة شيء مما خلقه الله، فانك مع ذلك كله مضيع وقتك.

ثم كما أن التكلم بما لا يعنى مذموم، كذلك سؤالك غيرك عما لا يعنى مذموم، بل هو أشد ذمًا، لأنك بالسؤال مضيع وقتك، وقد جاءت أيضاً صاحبك بالجواب إلى تضييع وقته. وهذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه أفة، ولو كان في جوابه أفة - كما هو الشأن في أكثر الأسئلة عما لا يعنى - كنت آثمًا عاصيًا. مثلاً: لو سألت غيرك عن عبادته، فنقول: هل أنت صائم؟ فإن قال: نعم، كان مظهرًا عبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل الرياء سقطت عبادته - على الأقل - ومن ديوان عبادة السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذبًا، وإن سكت، كان مستحقرًا إياك وتأذيت به، وإن احتال

لمدافعة الجواب افتقر إلى تعب وجهد فيه. فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب، أو للاستحار، أو التعب في حيلة الدفع.

وكذلك سؤالك عن كل ما يخفى ويستحي من إظهاره، أو عما يحتمل أن يكون في إظهاره مانع، كان يحدث به أحد غيرك، فتسأله وتقول: ماذا تقول؟ وفيم أنتم؟ وكأن ترى إنساناً في الطريق فتقول: من أين؟ إذ ربما يمنع مانع من إظهار مقصوده. ومن هذا القبيل سؤالك غيرك: لم أنت ضعيف؟ أو ما هذا الضعف أو الهزال الذي حدث بك؟ أو أى مرض فيك؟ وامثال ذلك. وأشد من ذلك ان تخوف مريضاً بشدة مرضه وتقول: ما أشد مرضك وما أسوأ حالك! فان جميع ذلك وامثالها، مع كونها من فضول الكلام والخوض في مالا يعني، يتضمن إثماً وإيذاء. وليس مجرد التكلم بما لا يعني والفضول، وانما مجرد مالا يعني مالا يتصور فيه إيذاء وكسر خاطر واستحياء من الجواب، كما روى: " أن لقمان دخل على داود (ع) وهو يسرد الدرع، ولم يكن يراها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى. فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة، فأمسك نفسه ولم يسأله. فما فرغ داود، قام ولبسها، وقال: نعم الدرع للحرب فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله ". وهذا وامثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وإيقاع في رياء أو كذب، فهو مما لا يعني، وتركه من حسن الإسلام.

## فصل

### علاج الخوض فيما لا يعني

سبب الخوض في مالا يعني وفي فضول الكلام: إما الحرص على معرفة مالا حاجة إليه، أو المباشطة بالكلام على سبيل التودد، أو تزجية الوقت بحكايات أحوال لا فائدة فيها، وكل ذلك من رداءة قوة الشهوة. وعلاج ذلك من حيث العلم: أن يتذكر ذمه كما مر، ومدح ضده، أعني الصمت، وتركه - كما يأتي - ويعلم أن الموت بين يديه، وانه مسؤول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين، فأهماله وتضييعه خسران، ومن حيث العمل أن يعتزل عن الناس مهما امكن، ويلزم نفسه السكوت عن بعض

ما يعنيه ليتعود لسانه ترك ما لا يعنيه، وأن يقدم التأمل والتروى على كل كلام يريد أن يتكلم به فان كان فيه فائدة دينية أو دنيوية تكلم به وإلا تركه. وكان بعضهم يضع في فمه حجراً، خوفاً من التكلم بالفضول وما لا يعنيه.

## فصل

### الصمت

ضد التكلم بما لا يعنيه وبالفضول تركها، إما بالصمت أو بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه أو دنياه. وفوائد الصمت ومدحه يأتي في موضعه. وقد وردت أخبار في المدح على خصوص ترك ما لا يعني وفضول الكلام كقول النبي (ص): " من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه " وقوله (ص): " طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، وانفق الفضل من ماله! ". وانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك، فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان. وروى: " أنه (ص) قال ذات يوم: إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة. فلما دخل هذا الرجل، قالوا له: اخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به. فقال: اني رجل ضعيف العمل، وأوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني " وقال (ص) لأبي ذر " ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان. قال: بلى يا رسول الله قال: هو الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعينك ". وقال ابن عباس: " خمس هن أحسن من الدارهم المونقة: لا تتكلم فيما لا يعينك، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر. ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعاً، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت. ولا تمار حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يغلبك بصمته، وإن السفيه يؤذيك بمنطقه. واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعفه مما تحب أن يعفك منه. واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى

بالاحسان مأخوذ بالاحترام "١٧ [17] وقيل للقمان: ما حكمتك؟ قال: " لا أسأل عما كفيت،

ولا أتكلف مالا يعنيني " وما ورد في فضيلة ترك الفضول وما لا يعني في أخبار الحجج  
(ع) وكلمات الأكابر من الحكماء والعرفاء كثر من ان تحصي، وما ذكرناه كاف لأهل  
الاستبصار.

---

---

المقام الرابع  
الحسد  
ذم الحسد  
المنافسة والغبطة  
بواعث الحسد  
لا تحاسد بين علماء الآخرة والعارفين

### المقام الرابع

(فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقلة وقوى الغضب والشهوة، أو باثنتين منها من الرذائل والفضائل).

الحسد وذمه - الغبطة - بواعث الحسد - لا تحاسد بين علماء الآخرة والعارفين - علاج الحسد - القدر الواجب في نفي الحسد - النصيحة - الإيذاء والإهانة - كف الأذى - ذم الظلم - العدل - إخافة المؤمن - إدخال السرور على المؤمن - ترك إعانة المسلمين - قضاء حوائج المسلمين - المداهنة في الأمر بالمعروف - السعى فيه - وجوبه وشروطه - لا تشتترط العدالة فيه - مراتبه - ما ينبغي في الأمر والنهي - أنواع المنكرات - الهجران - التآلف - قطع الرحم - صلة الرحم - المراد منه - عقوق الوالدين - برهما - حق الجوار - حدود الجوار وحقه - طلب العثرات - ستر العيوب - إفشاء السر - كتمان السر - النميمة - السعاية - الإفساد بين الناس - الإصلاح - الشماتة - المرء علاجه - طيب الكلام - السخرية - المزاح - المذموم منه - الغيبة - لا تنحصر الغيبة باللسان - بواعثها - ذمها - مسوغاتها - كفارتها - البهتان - المدح - الكذب - ذمه - مسوغاته - التورية - المبالغة - شهادة الزور - علاج الكذب - الصدق ومدحه - أنواعه - اللسان اضر الجوارح - الصمت - حب الجاه - ذمه - الجاه أحب من المال - لا بد للإنسان من جاه - دفع إشكال - الكمال الحقيقي في العلم والقدرة والجاه والمال - علاج حب الجاه - الخمول - مراتب حب المدح - أسبابه - علاجه - ضد حب المدح - الرياء - ذمه - أقسامه - تأثير الرياء على العبادة السرور بالاطلاع على العبادة - متعلقات الرياء - بواعثه - الرياء الجلي والخفي - كيف يفسد الرياء العمل - شوائب الرياء المبطله للعمل - علاجه - الوسوسة بالرياء - الإخلاص - مدحه - آفاته - النفاق.

فمنها:

## الحسد

وهو تمنى زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح، فإن لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو (غبطة) ومنافسة، فإن لم يكن له فيها صلاح وأردت زوالها عنه فهو (غيرة). ثم إن كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمة إلى نفسك، فهو من رداءة القوة الشهوية، وإن كان باعثه محض وصول المكروه إلى المحسود فهو من رذائل القوة الغضبية، ويكون من نتائج الحقد الذي هو من نتائج الغضب، وإن كان باعثه مركباً منهما، فهو من رداءة القوتين. وضده (النصيحة)، وهي إرادة بقاء نعمة الله على أخيك المسلم مما له فيه صلاح.

ولا ريب في أنه لا يمكن الحكم على القطع بكون هذه النعمة صلاحاً أو فساداً. فربما كانت وبالاً على صاحبه وفساداً له، مع كونها نعمة وصلاحاً في بادي النظر. فالمناط في ذلك غلبة الظن، فما ظن كونه صلاحاً فأرادة زواله حسد وإرادة بقاءه نصيحة، وما ظن كونه فاسداً فأرادة زواله غيرة. ثم إن اشتبه عليك الصلاح والفساد، فلا ترد زوال نعمة أخيك ولا بقاءها إلا مقيداً بالتفويض وشرط الصلاح، لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك حكم النصيحة. والمعيار في كونك ناصحاً: أن تريد لأخيك ما تريد لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، وفي كونك حاسداً: أن تريد له ما تكره لنفسك، وتكره له ما تريد لنفسك.

## فصل

### ذم الحسد

الحسد أشد الأمراض وأصعبها، وأسوأ الرذائل وأخبثها، ويؤدي بصاحبه إلى عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة، لأنه في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والألم، إذ هو يتألم بكل نعمة يرى



لغيره، ونعم الله تعال غير متناهية لا تنقطع عن عباده، فيدوم حزنه وتألمه. فوبال حسده يرجع إلى نفسه، ولا يضر المحسود اصلاً، بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث إنه يعيبه، ويقول فيه مالا يجوز في الشريعة، فيكون ظالماً عليه، فيحمل بعضاً من أوزاره وعصيانه، وتنقل صالحات أعماله إلى ديوانه، فحسده لا يؤثر فيه إلا خيراً ونفعاً، ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد مع رب الأرباب وخالق العباد، إذ هو الذي أفاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء وأراد بمقتضى حكمته ومصالحته، فحكمته الحقة الكاملة أو جبت بقاء هذه النعمة على هذا العبد، والحاسد المسكين يريد زوالها، وهل هو إلا سخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وتمنى انقطاع فيوضات الله التي صدرت عنه بحسب حكمته واردة خلاف ما أراد الله على مقتضى مصالحته؟! بل هو يريد نقصه سبحانه، وعدم اتصافه بصفاته الكمالية. إذ إفاضة النعم منه سبحانه في أوقاتها اللائقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية التي عدمها نقص عليه تعالى، وإلا لم يصدر عنه، هو يريد ثبوت هذا النقص، ثم لتمنيه زوال النعم الإلهية التي هي الموجودات ورجوع الشرور إلى الإعدام يكون طالباً للشر ومحباً له، وقد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر، ولو بوصوله إلى العدو، فهو شرير فالحسد أشد الرذائل، والحاسد شر الناس. وأي معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير أن يكون له فيها مضرة؟ ولذا ورد به الذم الشديد في الآيات والأخبار، قال الله سبحانه في معرض الإنكار:

" أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله " [1]١. وقال: " ود كثير من أهل

الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم " [2]٢. وقال: " إن

تمسكم حسنة تسوءهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها " [3]٣.

١ [1]النساء، الآية: ٥٤.

٢ [2]البقرة، الآية: ١٠٩.

وقال رسول الله (ص): " الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ". وقال (ص): " قال الله عز وجل لموسى بن عمران: يا بن عمران، لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فان الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي. ومن يك كذلك فلست منه وليس مني ". وقال (ص): " لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا ". وقال (ص): " دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضة هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين. والذي نفس محمد بيده! لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم! " وقال (ص): " كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر ". وقال (ص): " سيصيب أمتي داء الأمم. قالوا: وما داء الأمم؟ قال: الأشر، والبطر، والتكائر، والتنافس في الدنيا، والتباعد والتحاسد، حتى يكون البغي ثم الهرج ". وقال (ص): " أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون ". وقال (ص): " إن لنعم الله أعداء. فقيل: ومن هم؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ". وورد في بعض الأحاديث القدسية: " أن الحاسد عدو لنعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي ". وقال الإمام أبو جعفر الباقر (ع): " إن الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر<sup>٤</sup> [4]، وان الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ". وقال أبو عبد الله (ع): " آفة الدين: الحسد والعجب والفخر ". وقال (ع): " إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط "<sup>٥</sup> [5]. وقال: " الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر

٣ [3] آل عمران، الآية: ١٢٠.

٤ [4] في بعض نسخ (الكافي): " ليتأذى " وفي نسخ (جامع السعادات): " ليأتي بأي " ورجحنا نسخة (الوسائل) و (البحار) كما في المتن.

٥ [5] صححنا أحاديث هذا الفصل على (البحار): ٣مج ١٥/١٣١-١٣٢ باب الحسد. وعلى (الكافي): باب الحسد. وعلى (سفينة البحار): ١/٢٥٠-٢٥١ وعلى (إحياء العلوم): ١٦٤/٢٦٢/٢ وعلى (الوسائل): أبواب جهاد النفس الباب ٥٤.

بالمحسود، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء. فكن محسوداً ولا تكن حاسداً فإن ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسد الحاسد، وماذا يضر المحسود الحسد. والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد لأنه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه، يبدو بلا معارض به ولا سبب، والطبع لا يتغير عن الأصل، وإن عولج "6]6]. وقال بعض الحكماء: " الحسد جرح لا يبرأ " وقال بعض العقلاء: " ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه ". وقال بعض الأكابر: " الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغمماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا ". والأخبار والآثار في ذم الحسد أكثر من أن تحصى، وما ذكرناه يكفي لطالب الحق ثم ينبغي أن يعلم أنه إذا أصاب النعمة كافر أو فاجر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإيذاء الخلق وافساد ذات البين، فلا مانع من كراهتها عليه وحب زوالها منه، من حيث أنها آلة للفساد، لا من حيث أنها نعمة.

## فصل

### المنافسة والغبطة

قد علمت أن المنافسة هي تمنى مثل ما للمغبوط، من غير أن يريد زواله عنه، وليست مذمومة، بل هي في الواجب واجبة، وفي المندوب مندوبة وفي المباح مباحة. قال الله سبحانه:

" وفي ذلك فليتنافس المتنافسون " [7]٧.

وعليها يحمل قول النبي (ص): " لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على ملكه في الحق. ورجل آتاه الله علماً، فهو يعمل به ويعلمه الناس ": أي لا غبطة إلا في ذلك، سميت الغبطة حسداً كما يسمى الحسد منافسة اتساعاً لمقارنتهما. وسبب الغبطة حب النعمة التي للمغبوط، فإن كانت أمراً دينياً فسببها حب الله وحب طاعته، وإن كانت دنيوية فسببها حب مباحات الدنيا والتنعم فيها. والأول لا كراهة فيه بوجه، بل هو مندوب إليه. والثاني وإن لم يكن حراماً، إلا أنه ينقص درجته في الدين، ويحجب عن المقامات الرفيعة، لمنافاته الزهد والتوكل والرضا.

ثم الغبطة لو كانت مقصورة على مجرد حب الوصول إلى ما للمغبوط لكونه من مقاصد الدين والدنيا، من دون حب مساواته له وكراهة نقصانه عنه، فلا حرج فيه بوجه، وإن كان معه حب المساواة وكراهة التخلف والنقصان، فهنا موضع خطر. إذ زوال النقصان أما بوصوله إلى نعمة المغبوط أو بزوالها عنه، فإذا انسدت إحدى الطريقتين تكاد النفس لا تنفك عن شهوة الطريقة الأخرى. إذ يبعد أن يكون إنسان مريداً لمساواة غيره في النعمة فيعجز عنها، ثم لا ينفك عن ميل إلى زوالها، بل الأغلب ميله إليه، حتى إذا زالت النعمة عنه كان ذلك عنده اشهى من بقائها عليه، إذ بزوالها يزول نقصانه وتخلفه عنه. فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه، كان حاسداً حسداً مذموماً وإن منعه مانع العقل من ذلك السعى، ولكنه وجد من طبعه الفرح والارتياح بزوال النعمة عن المغبوط، من غير كراهة لذلك ومجاهدة لدفعه فهو أيضاً من مذموم الحسد، وإن لم يكن في المرتبة الأولى. وإن كره ما يجد في طبعه من السرور والانبساط بزوال النعمة بقوة عقله ودينه، وكان في مقام المجاهدة لدفع ذلك عن نفسه، فمقتضى الرحمة الواسعة أن يعفى عنه، لأن دفع ذلك ليس في وسعه وقدرته إلا بمشاق الرياضات. إذ ما من إنسان إلا ويرى من هو

فوقه من معارفه واقاربه في بعض النعم الإلهية، فإذا لم يصل إلى مقام التسليم والرضا، كان طالباً لمساواته له فيه وكارهاً عن ظهور نقصانه عنه. فإذا لم يقدر أن يصل إليه، مال طبعه بلا اختيار إلى زوال النعمة عنه، واهتز وارتاح به حتى ينزل هو إلى مساواته. وهذا وإن كان نقصاً تنحط به النفس عن درجات المقربين، سواء كان من مقاصد الدنيا أو الدين، إلا أنه لكرهته له بقوة عقله وتقواه، وعدم العمل بمقتضاه، يعفى عنه إن شاء الله، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له.

وقد ظهر من تضاعيف ما ذكر: أن الحسد المذموم له مراتب أربع:

الأولى - أن يحب زوال النعمة عن المحسود وإن لم تنتقل إليه، وهذا اخبث المراتب وأشدّها ذماً.

الثانية - أن يحب زوالها لرغبته في عينها، كرغبته في دار حسنة معينة، أو امرأة جميلة بعينها، ويحب زوالها من حيث توقف وصوله إليها عليه، لا من حيث تنعم غيره بها. ويدل على تحريم هذه المرتبة وذمها قوله تعالى:

" ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض " [8] ٨.

الثالثة - ألا يشتهي عينها، بل يشتهي لنفسه مثلها، إلا أنه إن عجز عن مثلها احب زوالها عنه، كيلا يظهر التفاوت بينهما، ومع ذلك لو خلى وطبعه، اجتهد وسعى في زوالها.

الرابعة - كالثالثة، إلا أنه إن اقتدر على إزالتها منعه قاهر العقل أو غيره من السعى فيه، ولكنه يهتز ويرتاح به من غير كراهة من نفسه لذلك الارتياح.

والغبطة لها مرتبتان:

الأولى - أن يشتهي الوصول إلى مثل ما للمغبوط، من غير ميل إلى المساواة وكراهة للنقصان، فلا يحب زوالها عنه.

الثانية - أن يشتهي الوصول إليه مع ميله إلى المساواة وكراهته للنقصان، بحيث لو عجز عن نيّله، وجد من طبعه حباً خفياً لزوالها عنه وارتاح من ذلك ادراكاً للمساواة ودفعاً للنقصان، إلا أنه كان كارهاً من هذا الحب، ومغضباً على نفسه لذلك الارتياح، وربما سميت هذه المرتبة بـ(الحسد المعفو عنه) وكأنه المقصود من قوله (ص): " ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد، والظن، والطيرة... ثم قال: وله منهن مخرج، إذا حسدت فلا تبغ - أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به، وكن كارهاً له - وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض " .

## فصل

### بواعث الحسد

بواعث الحسد سبعة:

الأول - خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله. فانك تجد في زوايا العالم من يسر ويرتاح بابتلاء العباد بالبلايا والمحن، ويحزن من حسن حالهم وسعة عيشهم. فمثله إذا وصف له اضطراب أمور الناس وادبارهم، وفوات مقاصدهم وتنقص، عيشهم يجد من طبعه الخبيث فرحاً وانبساطاً وإن لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة، ولم يوجب ذلك تفاوتاً في حاله من وصوله إلى جاه أو مال أو غير ذلك. وإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله وانتظام أموره، شق ذلك عليه، وإن لم يوجب ذلك نقصاً في شيء مما له. فهو يبخل بنعمة الله على عباده من دون قصد وغرض، ولا تصور انتقال النعمة إليه، فيكون ناشئاً عن خبث نفسه ورذالة طبعه. ولذا يعسر علاجه، لكونه مقتضى خباثة الجبلة، وما يقتضيه الطبع والجبلة تعسر إزالته، بخلاف ما يحدث من الأسباب العارضة.

الثاني - العداوة والبغضاء. وهي أشد أسبابه، إذ كل أحد - إلا أو حدي من المجاهدين - إذا أصابت عدوه بلية فرح بذلك، إما لظنّها مكافأة من الله لأجله، أو لحبه طبعاً وضعفه وهلاكه.

ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك، لأنه ضد مراده، وربما تصور لأجله أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم من عدوه وأنعم عليه، فيحزن لذلك.

الثالث - حب الرئاسة وطلب المال والجاه. فان من غلب عليه حب التفرد والثناء، واستقره الفرح بما يمدح به من أنه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه، من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو غير ذلك، لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك، وارتاح بموته أو زوال النعمة التي يشاركه فيها، ليكون فائقاً على الكل في فنه، ومتفرداً بالمدح والثناء في صفته.

الرابع - الخوف من فوت المقاصد. وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فان كل واحد، منهما يحسد صاحبه في وصوله هذا المقصود طلباً للتفرد به، كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية. والأخوة في نيل المنزلة في قلب الأبوين توصلنا إلى مالهما، والتلامذة لأستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه، وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة والكرامة عنده، والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على أهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم، إذا كان غرضهم ذلك.

الخامس - التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض أقرانه ويعلم أنه لو أصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره، وهو لا يطيق ذلك لعزة نفسه، فيحسده لو أصاب تلك النعمة تعززاً لنفسه. فليس غرضه أن يتكبر، لأنه قد رضى بمساواته، بل غرضه أن يدفع كبره.

السادس - التكبر: وهو أن يكون في طبعه الترفع على بعض الناس ويتوقع منه الانقياد والمتابعة في مقاصده، فإذا نال بعض النعم خاف إلا يحتمل تكبره ويترفع عن خدمته، وربما أراد مساواته أو التفوق عليه، فيعود مخدوماً بعد ان كان خادماً، فيحسده في وصول النعمة لأجل ذلك وقد كان حسد أكثر الكفار لرسول الله (ص) من هذا القبيل، حيث قالوا: كيف يتقدم علينا غلام فقير يتيم؟

" لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " ٩ [9].

السابع - التعجب: وهو أن يكون المحسود في نظر الحاسد حقيراً والنعمة عظيمة، فيعجب من فوز مثله بمثلها، فيحسده ويحب زوالها عنه ومن هذا القبيل حسد الأمم لأنبيائهم، حيث قالوا:

" ما أنتم إلا بشر مثلنا " ١٠ [10]. " فقالوا: أنؤمن لبشرين مثلنا؟ " ١١ [11]. " ولئن

أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون " ١٢ [12].

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة، وحسدوه بمجرد ذلك، من دون قصد تكبر أو رئاسة أو عداوة أو غيرها من أسباب الحسد.

وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد، فيعظم لذلك حسده، وتقوى قوة لا يقدر معها على المجاملة، فتظهر العداوة بالمكاشفة. وربما قوي الحسد بحيث يتمنى صاحبه أن يزول عن كل أحد ما يراه له من النعمة، وينتقل إليه. ومثله لا ينفك عن الجهل والحرص، إذ هو يتمنى استجماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له، ولا ريب في استحالة ذلك، ولو قدر امكانه لا يمكنه الاستمتاع بها، فلو لم يكن حريصاً لم يتمن ذلك أصلاً، ولو كان عالماً لدفع هذا التمني بقوته العاقلة.

(تنبيه) بعض الأسباب المذكورة، كما يقتضي أن يتمنى زوال النعمة والسرور به كذلك يقتضي تمنى حدوث البلية والارتياح منه. إلا أن المعدود من الحسد هو الأول، والثاني

٩ [9] الزخرف، الآية: ٣١.

١٠ [10] يس، الآية: ١٥.

١١ [11] المؤمنون، الآية: ٤٧.

١٢ [12] المؤمنون، الآية: ٣٤.



معدود من العداوة. فالعداوة اعم منه، إذ هي تمنى وقوع مطلق الضرر بالعدو. سواء كان زوال نعمة أو حدوث بلية. والحسد تمنى زوال مجرد النعمة.

## فصل

### لا تحاسد بين علماء الآخرة والعارفين

الأسباب المذكورة إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض، فإذا خالف بعضهم بعضاً في غرض من اغراضه، أبغضه وثبت فيه الحقد، فعند ذلك يريد استحقاره والتكبر عليه، ويكون في صدد مكافاته على المخالفة لغرضه، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه، فيتحقق الحسد. ولذا ترى أنه لا تحاسد بين شخصين في بلدين متباعدين، لعدم رابطة بينهما، إلا إذا تجاوزا في محل واحد، وتواردا على مقاصد تظهر فيها مخالفة بينهما فيحدث منهما التباغض - وتثور منه بقية أسباب الحسد. وترى كل صنف يحسد مثله دون غيره، لتواردهما على المقاصد، وتزاحمهما على صنعة واحدة فالعالم يحسد العالم دون العابد، والتاجر يحسد التاجر دون غيره، إلا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفة، وهكذا يغم من اشتد حرصه على حب الجاه وأحب الصيت والاشتهار في جميع أطراف العالم وشاق التفرد بما هو فيه، فانه يحسد كل من في العالم ممن يشاركه في الفن الذي يتفاخر به.

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا، إذ منافعها لضيقها وانحصارها تصير محل التزاحم والتعارك، بحيث لا يمكن وصول منفعة منها، كمنصب أو مال إلى أحد إلا بزوالها عن الآخر. وأما الآخرة، فلا ضيق فيها، فلا تنازع بين أهلها. ومثالها في الدنيا العلم، فانه منزه عن المزاحمة، فمن يحب العلم بالله وصفاته وافعاله ومعرفة النظام الجملي من البدو إلى النهاية لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً. إذ العلم لا يضيق عن كثرة العالمين، والمعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم، ويفرح كل واحد منهم بمعرفته ويلتذ به، ولا ينقص ما لديه بمعرفة غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمره الافادة والاستفادة. إذ معرفة الله

بحر واسع لا ضيق فيه، وكل علم يزيد بالإففاق وتشريك غيره من أبناء النوع، يصير منشأً لزيادة اللذة والبهجة، وقس على العلم التقرب والمنزلة عند الله وغيرهما من النعم الأخروية. فان أجل ما عند الله من النعم وأعلى مراتب المنزلة والقرب عنده تعالى لذة لقائه، وليس فيها ممانعة ومزاحمة، ولا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض، بل يزيد الأُنس بكثرتهم.

وقد ظهر مما ذكر: انه لا تحاسد بين علماء الآخرة، لأنهم يلتذون ويبتهجون بكثرة المشاركين في معرفة الله وحبه وأنسه، وإنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا، وهم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه. إذ المال أعيان وأجسام، إذا وقعت في يد واحد خلت عنها أيدي الآخرين. والجاه ملك القلوب، وإذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم، انصرف عن تعظيم الآخر، أو نقص عنه لا محالة، فيكون ذلك سبباً للتحاسد. وأما إذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفة الله، لم يمنع ذلك من أن يمتلئ غيره به. فلو ملك إنسان جميع ما في الأرض، لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه وانحصاره. وأما العلم فلا نهاية له، ومع ذلك لو ملك إنسان بعض العلوم لم يمنع ذلك من تملك غيره له.

فظهر أن الحسد إنما هو في التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل، فلا حسد بين العارفين ولا بين أهل العليين، لعدم ضيق ومزاحمة في المعرفة ونعيم الجنة، ولذا قال الله سبحانه فيهم:

" ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سررٍ متقابلين " [13] ١٣.

بل الحسد من صفات المسجونين في سجن السجين.

فيا حبيبي، إن كنت مشفقاً على نفسك، طالباً لعمارة رمسك، فاطلب نعمة لا مزاحمة فيها، ولذة لا مكر لها. وما هي إلا لذة معرفة الله وحبه وأنسه، والانقطاع إلى جناب قدسه، وإن كنت لا تلتذ بذلك. ولا تشتاق إليه، وتتنصر لذاتك بالأمر الحسية والوهمية، فاعلم أن جوهر ذاتك معيوب، وعن عالم الأنوار محجوب، وعن قريب تحشر مع البهائم والشياطين، وتكون

مغلولاً معهم في أسفل السافلين. ومثلك في عدم درك هذه اللذة، مثل الصبي والعين في عدم درك لذة الوقاع. فكما أن هذه اللذة يختص بإدراكها رجال أصحاء، فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها:

" رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " ١٤ [14]. ولا يشتاق غيرهم إليها، إذ الشوق بعد الذوق، فمن لم يذوق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك كان مطروداً عن العليين، ممنوعاً عن مجاورة المقربين، محبوساً مع المحرومين في أضيق دركات السجين.

" ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين " ١٥ [15].

---

١٤ [14]النور، الآية: ٣٧.

١٥ [15]الزخرف، الآية: ٣٦.

علاج الحسد  
القدر الواجب في نفي الحسد  
النصيحة  
الايذاء والاهانة والاحتقار  
كف الأذى عن المسلمين

## فصل

### علاج الحسد

لما علم أن الحسد من الأمراض المهلكة للنفوس، فاعلم أن أمراض النفوس لا تداوى إلا بالعلم والعمل. والعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرك في الدين والدنيا، ولا يضر محسودك فيهما، بل ينتفع به فيهما. ومهما عرفت ذلك عن بصيرة وتحقيق، ولم تكن عدو نفسك لا صديق عدوك، فاقت الحسد.

وأما أنه يضر بدينك ويؤدى بك إلى عذاب الأبد وعقاب السرمد فلما علمت من الآيات والأخبار الواردة في ذمة وعقوبة صاحبه، ولما عرفت من كون الحاسد ساخطاً لقضاء الله تعالى، وكارهاً لنعمه التي قسمها لعباده، ومنكراً لعدله الذي أجراه في ملكه. ومثل هذا السخط والإنكار لا يجابه الضدية والعناد لخالق العباد، كاد أن يزيل أصل التوحيد والإيمان فضلاً عن الاضرار بهما. على أن الحسد يوجب الغش والعداوة بالمؤمن، وترك نصيحته ومولاته وتعظيمه ومراعاته ومفارقة أنبياء الله وأوليائه في حبهم الخير والنعمة له، ومشاركة الشيطان وأحزابه في فرحهم بوقوع المصائب والبلايا عليه، وزوال النعم عنه. وهذه خبائث في النفس، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

وأما أنه يضرك في الدنيا، لأنك تتألم وتتعب به، ولا تزال في تعب وغم وكد وهم، إذ نعم الله لا تنقطع عن عباده ولا عن أعدائك، فأنت تتعذب بكل نعمة تراها لهم، وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم، فتبقى دائماً مغموماً محزوناً، ضيق النفس منشعب القلب، فأنت باختيارك تجر إلى نفسك ما تريد

لأعدائك وبريد أعدائك لك. وما اعجب من العاقل أن يتعرض لسخط الله ومقته في الأجل، ودوام الضرر والألم في العاجل فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى وفائدة.

وأما أنه لا يضر المحسود في دينه ودنياه فظاهر، لان النعمة لا تزول عنه بحسدك. إذ ما قدره الله من النعم على عباده لا بد أن يستمر إلى وقته ولا ينفع التدبير والحيلة في دفعه، لا مانع لما أعطاه ولا راد لما قضاه:

" لكل أجل كتاب ". " وكل شيء عنده بمقدار " [1].

ولو كانت النعم تزول بالحسد، لم تبق عليك وعلى كافة الخلق نعمة، لعدم خلوك وخلوهم عن الحسد، بل لم تبق نعمة الإيمان على المؤمنين، إذ الكفار يحسدونهم، كما قال الله سبحانه:

" ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون " [2].

ولو تصورت زوال النعمة عن محسودك بحسدك، وعدم زوالها عنك بحسد حاسدك، لكنت اجهل الناس وأشدهم غباوة. نعم، ربما صار حسدك منشأ لانتشار فضل المحسود، كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت، أتاح لها لسان حسود

فإذا لم تزل نعمته بحسدك، لم يضره في الدنيا، ولا يكون عليه إثم في الآخرة.

وأما أنه ينفعه في الدين، فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوماً من جهتك، (لا) سيما إذا أخرجك الحسد إلى مالا ينبغي من القول والفعل كالغيبية، والبهتان، وهتك ستره، وإفشاء سره، والقذح فيه، وذكر مساويه. فتحتمل بهذه الهدايا التي تهديها إليه بعضاً من أوزاره وعصيانه وتنقل شطراً من حسناتك إلى ديوانه، فيلقاك يوم القيامة مفلساً محروماً عن الرحمة، كما كنت تلقاه في الدنيا محروماً عن النعمة. فاضفت له نعمة إلى نعمة، ولنفسك نقمة إلى نقمة.

١ [1]الرعد، الآية: ٢٨، ٨.

٢ [2]آل عمران، الآية: ٦٩.

وأما أنه ينفعه في الدنيا، فهو أن أهم أغراض الناس مساءة الأعداء وسوء حالهم، وكونهم متألّمين معذبين. ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد. فقد فعلت بنفسك ما هو غاية مراد حسادك في الدنيا. وإذا تأملت هذا، عرفت أن كل حاسد عدو نفسه، وصديق عدوه. فمن تأمل في ذلك، وتذكر ما يأتي من فوائد النصيحة وحب الخير والنعمة للمسلمين، ولم يكن عدو نفسه، فارق الحسد ألبته.

وأما العمل النافع فيه، فهو أن يواظب على آثار النصيحة التي هي ضده، بأن يصمم على أن يكلف نفسه بنقيض ما يقتضيه الحسد من قول وفعل، فإن بعثه الحسد على التكبر عليه، ألزم نفسه التواضع له، وإن بعثه على غيبته والقدح فيه، كلف لسانه المدح والثناء عليه، وإن بعثه على الغش والخرق بالنسبة إليه، كلف نفسه بحسن البشر واللين معه، وإن بعثه على كف الانعام عنه، ألزم نفسه زيادته. ومهما فعل ذلك عن تكلف وكرره وداوم عليه، انقطعت عنه مادة الحسد على التدرج.

على أن المحسود إذا عرف منه ذلك طاب قلبه وأحبه، وإذا ظهر حبه للحاسد زال حسده وأحبه أيضاً، فنتولد بينهما الموافقة، وترتفع عنهما مادة المحاسدة وهذا هو المعالجة الكلية لمطلق مرض الحسد. والعلاج النافع لكل نوع منه، أن يقيم سببه، من خبث النفس وحب الرئاسة والكبر وعزة النفس وشدة الحرص وغير ذلك مما ذكر، وعلاج كل واحد من هذه الأسباب يأتي في محله.

### تنبيه

#### القدر الواجب في نفي الحسد

اعلم أن مساواة حسن حال العدو وسوء حاله، وعدم وجدان التفرقة بينهما في النفس، ليست مما تدخل تحت الاختيار. فالتكليف به تكليف بالمحال. فالواجب في نفي الحسد وإزالته هو القدر الذي يمكن دفعه، وبيان ذلك - كما أشير إليه - أن الحسد:

(أولاً) إما يبعث صاحبه على إظهاره بقول أو فعل، بحيث يعرف حسده من آثاره الاختيارية. ولا ريب في كونه مذموماً محرماً، وكون صاحبه عاصياً أثماً، لا لمجرد آثاره الظاهرة التي هي الغيبة

والبهتان مثلاً، إذ هي أفعال صادرة عن الحسد، محلها الجوارح، وليست عين الحسد، إذ هو صفة للقلب لا صفة للفعل، ومحلها القلب دون الجوارح، قال الله سبحانه:

" ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا " [3] . وقال: " ودوا لو تكفروا كما كفروا

فتكونون سواء " [4] . وقال: " إن تمسكم حسنة تسؤهم " [5] .

فلو كان الإثم على مجرد أفعال الجوارح، لم يكن أصل الحسد الذي هو صفة القلب معصية، والامر ليس كذلك، فيكون عاصياً لنفس الحسد الذي في قلبه أيضاً، أعني ارتياحه بزوال النعمة مع عدم كراهة ذلك من نفسه. والاثم حقيقة على عدم كراهته وعدم مقتته وقهره على نفسه لهذا الارتياح الذي يجده منها، لكونه اختيارياً ممكن الزوال، لا على نفس الارتياح والاهتزاز، لما أشير إليه من أنه طبيعي غير ممكن الدفع لكل أحد فهذا القسم من الحسد أشد أنواعه، لترتب معصيته على أصله، وأخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومة.

(ثانياً) أولاً يبعثه على إظهاره بالآثار القولية والفعلية، بل يكف ظاهره عنها، إلا أنه بباطنه يحب زوال النعمة من دون كراهة في نفسه لهذه الحالة. ولا ريب في كونه مذموماً محرماً أيضاً، لأنه كسابقه بعينه ولا فرق إلا في أنه لا تصدر منه الآثار الفعلية والقولية الظاهرة، فهو ليس بمظلمة بحسب الاستحلال منها، بل معصية بينه وبين الله، لأن الاستحلال إنما هو من الأفعال الظاهرة الصادرة من الجوارح.

(ثالثاً) أولاً يبعثه على الآثار الذميمة الظاهرة، ومع ذلك يلزم قلبه كراهة ما يترشح منه طبعاً من حب زوال النعمة، حتى أنه يمقت نفسه ويقهرها على هذه الحالة التي رسخت فيها، والظاهر عدم ترتب الإثم عليه، إذ تكون كراهته التي من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أدى

٣ [3] الحشر، الآية: ٩.

٤ [4] النساء، الآية: ٨٩.

٥ [5] آل عمران، الآية: ١٢٠.

الواجب عليه. وأصل الميل الطبيعي لا يدخل تحت الاختيار غالباً، إذ تغير الطبع بحيث يستوي عنده المحسن والمسيء، وعدم التفرقة بين ما يصل منهما إليه من النعمة والبلية، ليس شريعة لكل وارد. نعم من تنور قلبه بمعرفة ربه، واشترقت نفسه بأضواء حبه وانسه وصار مستغرقاً بحب الله تعالى مثل السكران الواله، واستشعر بالارتباط الخاص الذي بين العلة والمعلول، والاتحاد الذي بين الخالق والمخلوق، وعلم أنه أقوى النسب والروابط، ثم تيقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده، والكائنات برمتها صادرة عن فيضه وجوده، وأن الأعيان الممكنة متساوية في ارتضاع لبان الوجود من ثدي واحدة، والحقائق الكونية غير متفاوتة في شرب ماء الرحمة والوجود من مشرع الوحدة الحقيقية - فقد ينتهي أمره إلى ألا تلتفت نفسه إلى تفاصيل أحوال العباد، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة، وهي عين الرحمة، ويرى الكل عبادة لله وأفعاله، ويراهم مسخرين له، فلا ينظر إلى شيء بعين السخط والمساءة، وإن ورد منه ما ورد من السوء والبلية، لأنه ينظر إليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت، بل من حيث انتسابه إليه سبحانه، والكل في الانتساب إليه سواء.

ثم من الناس من ذهب إلى أنه لا إثم على الحسد ما لم تظهر آثاره على الجوارح، وعلى هذا ينحصر الحسد المحرم في القسم الأول. واحتج على ما ذهب إليه بما ذكرناه من قوله (ص): " ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد..."، ويقول (ص): " ثلاث في المؤمن له منهن مخرج، ومخرجه من الحسد ألا يبغى " والصحيح أن تحمل أمثال هذه الأخبار على القسم الثالث، هو ما يكون فيه ارتياح النفس بزوال النعمة طبعاً مع كراهة له من جهة العقل والدين، حتى تكون هذه الكراهة في مقابلة حب الطبع. إذ أخبار ذم الحسد تدل بظاهرها على أن كل حاسد آثم، والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال الظاهرة. وعلى هذا المذهب، لا يكون آثم على صفة القلب، بل إنما يكون على مجرد الأفعال الظاهرة على الجوارح.

فقد اتضح بما ذكر، أن الأحوال المتصورة لكل أحد بالنسبة إلى أعدائه ثلاثة: الأولى: أن يحب مساءته، ويظهر الفرح بمساءتهم بلسانه وجوارحه، أو يظهر ما يؤذيهم قولاً أو فعلاً، وهذا محظور محرم قطعاً، وصاحبه عاص آثم جزماً. الثانية: أن يحب مساءتهم طبعاً، ولكن يكره حبه لذلك بعقله، ويمقت نفسه عليه، ولو كانت له حيلة في إزالة ذلك الميل لأزاله. وهذا معفو عنه وفاقاً، وفاعله غير



أثم إجماعاً. الثالثة: وهي ما بين الأوليين: أن يحسد بالقلب من غير مقتنه لنفسه على حسده، ومن غير انكار منه على قلبه، ولكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها، وهذا محل الخلاف. وقد عرفت ما هو الحق فيه.

## فصل

### النصيحة

قد عرفت أن ضد الحقد والحسد (النصيحة)، وهي ارادة بقاء نعمة الله للمسلمين، وكراهة وصول الشر إليهم. وقد تطلق في الأخبار على ارشادهم إلى ما فيه مصلحتهم وغبطتهم، وهو لازم للمعنى الأول. فينبغي أن نشير إلى فوائدها وما ورد في مدحها، تحريماً للطالبين على المواظبة عليها ليرتفع بها ضدها.

اعلم ان من أحب الخير والنعمة للمسلمين كان شريكاً في الخير، بمعنى أنه في الثواب كالمنعم وفاعل الخير. وقد ثبت من الأخبار، أن من لم يدرك درجة الأخيار بصالحات الأعمال، ولكنه أحبهم، يكون يوم القيامة محشوراً معهم، كما ورد: "إن المرء يحشر مع من أحب". وقال إعرابي لرسول الله (ص): "الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم. فقال (ص): المرء مع من أحب" وقال رجل بحضرة النبي - بعد ما ذكرت الساعة -: "ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام، إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال (ص) أنت مع من أحببت"، قال الراوي: فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ، إذ أكثر ثقتهم كانت بحب الله وبحب رسوله. وروى: "أنه قيل له (ص): الرجل يحب المصلين ولا يصلي، ويحب الصوم ولا يصوم - حتى عد أشياء - فقال: "هو مع من أحب". وبهذا المضمون وردت أخبار كثيرة.

والأخبار الواردة في مدح خصوص النصيحة وذم تركها، وفي ثواب ترك الحسد وعظم فوائده، أكثر من أن تحصى. عن أبي عبدالله (ع) قال: "قال رسول الله (ص): إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه". وعن أبي جعفر (ع) قال: "قال

رسول الله (ص): لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه". وقال الباقر (ع): " يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة". وقال الصادق (ع): " يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب". وقال (ع): " عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل افضل منه". وبمضمونها أخبار. وعن أبي عبدالله (ع) قال: " قال رسول الله (ص): " من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه، فقد خان الله ورسوله " وقال الصادق (ع): " من مشى في حاجة أخيه، ثم لم ينصحه فيها، كان كمن خان الله ورسوله، وكان الله خصمه " [6] والأخبار الأخر بهذا المضمون أيضاً كثيرة.

وروى: " أن رسول الله (ص) شهد لرجل من الأنصار بأنه من أهل الجنة"، وكان باعته - بعد التفتيش - خلوه عن الغش والحسد على خير أعطى أحداً من المسلمين. وروى: " أن موسى (ع) لما تعجل إلى ربه، رأى في ظل العرش رجلاً، فغبطه بمكانه، وقال: إن هذا لكريم على ربه. فسأل ربه أن يخبر باسمه فلم يخبره باسمه، وقال: " أهدتك عن عمله: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة".

وغاية النصيحة، أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، قال رسول الله (ص): " المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه". وقال (ص): " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". وقال (ص): " إن أحدكم مرآة أخيه، فإذا رأى به شيئاً فليمط عنه هذا".

ومنها:

### الإيذاء والإهانة والاحتقار

ولا ريب في كون ذلك في الغالب مترتباً على العداوة والحسد، وإن ترتب بعض أفرادها في بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص ليكون من رداءة القوة الشهوية، أو على مجرد الغضب

وسوء الخلق والكبر، وإن لم يكن حقد وحسد. وعلى أي تقدير، لا شبهة في أن الإيذاء للمؤمن واحتقاره محرم في الشريعة، موجب للهلاك الأبدي، قال الله سبحانه:

" والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً " [7] ٧.

وقال رسول الله (ص): " من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزيور والفرقان". وفي خبر آخر: " فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " [8] ٨. وقال (ص): " المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ". وقال (ص): " لا يحل للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه ". وقال (ص): " ألا انبئكم بالمؤمن! من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. ألا انبئكم بالمسلم! من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة ". وقال الصادق (ع): " قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن ". وقال (ع): " إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين المؤذون لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم. ثم يؤمر بهم إلى جهنم ". وقال (ع): " قال رسول الله (ص): قال الله تبارك وتعالى: من أهان لي ولياً فقد ارصد لمحاربتي " وقال (ع): " إن الله تبارك وتعالى يقول: " من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي، وأنا اسرع شيء إلى نصرته أليائي ". وقال (ع): " قال رسول الله (ص): قال الله عز وجل: قد نابذني من أذل عبدي المؤمن ". وقال (ع): " من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين، لم يزل الله عز وجل حاقراً له ما قتاً، حتى يرجع عن محقرته إياه " [9] ٩. وفي معناها اخبار كثيرة آخر.

٧ [7] الأحزاب، الآية: ٥٨.

٨ [8] صحننا الحديثين على (جامع الأخبار): الباب ٧، الفصل ٤.

٩ [9] صحننا الأحاديث هنا على (أصول الكافي): باب من آذى المسلمين واحتقرهم وعلى: (إحياء العلوم): ١٧١/٢، ١٧٢.

ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول، والربط الخاص الذي بين الخالق والمخلوق، يعلم أن إيذاء العباد واهانتهم يرجع في الحقيقة إلى إيذاء الله واهانتة، وكفاه بذلك ذمماً. فيجب على كل عاقل أن يكون دائماً متذكراً لذم إيذاء المسلمين واحتقارهم، ولمدح ضدهما، من رفع الأذى عنهم واکرامهم - كما يأتي -، ويحافظ نفسه عن ارتكابهما، لئلا يفتضح في الدنيا ويعذب في الآخرة.

## فصل

### كف الأذى عن المسلمين

لا ريب في فضيلة أصداد ما ذكر وفوائدها، من كف الأذى عن المؤمنين والمسلمين واکرامهم وتعظيمهم. والظواهر الواردة في مدح دفع الضرر وكف الأذى عن الناس كثيرة، كقول النبي (ع): " من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار وجبت له الجنة " [10] ١٠. وقوله (ص): " أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده ". وقوله (ص) في حديث طويل أمر فيه بالفضائل: "... فان لم تقدر فدع الناس من الشر، فانها صدقة تصدقت بها على نفسك ". وقوله (ص): " رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين ". وقال (ص): " من زحزح من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم، كتب الله له به حسنة او جب له بها الجنة " [11] ١١. وكذا الأخبار التي وردت في مدح إكرام المؤمن وتعظيمه كثيرة. قال الصادق (ع): " قال الله سبحانه: ليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن ". وقال رسول الله (ص): " من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلففه بها، وفرج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود، وعليه الرحمة ما كان في ذلك ". وقال (ص): " ما في امتي عبد الطف أخاه في الله بشيء من لطف، إلا أخدمه الله من خدم الجنة ". وقال (ص) " إيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة ". وقال

١٠ [10] صححناه على (فروع الكافي): كتاب الجهاد، في ملحق باب فضل الشهادة. وعلى (أصوله): في باب الاهتمام بأمور المسلمين.

١١ [11] صححنا هذه الأحاديث الأربعة الأخيرة على (إحياء العلوم): ١٧١/٢.

الصادق (ع): " من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة، كتب الله عز وجل له عشر حسنات ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة ". وقال (ع): " من قال لأخيه: مرحباً، كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة ". وقال: " من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه، فانما أكرم الله عز وجل ". وقال عليه السلام لإسحاق بن عمار: " أحسن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما احسن مؤمن إلى مؤمن ولا اعانه إلا خمش وجه إبليس وقرح قلبه " ١٢ [12].

ثم ينبغي تخصيص بعض طبقات الناس بزيادة التعظيم والاكرام، كأهل العلم والورع، لما ورد من الحث الأكيد في الأخبار على اكرامهم والاحسان إليهم، وكذا ينبغي تخصيص ذي الشبهة المسلم بزيادة التوقير والتكريم، وقد ورد ذلك في الأخبار الكثيرة، قال رسول الله (ص): " من عرف فضل كبير لسنه فوقه، آمنه الله من فزع يوم القيامة ". وقال الصادق (ع): " إن من إجلال الله عز وجل إجلال الشيخ الكبير ". وقال (ع): " ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ". والأخبار في هذا المضمون كثيرة.

وكذا ينبغي تخصيص كريم القوم بزيادة الاكرام، لقول النبي (ص) " إذا اتاكم كريم قوم فأكرموه " ١٣ [13].

وكذا تخصيص الذرية العلوية بزيادة الاكرام والتعظيم. قال رسول الله (ص): " حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله ". وقال (ص): " أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه " ١٤ [14]. وقال (ص): " اكرموا اولادي، وحسنوا آدابي ". وقال (ص) " اكرموا اولادي،

١٢ [12] صححنا الأحاديث هن على (أصول الكافي): باب إطفاف المؤمن وإكرامه، وباب من أذى المسلمين واحتقرهم.

١٣ [13] صححنا هذه الأحاديث على (أصول الكافي): باب إجلال الكبير، وباب وجوب إجلال ذي الشبهة، وباب إكرام الكريم وعلى (الوسائل): كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب ٦٧.

١٤ [14] تقدم هذان الحديثان في ص ١٣٩ من هذا الجزء.

الصالحون لله والصالحون لي". والأخبار في فضل السادات وثواب من يكرمهم ويعينهم أكثر من أن تحصى.

وإضرار المسلم قريب من معنى إيذائه، وربما كان الاضرار أخص منه، فما يدل على ذمه، يدل على ذمه، كقول النبي (ص): " خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: الشرك بالله تعالى، والضرر بعباد الله ". وكذا ضده، أعني إيصال النفع إليه، قريب من معنى ضده وأخص منه. فما يدل على مدحه يدل على مدحه. ولا ريب في أن إيصال النفع إلى المؤمنين من شرائف الصفات والأفعال. والأخبار الواردة في فضيلته كثيرة، قال رسول الله (ص): " الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وادخل على أهل بيته سروراً ". وسئل (ص): " من أحب الناس إلى الله؟ قال: " انفع الناس للناس " [15] وقال رسول الله (ص): " خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر: الأيمان بالله، والنفع لعباد الله ".

ذم الظلم بالمعنى الأخص  
العدل بالمعنى الأخص  
آفة المؤمن  
ادخال السرور في قلب المؤمن  
ترك اعانة المسلمين  
قضاء حوائج المسلمين  
التهاون والمداهنة

### تنبيه

### ذم الظلم بالمعنى الأخص

اعلم أن الظلم قد يراد به ما هو ضد العدالة، وهو التعدي عن الوسط في أي شيء كان، وهو جامع للردائل باسرها - كما أشير إليه - وهذا هو الظلم بالمعنى الأعم، وقد يطلق عليه الجور أيضاً، وقد يراد به ما يرادف الاضرار والإيذاء بالغير، وهو يتناول قتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته وأخذ ماله قهراً ونهباً وغصباً وسرقة وغير ذلك من الأقوال والأفعال المؤذية. وهذا هو الظلم بالمعنى الأخص، وهو المراد إذا اطلق في الآيات والأخبار وفي عرف الناس. وباعته إن كانت العداوة والحسد، يكون من ردائل قوة الغضب، وإن كان الحرص والطمع في المال، يكون من ردائل قوة الشهوة. وهو أعظم المعاصي وأشدّها عذاباً باتفاق جميع الطوائف، ويدل على ذمه - بعد ما ورد في ذم كل واحد من الأمور المندرجة تحته كما يأتي بعضها - ما تكرر في القرآن من اللعن على الظالمين، وكفاه ذمّاً أنه تعالى قال في مقام ذم الشرك:

" إن الشرك لظلم عظيم " [1]١. وقال: " إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم " [2]٢. وقال " ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون " [3]٣. وقال: " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " [4]٤.

١ [1] لقمان، الآية: ١٣.

٢ [2] الشورى، الآية: ٤٢.

وقال رسول الله (ص): " إن أهون الخلق على الله، من ولي أمر المسلمين فلم يعدل لهم ". وقال (ص): " جور ساعة في حكم، أشد واعظم عند الله من معاصي تسعين سنة ". وقال (ص): " اتقوا الظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة " وقال (ص): " من خاف القصاص، كف عن ظلم الناس " وروى: " أنه تعالى أوحى إلى داود: قل للظالمين لا تذكروني، فإن حقاً علي أن اذكر من ذكرني، وإن ذكرني إياهم أن العنهم ". وقال علي ابن الحسين - عليهما السلام - لابنه أبي جعفر (ع) حين حضرته الوفاة: " يا بني، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرأ إلا الله ". وقال أبو جعفر (ع): " ما من أحد يظلم بمظلمة إلا أخذته الله تعالى بها في نفسه أو ماله ". وقال رجل له (ع): " إني كنت من الولاة، فهل لي من توبة؟ فقال: لا! حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه ". وقال (ع): " الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله تعالى، وظلم لا يغفره الله تعالى، وظلم لا يدعه الله. فاما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره الله عز وجل فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد " وقال الصادق (ع) في قوله تعالى:

" إن ربك لبالمرصاد " 5[5].

" قنطرة على الصراط، لا يجوز ا عبد بمظلمة ". وقال (ع) " ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله تعالى " وقال: " من أكل مال أخيه ظلماً، ولم يردده إليه، أكل جذوة من النار يوم القيامة ". وقال (ع): " إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين: أن انت هذا الجبار، فقل له: إني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين، فاني لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً " وقال (ع): " أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم... ثم

٣ [3] إبراهيم، الآية: ٤٢.

٤ [4] الشعراء، الآية: ٢٢٧.

٥ [5] الفجر، الآية: ١٤.



قال: " من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به، أما إنه يحصد ابن آدم ما يزرع. وليس يحصد أحد من المر حلواً، ولا من الحلو مرأً ". وقال (ع): " من ظلم، سلط الله عليه من يظلمه، أو على عقبه أو على عقب عقبه " قال الراوي: " قلت هو يظلم، فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه؟! قال: فان الله تعالى يقول:

" وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم فلينتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً  
" [6]٦.

والظاهر أن مؤاخذة الأولاد بظلم آبائهم إنما هو في الأولاد الذين كانوا راضين بفعل آبائهم، أو وصل إليهم اثر ظلمهم، أي انتقل إليهم منهم بعض أموال المظلومين. وقال بعض العلماء: الوجه في ذلك: أن الدنيا دار مكافأة وانتقام، وان كان بعض ذلك مما يؤخر إلى الآخرة، وفائدة ذلك اما بالنسبة إلى الظالم فانه يردعه عن الظلم إذا سمع، وأما بالنسبة إلى المظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام في الدنيا مع نياله ثواب الظلم الواقع عليه في الآخرة، فانه ما ظفر أحد بخير مما ظفر به المظلوم، لأنه يأخذ من دين الظالم اكثر مما أخذ الظالم من ماله، كما تقدم. وهذا مما يصحح الانتقام من عقب الظلم أو عقب عقبه، فانه وإن كان في صورة الظلم، لأنه انتقام من غير اهله، مع أنه لا تزر وازرة وزر اخرى، إلا أنه نعمة من الله عليه في المعنى من جهة ثوابه في الدارين، فان ثواب المظلوم في الآخرة اكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا.

ثم إن معين الظالم، والراضي بفعله، والساعي له في قضاء حوائجه وحصول مقاصده، كالظالم بعينه في الاثم والعقوبة. قال الصادق (ع): " العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم ". وقال (ع): " من عذر ظالماً بظلمه، سلط الله عليه من يظلمه، فان دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته ". وقال رسول الله (ص): " شر الناس المثلث؟ "، قيل: وما المثلث قال: " الذي يسعى باخيه إلى السلطان، فيهلك نفسه، ويهلك أخاه، ويهلك السلطان ". وقال (ص): " من

مشى مع ظالم فقد أجرم ". وقال (ص): " إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين الظلمة وأعوان  
الظلمة ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدهم بمدة قلم؟ فاحشروهم معهم ".

## فصل

### العدل بالمعنى الأخص

ضد الظلم بالمعنى الأخص هو العدل بالمعنى الأخص، وهو الكف عنه، ورفع، والاستقامة،  
وإقامة كل أحد على حقه. والعدل بهذا المعنى هو المراد عند إطلاقه في الآيات والأخبار، وفضيلته  
أكثر من أن تحصى. قال الله سبحانه:

" إن الله يأمر بالعدل والإحسان... "[7]٧. وقال: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها  
وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل "[8]٨.

وقال رسول الله (ص): " عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها " وقال  
الصادق (ع): " من أصبح ولا يهتم بظلم أحد، غفر له ما اجترم ". وقال الصادق (ع): " من أصبح  
لا ينوى ظلم أحد، غفر الله تعالى له ذنب ذلك اليوم، ما لم يسفك دماً أو يأكل مال يتيم حراماً " وقال  
(ع): " العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان. ما أو سع العدل إذا عدل فيه، وإن قل ". وقال (ع): "   
العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك ". وقال (ع): " اتقوا الله واعدلوا،  
فانكم تعيرون على قوم لا يعدلون "[9]٩.

٧ [7]النحل، الآية: ٩٠.

٨ [8]النساء، الآية: ٥٨.

٩ [9]صححنا الأحاديث هنا على (أصول الكافي): باب الظلم وباب الأنصاف والعدل.

ومما يدل على فضيلة العدل بهذا المعنى ما ورد في ثواب رد المظالم. قال رسول الله (ص): " درهم يرده العبد إلى الخصماء خير له من عبادة ألف سنة، وخير له من عتق ألف رقبة، وخير له من ألف حجة وعمرة ". وقال (ص): " من رد درهماً إلى الخصماء، اعتق الله رقبته من النار، واعطاه بكل دانق ثواب نبي، وبكل درهم ثواب مدينة في الجنة من درة حمراء ". وقال (ص) " من رد ادنى شئ إلى الخصماء، جعل الله بينه وبين النار ستراً كما بين السماء والأرض، ويكون في عداد الشهداء ". وقال (ص): " من أَرْضَى الخصماء من نفسه، وجبت له الجنة بغير حساب، ويكون في الجنة رفيق إسماعيل بن إبراهيم ". وقال (ص): " إن في الجنة مدائن من نور، وعلى المدائن أبواب من ذهب مكللة بالدر والياقوت، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران، من نظر إلى تلك المدائن يتمنى أن تكون له مدينة منها ". قالوا: يا نبي الله، لمن هذه المدائن؟ قال: " للتائبين النادمين، المرضيين الخصماء من أنفسهم، فإن العبد إذا رد درهماً إلى الخصماء، أكرمه الله كرامة سبعين شهيداً. فإن درهماً يرده العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل. ومن رد درهماً ناداه ملك من تحت العرش، استأنف العمل، فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ". وقال (ص): " من مات غير تائب، زفرت جهنم في وجهه ثلاث زفرات، فاو لاها لا تبقى دمة إلا جرت من عينيه، والزفرة الثانية لا يبقى دم إلا خرج من منخريه، والزفرة الثالثة لا يبقى قيح إلا خرج من فمه. فرحم الله من تاب، ثم أَرْضَى الخصماء، فمن فعل فأنا كفيله بالجنة ". وقال (ص) " لرد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين ألف حجة مبرورة " [10] ١٠

ومنها:

### إخافة المؤمن

وإدخال الكرب في قلبه. وهما شعبتان من الإيذاء والإضرار، فيترتبان غالباً على العداوة والحسد، وقد يترتبان على مجرد الغضب أو سوء الخلق أو الطمع، وهما من رذائل الأفعال، والأخبار الواردة في ذمهما كثيرة، كقول النبي (ص): " من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها، أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله ". وقول الصادق (ع): " من روع مؤمناً بسُلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسُلطان ليصيبه منه مكروه فصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار ". وقوله (ع): " من ادخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول الله (ص)، ومن أدخله على رسول الله (ص) فقد وصل ذلك إلى الله، وكذلك من أدخل عليه كرباً " [11] ١١. والأخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة.

## فصل

### إدخال السرور في قلب المؤمن

و ضد ذلك إزالة الخوف عنه، وتفريج كربيه. وإدخال السرور في قلبه. وهي من أعظم شعب النصيحة، ولا حد للثواب المترتب عليها، كما نطقت به الأخبار. قال رسول الله (ص): " من حمى مؤمناً من ظالم، بعث الله له ملكاً يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم ". وقال (ص): " من فرج عن مغموم أو أعان مظلوماً، غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة ". وقال (ص): انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً "، فقيل: كيف ينصره ظالماً؟ قال: " تمنعه من الظلم ". وقال الإمام أبو عبدالله الصادق (ع): " من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهفان عند جهده، فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله تعالى له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وأهواله ". وقال (ع): " من نفس عن مؤمن كربة، نفس الله عنه كرب الأخرة، وخرج من قبره وهو تلج الفؤاد " وقال الرضا (ع): " من فرج

عن مؤمن، فرج الله قلبه يوم القيامة". وقال رسول الله (ص): " من سر مؤمناً فقد سرني، ومن سرني فقد سر الله ". وعن أبي عبدالله (ع) قال: " قال رسول الله (ص): إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ادخال السرور على المؤمنين ". وقال الباقر (ع): " تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفه القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحب إلى الله من ادخال السرور على المؤمن ". وقال (ع) " إن فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى (ع): قال: إن لي عبداً أبيحهم جنتي واحكمهم فيها، قال: يا رب، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها؟ قال: من ادخل على مؤمن سروراً... ثم قال: إن مؤمناً كان في مملكة جبار، فولع به، فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك فاظله وارفقه وأضافه، فلما حضره الموت، أوحى الله إليه: وعزتي وجلالي! لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرمة على من مات مشركاً بي، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار "، قلت ١٢ [12]: من الجنة؟ قال: " من حيثما شاء الله ". وقال (ع): " لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله (ص)! عن أبان بن تغلب، قال: " سألت أبا عبدالله (ع) عن حق المؤمن على المؤمن. فقال: حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك، لو حدثتكم لكفرتكم. إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له: ابشر بالكرامة من الله والسرور فيقول له: بشرك الله بخير. قال: ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال، وإذا مر بهول قال: ليس هذا لك، وإذا مر بخير قال: هذا لك. فلا يزال معه، يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب، حتى يقف معه بين يدي الله عز وجل. فإذا أمر به إلى الجنة، قال له المثال: ابشر فان الله عز وجل قد أمر بك إلى الجنة. قال: فيقول: من أنت رحمك الله؟ تبشرنني من حين خرجت من قبيري، وأنستني في طريقي، وخبرتني عن ربي! قال فيقول: انا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا، خلقت منه لا بشرك واونس وحشتك ". وروى ابن سنان، قال: " كان رجل عند أبي عبدالله (ع)، فقرأ هذه الآية:

" والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً " [13] ١٣.

فقال أبو عبدالله (ع): فما ثواب من أدخل عليه السرور فقلت: جعلت فداك! عشر حسنات. قال:

أي والله ألف ألف حسنة! " [14] ١٤.

ومنها:

### ترك إعانة المسلمين

وعدم الاهتمام بأمورهم. فان من يعادي غيره أو يحاسده يترك إعانته ولا يهتم بأموره، وربما كان ذلك من نتائج الكسالة بها، أو ضعف النفس أو البخل. وبالجملّة: لا ريب في كونه من رذائل الصفات، ودليلاً على ضعف الإيمان. وما ورد في ذمه من الأخبار كثير، قال الباقر (ع): " من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجة، إلا ابتلى بالقيام بمعونة من يأتّم عليه ولا يؤجر ". وقال الصادق (ع): " أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من اخوانه، فاستعان به في حاجة فلم يعنه، وهو يقدر، إلا ابتلاه الله تعالى بأن يقضي حوائج عدة من أعدائنا، يعذبه الله عليها يوم القيامة ". وقال (ع): " أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله عز وجل يوم القيامة مسوداً وجهه، ومزرقه عيناه، مغולה يدها إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يؤمر به إلى النار " وقال (ع): " من كانت له دار، فاحتاج مؤمن إلى سكنها، فمنعه إياها، قال الله تعالى: يا ملائكتي، أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا؟ وعزتي وجلالي! لا يسكن جناتي أبداً ". وقال (ع) لنفر عنده: " مالكم تستخفون بنا؟ "، فقام إليه رجل من أهل خراسان، فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك! فقال: " إنك أحد من استخف بي "، فقال: معاذ لوجه الله أن استخف بك فقال له: " ويحك! ألم تسمع فلاناً، ونحن بقرب الجحفة،

١٣ [13]الأحزاب، الآية: ٥٨.

١٤ [14]صححنا الأحاديث كلها هنا على (أصول الكافي): باب إدخال السرور على المؤمن، باب تفريخ كرب المؤمن.

وهو يقول لك: إحملني قدر ميل، فقد والله أعييت. والله ما رفعت به رأساً، لقد استخففت به. ومن استخف بمؤمن فينا استخف، وضيع حرمة الله عز وجل<sup>١٥</sup> [15]. وقال (ع): " من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له، سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ". وقال أبو الحسن (ع): " من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عز وجل ". وقال رسول الله (ص): " من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم ". وقال (ص): " من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم " [16].

## فصل

### قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيلة: قضاء حوائج المسلمين والسعي في إنجاح مقاصدهم وهو من أعظم أفراد النصيحة، ولا حد لمثوبته عند الله، قال رسول الله (ص): " من قضى لأخيه المؤمن حاجة، فكأنما عبده الله دهره " [17] وقال (ص): " من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار، قضاه أو لم يقضها، كان خيراً له من اعتكاف شهرين ". وقال أبو جعفر (ع): " أوحى الله عز وجل إلى موسى (ع): إن من عبادي من يتقرب الي بالحسنة فاحكمه في الجنة فقال موسى: يا رب، وما تلك الحسنة؟ قال يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته، قضيت أم لم تقض ". وقال (ع): " من مشى

١٥ [15] صححنا هذا الحديث بالخصوص على (الوسائل): كتاب الحج، باب تحريم الاستخفاف وهو يرويه عن (الكافي).

١٦ [16] صححنا الأحاديث هنا على (أصول الكافي): باب من استعان أخوه به فلم يعنه، وباب قضاء حاجة المؤمن، وباب من منع مؤمناً شيئاً من عنده، وباب الاهتمام بأمور المسلمين.

١٧ [17] صححناه على (الوسائل). كتاب الأمر بالمعروف، باب استحباب قضاء حاجة المؤمن، رواه عن (مجالس الطوسي). ولم نعثر على مصدر للنبي الثاني.

في حاجة أخيه المسلم، أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك، ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له حسنة، وخط عنه بها سيئة، ويرفع له بها درجة، فإذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها أجر حاج ومعتمر " وقال (ع): " إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة ". وقال الصادق (ع): " من قضى لأخيه المؤمن حاجة، قضى الله تعالى له يوم القيامة مائة ألف حاجة، من ذلك أولها الجنة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه واخوانه الجنة، بعد ان لا يكونوا نصاباً ". وقال (ع): " إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه، انتجهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا، ليثيبهم على ذلك الجنة. فان استطعت أن تكون منهم فكن " وقال (ع): " قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة، وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله ". وقال (ع): " لقضاء حاجة امرئ مؤمن احب إلى الله تعالى من عشرين حجة، كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف ". وقال (ع): " من طاف بالبيت طوافاً واحداً كتب الله له ستة آلاف حسنة، ومحي عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة - وفي رواية: وقضى له ستة آلاف حاجة - حتى إذا كان عند الملتزم، فتح له سبعة أبواب من الجنة "، قلت له: جعلت فداك! هذا الفضل كله في الطواف؟ قال: " نعم! واخبرك بأفضل من ذلك: قضاء حاجة المؤمن المسلم أفضل من طواف وطواف وطواف...حتى بلغ عشراً ". وقال (ع): " تنافسوا في المعروف لاخوانكم وكونوا من أهله، فان للجنة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، فان العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين، واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربه، ويدعوان بقضاء حاجته " ... ثم قال: " والله لرسول الله (ص) اسر بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة ". وقال (ع): " ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تعالى: علي ثوابك، ولا ارضى لك بدون الجنة ". وقال (ع): " أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فانما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له، فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فانما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل، ساقها إليه وسببها له، وذخر الله تلك الرحمة إلى يوم القيامة، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه، وإن شاء صرفها إلى غيره " ... ثم قال (ع) للراوي: " فإذا كان يوم القيامة، وهو الحاكم في رحمة من الله تعالى قد شرعت له، فإلى من ترى يصرفها؟ "، لا أظن يصرفها عن نفسه، قال: لا تظن!



ولكن استيقن، فانه لن يردّها عن نفسه " وقال (ع): " من مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى تقضى له، كتب الله عز وجل له بذلك مثل أجر حجة وعمرة مبرورتين، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام، ومن مشى فيها بنية ولم تقض، كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة. فارغبوا في الخير ". وقال (ع): " لئن أمشي في حاجة أخ لي مسلم، أحب إلي من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة " وقال (ع): " من سعى في حاجة أخيه المسلم، وطلب وجه الله، كتب الله عز وجل له ألف حسنة، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه وإخوانه ومعارفه، ومن صنع إليه معروفًا في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل له: ادخل النار، فمن وجدته فيها صنع إليك معروفًا في الدنيا فأخرجه باذن الله عز وجل، إلا أن يكون ناصبياً ". وقال أبو الحسن (ع): " إن الله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة. ومن أدخل على مؤمن سروراً، فرح الله قلبه يوم القيامة " [18]. والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة، وما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين. ومما يدل على مدحه وشرافته، ما ورد في ثواب اطعام المؤمن وسقيه وكسوته، كما يأتي.

ومنها:

### التهاون والمداهنة

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو ناش إما من ضعف النفس وصغرها، أو من الطمع المالي ممن يسامحه، فيكون من رذائل القوة الغضبية من جانب التفريط، أو من رذائل القوة الشهوية من جانب الإفراط وهو من المهلكات التي يعم فسادها وضرها، ويسري إلى معظم الناس اثرها وشرها. كيف ولو طوي بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اضمحلت الديانة، وتعطلت النبوة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، وضاعت أحكام الدين، واندرست آثار

شريعة رب العالمين، وهلك العباد، وخربت البلاد. ولذا ترى وتسمع أن في كل عصر نهض باقامة هذه السنة بعض المؤيدين، من غير أن تأخذهم في الله لومة لائمين، من أقوياء العلماء المتكفلين لعلمها وإبقائها، ومن سعداء الأمراء الساعين في اجرائها وإمضائها، رغب الناس إلى ضروب الطاعات والخيرات، وفتحت عليهم بركات الأرض والسموات، وفي كل قرن لم يقم باحيائها عالم عامل ولا سلطان عادل، واستشرى الفساد، واتسع الخرق وخربت البلاد، واسترسل الناس في اتباع الشهوات والهوى، وانمحت أعلام الهداية والتقوى.

ولذا ترى في عصرنا - لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله وعلمه وانمحت بالكلية حقيقته واسمه، وعز على بسيط الأرض دين يحرس الشريعة - واستولت على القلوب مدهنة الخليفة - أن الناس في ببداء الضلالة حيارى وفي أيدي جنود الأبالسة اسارى، ولم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن الشرع إلا رسمه.

ولأجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات والأخبار على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمدهنة فيهما، قال الله سبحانه:

" لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون  
" ١٩ [19].

وقال رسول الله (ص): " ما من قوم عملوا بالمعاصي، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل، إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ". وقال (ص): " إن الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له "، فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال: " الذي لا ينهى عن المنكر ". وقيل له (ص): " أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال: نعم! قيل: بم يا رسول الله؟ قال: بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله ". وقال (ص): " لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر، أو ليستعملن عليكم

شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم " ٢٠ [20]. وقال (ص): " إن الله تعالى ليسأل العبد: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكر؟ ". وقال (ص): " إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة، حتى يظهر المنكر بين أظهرهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه ".

وقال أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه: " إنما هلك من كان قبلكم، حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك، وانهم لما تهادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر... ". وقال (ع): " من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه، فهو ميت بين الأحياء ". وقال (ع) " أمرنا رسول الله (ص) أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة ". وقال (ع): " إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله " وقال الباقر (ع): " أوحى الله عز وجل إلى شعيب النبي (ع): إني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم. فقال (ع): يا رب، هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي ". وقال الصادق (ع): " ما قدست أمة لم يؤخذ لضعفها من قوتها بحقه غير متعت ". وقال (ع): " ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " وقال (ع): " إن الله تعالى بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلبها على أهلها، فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرع إليه، فقال أحد الملكين لصاحبه: أما ترى هذا الداعي؟ فقال: قد رأيته، ولكن أمضي ما أمر به ربي. فقال: لا، ولكن لا يحدث شيئاً حتى أراجع ربي. فعاد إلى الله تبارك وتعالى، فقال: يا رب إني انتهيت إلى المدينة، فوجدت عبدك فلاناً يدعرك ويتضرع إليك. فقال: امض ما امرتك به، فإن ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لي قط ". وقال (ع) لقوم من أصحابه: حق لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم وكيف لا يحق لي ذلك وانتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكروا عليه ولا تهجروا ولا تؤذونه حتى يتركه ". وقال (ع): " لا حملن ذنوب سفهاتكم على علمائكم... إلى أن قال: ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون وما

٢٠ [20] روى في (فروع الكافي) - باب الأمر بالمعروف - هذا الحديث عن أبي الحسن الرضا (ع) وصحنا الحديث الذي قبل الأخير على (فروع الكافي) في الموضوع المذكور أيضاً.

يدخل علينا به الأذى، أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه، وتقولوا له قولاً بليغاً! "، قيل له: اذن لا يقبلون منا، قال: " اهجروهم واجتنبوا مجالستهم ". وفي بعض الأخبار النبوية: " إن امتي إذا تهاونوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بحرب من الله ". وقد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر إذا لم يمكنه دفعه والنهي عنه، ولو حضر نزلت عليه اللعنة. وعلى هذا لا يجوز دخول بيت الظلمة والفسقة، ولا حضور المشاهد التي يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره، إذ لا يجوز مشاهدة المنكر من غير حاجة، اعتذاراً بأنه عاجز. ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة، حذراً من مشاهدة المنكر في الأسواق والمجامع والأعياد، مع عجزهم عن التغيير.

ثم إذا كان الأمر في المداينة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المثابة، فيعلم أن الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كيف حاله. قال رسول الله (ص): " كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ " فقيل له (ص): ويكون ذلك يا رسول الله؟! قال: " نعم! كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟! "، فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟! قال: " نعم! وشر من ذلك! كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟! "، وفي رواية: " وعند ذلك يبتلئ الناس بفتنة، يصير الحليم فيها حيران " [21].

ومن تأمل في الأخبار والآثار، واطلع على التواريخ والسير وقصص الأمم السالفة والقرون الماضية، وما حدثت لهم من العقوبات، وضم ذلك إلى التجربة والمشاهدة في عصره، من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماوية والأرضية، يعلم أن كل عقوبة سماوية وأرضية، من الطاعون والوباء، والقحط والغلاء، وحبس المياه والأمطار، وتسلبت الظالمين والأشرار، ووقوع القتل والغارات، وحدوث الصواعق والزلازل، وأمثال ذلك، تكون مسبقة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس.

٢١ [21] صححنا الأحاديث هنا على (فروع الكافي): باب الأمر بالمعروف وعلى (الوسائل): كتاب الأمر بالمعروف وعلى (المستدرک): ٣٦٠/٢ - ٣٦١ كتاب الأمر بالمعروف.



السعي في الأمر بالمعروف  
وجوب الأمر بالمعروف وشروطه  
عدم اشتراط العدالة فيه  
مراتب الأمر بالمعروف  
معنى وجوبهما كفاثيا  
ما ينبغي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
انواع المنكرات  
الهجرة والتباعد

### السعي في الأمر بالمعروف

ضد المداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي السعي فيهما والتشمير لهما. وهو أعظم مراسم الدين، والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين، ونصب من بعدهم الخلفاء والأوصياء، وجعل نوابهم أولى النفوس القدسية من العلماء. بل هو القطب الذي تدور عليه أرحية الملل والأديان وتطرق الاختلال فيه يؤدي إلى سقوطها عن الدوران. ولهذا ورد في مدحه والترغيب عليه مما لا يمكن إحصاؤه من الآيات والأخبار، قال الله سبحانه:

" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ". وقال: " كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر " [1]١. وقال: " فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ بئس بما كانوا يفسقون " [2]٢. وقال: " لا خير في كثيرٍ من نجواهم، إلا من أمر بصدقةٍ أو

١ [1]آل عمران، الآية: ١٠٤، ١١٠.

٢ [2]الأعراف، الآية: ١٦٥.

معروفٍ أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً".

وقال: " ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط "[3]3.

والقيام بالقسط هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال رسول الله (ص): " ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لحي، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي " وقال (ص): " إياكم والجلوس على الطرقات! " قالوا مالنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: "فإذا أبيتم إلا ذلك، فاعطوا الطريق حقه "، قالوا، وما حق الطريق؟ قال: " غض البصر وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ". وقال (ص): " ما بعث الله نبياً إلا وله حوارى، فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله، يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره، حتى إذا قبض الله نبيه، مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنة نبيه، فإذا انقرضوا، كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون. فإذا رأيتم ذلك، فحق على كل مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وليس وراء ذلك إسلام "[4]4. وقال أمير المؤمنين (ع): " إن من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه، فقد سلم وبرئ ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العلى وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين "[5]5. وقال (ع) " فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة. ومنهم المنكر بقلبه، والتارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من

٣ [3]النساء، الآية: ١١٤، ١٣٥.

٤ [4]صححنا هذه النبويات الثلاثة على (إحياء العلوم): ٢/٢٧١، ٢٧٢.

٥ [5]صححنا الحديث على (المستدرک): كتاب الأمر بالمعروف، الباب ٣ وعلى (الوسائل): كتاب الأمر بالمعروف، الباب ٣. وكذا الحديث بعده، صححناه على (الوسائل) في الموضوع المذكور.

الثلاث وتمسك بواحدة. ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده، فذلك ميت الأحياء. وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر " وفي خبر جابر عن الباقر (ع): " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض وينتصف من الاعداء، ويستقيم الأمر. فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم. فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم:

" إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم [6]٦."

هنالك فجاهدوهم بأبدانكم، وابغضوهم بقلوبكم، غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالا، ولا مريرين لظلم ظفرأ، حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته [7]٧."

## فصل

### وجوب الأمر بالمعروف وشروطه

مقتضى الآيات والأخبار المذكورة، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا خلاف فيه أيضاً، إنما الخلاف في كون وجوبهما كفاثياً أو عينياً. والحق الأول، كما يأتي. ثم الواجب إنما هو الأمر بالواجب والنهي عن الحرام. وأما الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه فمندوب، وإنما يجب بشروط أربعة:

٦ [6]الشورى، الآية: ٤٢.

٧ [7] صححنا الحديث على (فروع الكافي): كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف.



الأول - العلم بكونهما معروفاً ومنكراً، ليأمن من الغلط، فلا يجبان في المتشابه، فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمة، وعدم جواز الاختلاف فيه من ضرورة الدين أو المذهب أو الاجماع القطعي النظري أو الكتاب والسنة أو من قول العلماء، فله أن يأمر وينهى ويحتسب به على كل أحد ومن لم يعلمها بالقطع، بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد أو التقليد وجوز الاختلاف فيه، فليس له الأمر والنهي والحسبة، إلا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد أو مقلد، أو لزم عليه أن يكون على هذا الاعتقاد وان لم يكن عليه بالفعل للجهل، كالمقلد، المطلق لمجتهد إذا لم يعلم بعض العقائد الاجتهادية لمجتهده، فيتأتى لغيره ان يحتسب به عليه. وحاصل ما ذكر: أن القطعيات الوفاقية تأتي لكل أحد أن يحتسب بها على كل أحد بعد علمها وغير القطعيات الجائر فيها الاختلاف والمرجح أحد طرفيها لاجتهاد لا يتأتى لمجتهده ومقلده فيها الاحتساب، أي الامر والنهي، إلا على من كان موافقاً في الاعتقاد أو يلزم أن يكون موافقاً.

الثاني - تجويز التأثير. فلو علم أو غلب على ظنه انه لا يؤثر فيه، لم يجب، لعدم الفائدة.

الثالث - القدرة والتمكن منه، وعدم تضمنه مفسدة. فلو ظن توجه الضرر إليه أو إلى أحد من المسلمين بسببه سقط، إذ لا ضرر ولا ضرار في الدين.

الرابع - أن يكون المأمور أو المنهي مصراً على الاستمرار. فلو ظهر منهما امارة الإقلاع سقط، للزوم العبث.

ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما يأتي. ويدل على اشتراط الثلاثة الأول ما روى: " انه سئل مولانا الصادق (ع): " ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجب على الامة جميعاً؟ فقال: لا. فقيل له: ولم؟ قال: انما هو على القوى المطاع، العالم بالمعروف من المنكر. لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلا إلى أي من أي يقول من الحق إلى الباطل. والدليل على ذلك من كتاب الله عز وجل، قوله:

" ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " [8] ٨.

فهذا خاص غير عام، كما قال الله عز وجل:

" ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون " [9]

ولم يقل على أمة موسى، ولا على كل قوم، وهم يومئذ امم مختلفة والامة واحد فصاعداً، كما قال الله عز وجل: (إن إبراهيم كان أمة فانتاً لله) يقول مطيعاً لله عز وجل. وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج، إذا كان لا قوة له ولا عذر ولا طاقة". وقال مسعدة " سمعت أبا عبد الله (ع) وسئل عن الحديث الذي جاء عن النبي (ص): (إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر) ما معناه - قال: " هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه وإلا فلا ". وفي خبر آخر: " إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم. فأما صاحب سوط أو سيف فلا ". وفي خبر آخر: " من تعرض لسلطان جائر واصابته بلية، لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر عليها " [10]. ومن الشرائط أن يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسس، فلا يجب، بل لا يجوز التجسس، كفتح الباب المغلق، ووضع الاذن والانف لاحتباس الصوت والريح، وطلب ارائة ما تحت الثوب وأمثال ذلك، لنص الكتاب والسنة.

## فصل

### عدم اشتراط العدالة فيه

لا تشترط فيه العدالة وائتمار الأمر بما يأمر به وانتهاء الناهي عما ينهى عنه، لا طلاق الأدلة، ولأن الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره أمران: تركه وانكاره، ولا يسقط بترك

٩ [9] آل عمران، الآية: ١٠٣.

١٠ [10] صححنا الأحاديث على (فروع الكافي): باب الأمر بالمعروف، وباب إنكار المنكر بالقلب. اسقط المؤلف من الحديث الأول قسماً فأكملناه.

أحدهما وجوب الآخر، كيف ولو شرط ذلك لا يقتضى عدم وجوب ذلك إلا على المعصوم، فينسد باب الحسبة بالكلية.

وأما الإنكار في قوله تعالى:

" أ تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " ١١ [11]. وقوله تعالى: " لم تقولون ما لا تفعلون \* كبر مقتاً عند الله أن تقولون ما لا تفعلون " ١٢ [12].

وما في حديث الاسرى من قرض مقاريضهم بالنار، فانما هو على عدم العمل بما يأمر به ويقول، لا على الأمر والقول. وكذلك ما روي: " أن الله تعالى أوحى إلى عيسى: عظ نفسك، فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني " ١٣ [13]. وقس على ذلك جميع ما ورد من هذا القبيل.

ما قيل إن هداية الغير فرع الاهتداء، وتقديم الغير فرع الاستقامة ففيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يكون بالوعظ وتارة بالقهر ومن لم يكن مهتدياً مستقيماً، تسقط عنه الحسبة بالوعظ، لعلم الناس بفسقه فلا يتضمن وعظه وكلامه فائدة، ولا يؤثر في العالم بفسقه، ولا يخرج ذلك وعظه وقوله عن الجواز، كما لا تخرج حسبته القهرية عن التأثير والفائدة أيضاً. إذ الفاسق إذا منع غيره قهراً عن الزنا واللواط وشرب الخمر، وارق الخمر، وكسر آلات الملاهي، حصل التأثير والفائدة بلا شبهة والحاصل: أن أحد نوعي الاحتساب - اعني الوعظي - يتوقف تأثيره على العدالة، وأما نوعه الآخر - اعني القهري - فلا يتوقف عليه مطلقاً.

١١ [11] البقرة، الآية: ٤٤.

١٢ [12] الصف، الآية: ٣-٢.

١٣ [13] صححنا الأحاديث كلها على (فروع الكافي): باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلى (الوسائل): كتاب الأمر بالمعروف. وعلى (المستدرک) ٢/٣٦٠، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فان قيل: إذا أتى رجل امرأة إكراهاً، وهي مستورة الوجه، فكشف وجهها باختيارها، فما اشنع وأقبح أن ينهاها الرجل في أثناء الزنا عن كشف وجهها، ويقول لها: أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير المحرم، وما أنا بمحرم لك، فاسترى وجهك.

قلنا: القبح والاستنكار إنما هو لأجل أنه ترك الإهم واشتغل بما هو الأهون، كما إذا ترك المشتبه وأكل الحرام، أو ترك الغيبة وشهد بالزور لا لأن هذا النهي هو حرام في نفسه، أو خرج عن الوجوب إلى الإباحة أو الكراهة. ولأن نهيه هذا خرج بفسقه عن التأثير والفائدة، فالاستنكار عليه وتقبيح نهيه عن هذا من حيث أنه نزل نفسه مقام من يؤثر قوله، مع أنه لا يؤثر، كما تقدم آنفاً.

ثم ما ذكرناه من عدم اشتراط العدالة في العمل بما يأمر به وينهى عنه إنما هو في آحاد الحسبة الصادرة من أفراد الرعية المطلعين على المنكر. وأما من نصب نفسه لاصلاح الناس ونصحهم، وبيان الاحكام الإلهية نيابة عن رسول الله (ص) والأئمة المعصومين (ع) فلا بد فيه من العدالة والتقوى والعلم بالكتاب والسنة، وغير ذلك من شرائط الاجتهاد. وعلى هذا يحصل جواب آخر عن الآيات والأخبار الواردة في الانكار على الواعظ غير المتعظ بتخصيصها به دون افراد الرعية. وعليه يحمل قول الصادق (ع) في (مصباح الشريعة) ١٤ [14]: " من لم ينسلخ عن هواجسه، ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها، ولم يهزم الشيطان، ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته، لا يصلح له الأمر المعروف والنهي عن المنكر، لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة، فكما أظهر أمراً كان حجة عليه، ولا ينتفع الناس به. وقال الله عز وجل:

" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " ١٥ [15].

ويقال له: يا خائن! أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخت عنه عنانك! " وكذا يحمل عليه

قول الصادق (ص) ١٦ [16]: " صاحب الأمر بالمعروف يحتاج إلى أن يكون عالماً بالحلال

١٤ [14] الباب ٦٤ وقد صححنا الحديث عليه وعلى (بحار الأنوار): ١١٤/٢١ باب الأمر بالمعروف. وعلى (مستدرک الوسائل): ٣٦٥-٣٦٢/٢.

والحرام، وفارغاً من خاصة نفسه مما يأمرهم به وينهاهم عنه، ناصحاً للخلق، رحيماً لهم، رقيقاً بهم، داعياً لهم باللطف وحسن البيان، عارفاً بتفاوت اخلاقهم لينزل كلا منزلته، بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان، صابراً على ما يلحقه، لا يكافيهم بها ولا يشكو منهم، ولا يستعمل الحمية ولا يغلظ لنفسه، مجرداً نيته لله، مستعيناً به ومبتغياً لوجهه، فان خالفوه وجفوه صبر، وإن وافقوه وقبلوا منه شكر، مفوضاً أمره إلى الله، ناظراً إلى عيبه " .

(تنبيه) اعلم أن المحتسب عليه - أعني من يؤمر به أو ينهى عنه - وان شترط كونه عاقلاً بالغاً، إلا أن هذا الشرط إنما هو في غالب الأوامر والنواهي، وبعضها لا يشترط فيه ذلك. إذ من رأى صبيّاً أو مجنوناً يشرب الخمر، وجب عليه أن يمنعه ويريق خمره. وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة، فعليه أن يمنعه منه، ولا يلزم منه أن يكون منع بهيمة عن افساد زرع إنسان حسبة ونهياً عن منكر، إذ لا يصدق اسم المحتسب عليه والمنهي إلا على من كان الفعل الممنوع عنه في حقه منكراً، وهو لا يكون إلا الإنسان دون سائر الحيوانات.

## فصل

### مراتب الأمر بالمعروف

اعلم أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب:

الأولى - الإنكار بالقلب: بأن يبغضه على ارتكاب المعصية. وهذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهى، ولا يشترط بالشرطين الأخيرين.

الثانية - التعريف: بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصية، فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بأنه معصية، ولو عرف كونه معصية تركه.

الثالثة - إظهار الكراهة والإعراض والمهاجرة.

الرابعة - الإنكار باللسان: بالوعظ، والنصح، والتخويف، والزجر، مرتباً الأيسر فالأيسر، إلى أن يصل إلى التعنيف بالقول والتغليظ في الكلام. كقوله: يا جاهل! يا أحمق! لا تخالف ربك! وههنا شبكة عظيمة للشيطان، ربما يصطاد بها أكثر الوعاظ. فينبغي لكل عالم ناصح أن يراها بنور البصيرة، وهي أن يحضره عند الوعظ والإرشاد، ويلقى في قلبه تعززه وشرافته بالعلم، وذلة من يعظه بالجهل والخسة. فربما يقصد بالتعريف والوعظ الإذلال والتجهيل، وإظهار شرف نفسه بالعلم، وهذه آفة عظيمة تتضمن كبراً ورياء. وينبغي لكل واعظ دين ألا يغفل عن ذلك، ويعرف بنور بصيرته عيوب نفسه وقبح سريرته. وعلامة براءة نفسه من هذه الآفة، أن يكون اتعاض ذلك العاصي بوعظ غيره أو امتناعه من المعصية بنفسه أحب إليه من إتعاظه بوعظه.

الخامسة - المنع بالقهر مباشرة، ككسر آلات اللهو، وارقة الخمر واستلاب الثوب المغصوب منه ورده إلى صاحبه، وأمثال ذلك.

السادسة - التهديد والتخويف: كقوله: دع عنك هذا، وإلا ضربتك أو كسرت رأسك! أو غير ذلك مما يجوز له أن يفعل لو لم ينته عن معصيته. ولا يجوز أن يهدده بما لا يجوز فعله، كقوله: دع هذا وإلا أضرب عنقك! أو أضرب ولدك، أو استبين زوجتك، وأمثال ذلك.

السابعة - مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك، من دون ان ينتهي إلى شهر سلاح وجراح.

الثامنة - الجرح بشهر بعض الأسلحة. وجوزه سيدنا المرتضى (ره) من اصحابنا وجماعة، والباقون اشترطوا إذن الإمام في ذلك، إذ ربما لا يقدر عليه بنفسه، ويحتاج فيه إلى أعوان وانصار يشهرون السلاح، وربما يستمد الفاسق أيضاً باعوانه، فيؤدي إلى المقاتلة والمحاربة وحدوث فتنة عظيمة.

## فصل

معنى وجوبهما كفايئاً

إذا اجتمعت الشرائط، وكان المطلع منفرداً، تعين عليه. وإن كان ثمة غيره، وشرع أحدهما في الأمر والنهي، فإن ظن الآخر ان لمشاركته اثرأ في تعجيل ترتب الأثر ورسوخ الانزجار، وجب عليه أيضاً، وإلا فلا. لأن الغرض وقوع المعروف وارتفاع المنكر، فمتى حصل بفعل واحد، كان السعي من الآخر عبثاً. وهذا معنى كون وجوبهما كفايئاً.

## فصل

### ما ينبغي في الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر

ينبغي لكل من الأمر المعروف والناهي عن المنكر أن يكون حسن الخلق، صابراً حليماً قوياً في نفسه، لئلا ينزعج، ولا يضطرب إذا قيل في حقه ما لا يليق به. فإن أكثر الناس اتباع الهوى، فإذا نهوا عما يميلون إليه شق ذلك عليهم، وربما اطلقوا ألسنتهم في حق الناهي، ويقولون فيه ما لا يليق بشأنه، وربما تجاوزوا إلى سوء الأدب قولاً وفعلاً بالمشافهة.

وأن يكون رقيقاً بالناس، فإن الوعظ بالرفق والملاءمة أوقع وأشد تأثيراً في قلوب أكثر الناس. وأن يكون قاطعاً للطمع عن الناس، فإن الطامع من الناس في أموالهم أو اطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبة، ولذا نقل: " أن بعض المشايخ كان له سنور، وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من القد لسنوره، فرأى على القصاب منكراً، فدخل الدار أولاً، واخرج السنور، ثم جاء ووعظ القصاب وشدد عليه القول، فقال القصاب لا يأكل سنورك شيئاً بعد ذلك، فقال: ما احتسبت عليك إلا بعد اخراج السنور وقطع الطمع عنك! "

## تتميم

### أنواع المنكرات

علم أن المنكرات إما محظورة أو مكروهة، والمألوفة منها في العادات أكثر من أن تحصى.

فمنها - ما يكون غالباً في المساجد: كإساءة الصلاة، والاخلال ببعض أفعالها، والتأخير عن أوقاتها، وادخال النجاسة فيها، والتكلم فيها بأمور الدنيا والبيع والشراء، ودخول الصبيان والمجانين فيها مع اشتغالهم باللغو واللعب، وقراءة القرآن فيها باللحن أو الغناء، ودخول النسوان فيها مع ظن تطرق الريبة، ونظر الأجانب إليهن أو نظرنهن إليهم، ودخول الجنب أو الحائض فيها، وتغني المؤذنين بالأذان أو غيره مما يقرؤن، وتقديمهم الأذان على الوقت، ووعظ من لا ينبغي أن يتمكن من الموعظة كمن يكذب في حديثه أو يفتي بالمسائل وليس أهلاً لها، أو يظهر من وعظه كونه مرئياً طالباً للجاه، وأمثال ذلك. فان كل ذلك من المنكرات بعضها محظورة وبعضها مكروهة، وينبغي لكل مطلع ان ينهى عنها.

ومنها - ما يكون غالباً في الأسواق: من الكذب في المحاولات والمعاملات و إخفاء العيب، والإيمان الكاذبة، والمنازعة بالضرب والشتم والطعن واللعن وأمثال ذلك، والتبخس في الكيل والميزان، والمعاملات الفاسدة باقسامها على ما هو مقرر في الفقهيات.

ومنها - ما يكون في الشوارع: كوضع الاساطين، وبناء الدكاك متصلة بالابنية المملوكة، وتضييق الطرق على المارة بوضع الاطعمة والاحطاب وربط الدواب فيها، وسوق الدواب فيها وعليها الاشواك والنجاسات - إذا تأذى الناس منها وامكن العدول بها إلى موضع واسع، وإن لم يكن فلا منع، إذ حاجة أهل البلد ربما تمس إلى ذلك - وتحميل الدواب مالا يطيقها من الحمل، وذبح القصاب على الطريق أو على باب دكانه بحيث تلوث الطريق بالدم، وطرح الكناسة على جواد الطريق، ورش الماء على الطرق بحيث يخشى منه الزلق والسقوط، وارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط إلى الطرق الضيقة، وغير ذلك. وقس على ذلك منكرات الحمامات، والخانات، والاسواق، ومجالس العامة، ومجامع القضاة ومدارس الفقهاء، ورباطات الصوفية، ودواوين السلاطين، وغيرها. فان أمثال ما ذكر من المنكرات بجب أن ينهى عنها، فلو قام بالاحتساب والنهي عنها أحد سقط الحرج على البواقي، وإلا عم الحرج أهل البلد جميعاً. وأمثال ما ذكر إنما هو من المنكرات اليسيرة الجزئية.



وأما المنكرات العظيمة: من البدعة في الدين، والقتل، والظلم، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، وأنواع الغناء، والنظر إلى غير المحارم وأكل الحرام، والصلاة في الأماكن المغصوبة، والوضوء والغسل من المياه المحرمة، والتصرف في أموال الأوقاف وغصبها، والمعاملة مع الظالمين والجهل في الأصول الاعتقادية والفروع الواجبة، وآفات اللسان، فلا يمكن حصرها لكثرتها، لاسيما في أمثال زماننا. فلو أمكن لمؤمن دين أن يغير هذه المنكرات كلا أو بعضاً بالاحتساب، فليس له أن يقعد في بيته، بل يجب عليه الخروج للنهي والتعليم. بل ينبغي لكل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الطاعات وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهله وأقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم أهل بلده، ثم أهل السواد المكتنف بلده، ثم إلى غيرهم، وهكذا الأقرب فالأقرب إلى أقصى العالم. فان قام به الأدنى سقط عن الأبعد، وإلا لزم الحرج على كل قادر عليه، قريباً كان أو بعيداً. ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فريضة. وهذا شغل شاغل لمن يهمله أمر دينه يشغله عن سائر المشاغل. إلا أن إعراض الناس عن أمور دينهم في عصرنا لم يبلغ حدّاً يقبل الإصلاح، إلى ان تتعلق به مشيئة الله، فينهض بعض عباده السعداء الأقوياء، فيدفع هذه الوصمة، ويسد هذه الثلمة، ويتلافى هذه الفترة.

ومنها:

### الهجرة والتباعد

ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحقد، أو الحسد أو البخل فيكون من رذائل قوة الغضب أو الشهوة. وهو من ذمائم الأفعال. قال رسول الله (ص): "أبما مسلمين تهاجرأ، فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان، إلا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية. فأيهما سبق الكلام لأخيه، كان السابق إلى الجنة يوم الحساب". وقال (ص): "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث..". وقال الصادق (ع): "لا يفترق رجلان على الهجران، إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما". فقال له معتب: جعلني الله فداك! هذا للظالم، فما بال المظلوم؟! قال: "لأنه لا يدعو

أخاه إلى صلته، ولا يتعامس له عن كلامه. سمعت أبي (ع) يقول: إذا تنازع اثنان، فعاد أحدهما الآخر، فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي، انا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فان الله تبارك وتعالى حكم عدل، يأخذ للمظلوم من الظالم ". وقال (ع): " لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكت ركبته وتخلعت أوصاله، ونادى: ياويله! ما لقي من الثبور " وقال الباقر (ع): " إن الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه، فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدد، ثم قال: فزت. فرحم الله امرأ ألف بين وليين لنا. يا معشر المؤمنين، تألفوا وتعاطفوا " [17] ١٧. والأخبار الواردة في ذم الهجرة والتباعد كثيرة.

فيجب على كل طالب لنجاة الآخرة أن يتأمل في أمثال هذه الأخبار ثم يتذكر ثواب ضد ذلك وفوائده، أعني التآلف والتزاور بين الإخوان بنفسه، فيحافظ نفسه من حصول الانقطاع والتباعد مع أحد إخوانه، ولو حصل ذلك كلف نفسه المبادرة إلى زيارته وتآلفه، حتى يغلب على الشيطان ونفسه الأمارة، ويفوز بما يرجوه المتقون من عظيم الأجر وجزيل الثواب.

التزاور والتآلف  
قطع الرحم  
صلة الرحم  
المراد بالرحم  
عقوق الوالدين  
بر الوالدين

## فصل

### التزاور والتآلف

قد اشير إلى أن ضد التباعد والهجران هو التزاور والتآلف، وهو من ثمرات النصيحة والمحبة، وثوابه اكثر من أن يحصى. عن أبي جعفر (ع): " قال رسول الله (ص): حدثني جبرائيل (ع): أن الله عز وجل أهبط إلى الأرض ملكا، فاقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار، فقال له الملك: ما حاجتك إلى رب هذه الدار؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى. فقال له الملك: ما جاء بك إلا ذاك؟ فقال: ما جاء بي إلا ذلك. قال: فاني رسول الله إليك، وهو يقرئك السلام، ويقول وجبت لك الجنة. وقال الملك: إن الله عز وجل يقول: أيما مسلم زار مسلماً فليس إياه زار، بل إياي زار، وثوابه علي الجنة ". وقال أمير المؤمنين (ع): " لقاء الإخوان مغنم جسيم، وإن قلوا ".

وقال أبو جعفر الباقر (ع): " إن الله عز وجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة: رجل حكم على نفسه بالحق، ورجل زار أخاه المؤمن في الله ورجل أثار المؤمن في الله ". وقال (ع): " إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره، فيوكل الله عز وجل به ملكا، فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله، فإذا دخل إلى منزله، ناداه الجبار تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحقي، المتبع لأثار نبيي، حق علي إعظامك، سلني اعطك، أدعني أجبك، اسكت ابتدئك. فإذا انصرف شيعة الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله، ثم يناديه تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحقي، حق علي إكرامك،

قد أوجبت لك جنتي، وشفعتك في عبادي". وقال (ع): "أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عن سيئته، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا، أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبيدي تزاورا وتحابا في، حق علي ألا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف. فإذا انصرف شيعه ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه، يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما اعفي من الحساب، وإن كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره".

وقال الصادق (ع): "من زار أخاه الله لا لغيره، التماس موعد الله وتنجز ما عند الله، وكل الله به سبعين ألف ملك ينادونه ألا طببت وطابت لك الجنة!". وقال (ع): "من زار أخاه في الله قال الله عز وجل: إياي زرت، وثوابك علي، ولست أَرْضَى لك ثواباً دون الجنة". وقال (ع): "من زار أخاه في الله في مرض أو صحة، لا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً، وكل الله به سبعين ألف ملك، ينادون في قفاه: أن طببت وطابت لك الجنة! فانتم زوار الله، وأنتم وفد الرحمن، حتى يأتي منزله"، فقال له بشير: جعلت فداك! فان كان المكان بعيداً؟ قال: "نعم يا بشير! وإن كان المكان مسيرة سنة، فان الله جواد، والملائكة كثير، يشيعونه حتى يرجع إلى منزله". وقال (ع): "من زار أخاه في الله تعالى والله، جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي من نور [1]، لا يمر بشيء إلا أضاء له حتى يقف بين يدي الله عز وجل، فيقول الله له: مرحباً! وإذا قال مرحباً، اجزل الله عز وجل له العطية". وقال (ع): "لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات، ومن أعتق رقبة مؤمنة وقي بكل عضو عضواً من النار، حتى أن الفرج يقي الفرج". وقال (ع) لأبي خديجة: "كم بينك وبين البصرة؟" قال: في الماء خمس إذا طببت الريح، وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك، فقال: "ما أقرب هذا، تزاوروا وتعاهدوا بعضكم بعضاً، فانه لا بد يوم القيامة يأتي كل إنسان يشاهد شهد له على دينه". وقال: "إن

المسلم إذا رأى أخاه، كان حياة لدينه إذا ذكر الله " وقال رسول الله (ص): " مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، ما لقي المؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً".  
والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة. والسر في هذا الترغيب الشديد على تزاور المؤمنين وملاقاتهم، كونه دافعاً للحسد والعداوة، جالباً للتأليف والمحبة. وهو أعظم ما يصلح به أمر دنياهم وعقباهم. ولذا ورد الثناء والمدح في الآيات والأخبار على نفس الألفة وانقطاع الوحشة، لا سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين. وورد الذم في التفرقة والتوحش، قال الله سبحانه في مقام الامتنان على المؤمن بنعمة الألفة:

" لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم " [2] وقال: " فأصبحتم بنعمته إخواناً ": أي بنعمة الألفة. وقال سبحانه: " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " [3].

وقال رسول الله (ص): " المؤمن إلف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف ". وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمصافحة والمعانقة. قال رسول الله (ص): " أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام ". وقال أمير المؤمنين (ع): " لا تغضبوا ولا تقبضوا، افشوا السلام، واطيبوا الكلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ". وقال الباقر (ع): " إن الله يحب إفشاء السلام ". وقال (ع): " من التواضع أن تسلم على من لقيت ". وقال الصادق (ع): " تصافحوا، فانها تذهب بالسخيمة ". وقال: " مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة ". وقال الباقر (ع): " إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا. ادخل الله تعالى يده بين أيديهما، وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه. فإذا أقبل الله تعالى بوجهه عليهما، تحانت عنهما الذنوب كما تتحانت الورق من الشجر ". وقال رسول الله (ص): " إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم وليصافحه، فان الله تعالى أكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة ". وقال الصادق (ع): " إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتاهما

٢ [2] الأنفال، الآية: ٦٣.

٢ [3] آل عمران، الآية: ١٠٣.

الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: مغفوراً لكما فاستأنفا، فإذا اقبلا على الماء، قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحوا عنهما، فإن لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما " [4].

ومنها:

### قطع الرحم

وهو إيذاء ذوى اللحمة والقرابة، أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية والثروة والخيرات الدنيوية، مع احتياجهم إليه. وباعثه إما العداوة أو البخل والخسة، فهو من رذائل القوة الغضبية أو الشهوية، ولا ريب في كونه من أعظم المهلكات المفسدة للدنيا والدين، قال الله سبحانه.

" والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار " [5].

وقال رسول الله (ص): " أبغض الأعمال إلى الله الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم، ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف " وقال (ص): " لا تقطع رحمك وإن قطعتك ". وقال تعالى: " أنا الرحمن، وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ". وقال (ص): " حافظنا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فإذا مر الوصول للرحم المؤدى للأمانة نفذ إلى الجنة، وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعهما معه عمل [6] وتكفأ به الصراط في النار ". وقال أمير المؤمنين (ع) في خطبة " أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء "، فقام إليه عبدالله بن الكوي

٤ [4] صححنا الأحاديث كلها على (الكافي): باب زيارة الإخوان، وباب المصافحة، وباب المعانقة وعلى (سفينة البحار): ٥٦٧/١.

٥ [5] الرعد، الآية: ٢٧.

٦ [6] قال في (الوافي): لم ينفعهما معه عمل، أي لم ينفع الخائن ولا القطوع مع الخيانة أو القطع عمل وفي نسخة من (الكافي): لم ينفعه معهما.

اليشكري، فقال: يا أمير المؤمنين، أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال " نعم، ويلك! قطيعة الرحم. إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله، وإن أهل البيت ليتفارقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء ". وقال (ع): " إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار ". وقال الباقر (ع): " في كتاب علي - صلوات الله عليه -: ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها. وإن اعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم. وإن القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون. وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتندران الديار بلاقع من أهلها. وتنقل الرحم، وإن نقل الرحم انقطاع النسل ". وقال (ع): " اتقوا الحالقة<sup>٧</sup>[7]، فإنها تميت الرجال "، قيل: وما الحالقة؟ قال: " قطيعة الرحم ". وجاء رجل إليه، فشكى أقاربه فقال له: " اكظم وافعل "، فقال: انهم يفعلون ويفعلون، فقال: " أتريد أن تكون مثلهم فلا ينظر الله اليكم؟ "[8]٨. وكتب أمير المؤمنين (ع) إلى بعض عماله: " مروا الاقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا "[9]٩، وذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق، وذلك ربما يورث التحاسد والتباغض وقطيعة الرحم، كما هو مشاهد في أكثر أبناء عصرنا، وليس الخبر كالمعاينة، وإذا لم يتجاوروا وتزاحمت<sup>١٠</sup>[10] ديارهم كان أقرب إلى التحابب، كما قيل بالفارسية: " دورى ودوستي "[11]١١.

٧ [7] قال في (مجمع البحرين) - مادة حلق -: " وفي الحديث: اتقوا الحالقة قال بعض الشارحين: الحالقة هي الخصلة التي من شأنها ان تحلق، أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسيقى الشعر ".

٨ [8] صححنا الأحاديث كلها على (أصول الكافي): باب قطيعة الرحم، وباب صلة الرحم.

٩ [9] لم نعثر على مصدر لهذا الحديث.

١٠ [10] كذا في النسخ، والظاهر ان الصحيح " وتباعدت ".

١١ [11] يعني: التباعد معه التحابب.

## فصل

### ضد قطيعة الرحم: صلة الرحم

وهو تشريك ذوي اللحمة والقربان بما ناله من المال والجاه وسائر خيرات الدنيا، وهو أعظم القربان وأفضل الطاعات، قال الله سبحانه:

" وابدوا لله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذوي القربى واليتامى... " ١٢ [12]. وقال:  
" واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً " ١٣ [13]. وقال: " الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب - إلى قوله - أولئك لهم عقبى الدار " ١٤ [14].

وقال رسول الله (ص): " أوصي الشاهد من امتي والغائب، ومن في أصلاب الرجال وارجام النساء، إلى يوم القيامة: ان يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فان ذلك من الدين ". وقال (ص): " إن اعجل الخير ثواباً صلة الرحم ". وقال: " من سره النساء في الأجل، والزيادة في الرزق، فليصل رحمه ". وقال (ص): " إن القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم، فتتم أعمالهم وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا ابراراً بررة ". وقال (ص): " الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر، وصلة الاخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين " وقيل له (ص): " أي الناس أفضل؟ فقال: اتقاهم لله، وأوصلهم للرحم، وأمرهم بالمعروف، وانهاهم عن المنكر ". وقال (ص): " إن أهل البيت ليكونون فجاراً، تنمى أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا ارحامهم ". وقال (ص): " أفضل الفضائل: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن

١٢ [12] النساء، الآية: ٣٦.

١٣ [13] النساء، الآية: ١.

١٤ [14] الرعد، الآية: ٢١، ٢٢.



ظلمك". وقال (ص): " من سره أن يمد الله عمره، وأن يبسط في رزقه، فليصل رحمه. فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق، تقول: يا رب، صل من وصلني، واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير حتى إذا أتته الرحم التي قطعها، فتهوى به إلى أسفل قعر في النار".

وقال أمير المؤمنين (ع): " صلوا أرحامكم ولو بالتسليم يقول الله تعالى: اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً". وقال الباقر (ع): " إن الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش، تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني". هذا تمثيل للمعقول بالمحسوس، وأثبت لحق الرحم على أبلغ وجه، وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبة حقها بمشهد من الله. وقال (ع): " صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق وتنسيء في الأجل". وقال: " صلة الأرحام تزكى الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسيء في الأجل". وقال الصادق (ع): " صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم وبروا باخوانكم، ولو بحسن السلام ورد الجواب". وقال (ع): " صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة، وهي منسأة في العمر، وتقي مصارع السوء". وقال (ع): " صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار". وقال (ع): " ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين، فيكون وصولاً للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة. ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم، فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة، ويجعل أجله ثلاث سنين" [15] ١٥. والأخبار الواردة في فضيلة صلة الرحم وعظم مثوباته أكثر من أن تحصى، وما ذكرناه كاف لتنبه الغافل.

### تنبيه

### المراد بالرحم

المراد بالرحم الذي يحرم قطعه وتجب صلته، ولو وهب له شيء لا يجوز الرجوع عنه، هو مطلق القريب المعروف بالنسب، وإن بعدت النسبة وجاز النكاح. والمراد بقطعه أن يؤذيه بالقول أو الفعل، أو كان له شدة احتياج إلى ما يقدر عليه زيادة على قدر حاجته، من سكنى وملبوس ومأكل فيمنعه، أو أمكنه أن يدفع عنه ظلم ظالم ولم يفعله، أو هاجره غيظاً وحقداً من دون أن يعود إذا مرض، أو يزوره إذا قدم من سفر وأمثال ذلك. فان جميع ذلك وأمثالها قطع للرحم. واضدادها من دفع الأذية، ومواساته بماله، وزيارته، واعانته باللسان واليد والرجل والجاه وغير ذلك: صلة. ثم الظاهر تحقق الوساطة بين القطع والصلة، إذ كل احسان، ولو كان مما لا يحتاج إليه قريبه وهو محتاج إليه، يسمى صلة، وعدمه لا يسمى قطعاً.

ومنها:

### عقوق الوالدين

وهو أشد أنواع قطيعة الرحم، إذ أخص الأرحام وأمسها ما كان بالولادة، فيتضاعف تأكد الحق فيهما، فهو كقطيعة الرحم، إما يكون ناشئاً من الحقد والغیظ، أو من البخل وحب الدنيا، فيكون من رذائل احدى قوتي الغضب والشهوة. ثم جميع ما يدل على ذم قطيعة الرحم يدل على ذم العقوق، ولكونه أشد أنواع القطيعة وأفظعها، وردت في خصوص ذمه آيات وأخبار أخر كثيرة، كقوله تعالى:

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً " ١٦ [16].

وقول رسول الله (ص): " كن باراً واقصر على الجنة، وإن كنت عاقاً فاقصر على النار ". وعن أبي جعفر (ع) قال: " قال رسول الله (ص) في كلام له: إياكم وعقوق الوالدين، فان ریح الجنة

توجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء.  
إنما الكبرياء لله رب العالمين". وقوله (ص): " من أصبح مسخطاً لأبويه، أصبح له بابان مفتوحان  
إلى النار ". وعن أبي جعفر (ع) قال: " ان أبي (ع) نظر إلى رجل ومعه ابنه يمشى والابن متكئ  
على ذراع الأب، فما كلمه أبي مقتناً له حتى فارق الدنيا ". وقال الصادق (ع): من نظر إلى أبويه  
نظر ماقت، وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة ". وقال الصادق (ع): " إذا كان يوم القيامة،  
كشفت غطاء من أعطية الجنة، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام، إلا صنفاً  
واحداً "، فقيل له: من هم؟ قال: " العاق لوالديه ". وقال (ع): " لو علم الله شيئاً هو أدنى من اف  
لنهى عنه، وهو أدنى العقوق. ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما " [17] ١٧  
وسئل الكاظم (ع) عن الرجل يقول لبعض ولده: بأبي أنت وأمّي! أو بأبوي أنت! أترى بذلك بأساً؟  
فقال: " إن كان ابواه حيين فأرى ذلك عقوقاً، وإن كانا قد ماتا فلا بأس ".

والأخبار في ذم العقوق أكثر من أن تحصى، وورد في بعض الأخبار القدسية: " بعزتي وجلالي  
وارتفاع مكاني! لو أن العاق لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعاً لم أقبلها منه ". وروى أيضاً: " أن  
أول ما كتب الله في اللوح المحفوظ: إني أنا الله لا اله إلا أنا، من رضي عنه والداه فانا منه راض،  
ومن سخط عليه والداه فانا عليه ساخط ". وقد ورد عن رسول الله انه قال: " كل المسلمين يروني  
يوم القيامة، إلا عاق الوالدين، وشارب الخمر، ومن سمع اسمي ولم يصل علي ". وقد ثبت من  
الأخبار والتجربة، أن دعاء الوالد على ولده لا يرد ويستجاب ألبته. ودلت الأخبار على أن من لا  
ترضى عنه امه تشتد عليه سكرات الموات وعذاب القبر. وكفى للعقوق ذماً أنه ورد في  
الاسرائيليات: " أنه تعالى أوحى إلى موسى: أن من بر والديه وعني كتبته برأ، ومن برني وعق  
والديه كتبته عاقاً ".

## فصل

١٧ [17] صححنا الأحاديث كلها على (أصول الكافي): باب العقوق، وعلى (مستدرک  
الوسائل): ٦٣١/٢ كتاب النكاح. وعلى (الوسائل): كتاب النكاح.

## بر الوالدين

ضد العقوق (بر الوالدين) والإحسان إليهما، وهو أفضل القربات وأشرف السعادات. ولذلك ورد ما ورد من الحث عليه، والترغيب إليه قال الله سبحانه:

" واخلض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً " [18] ١٨. وقال: " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً " [19] ١٩.

وقال رسول الله (ص): " بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله ". وقال (ص): " من أصبح مرضياً لأبويه، أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ". وعن أبي عبدالله (ع) قال: " إن رجلاً أتى إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله أوصني. فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرهما حين كانا أو ميتين وإن أمراك، أن تخرج من أهلك ومالك فافعل فان ذلك من الإيمان ". وعن أبي عبدالله (ع) قال: " جاء رجل وسأل النبي (ص) عن بر الوالدين. فقال: ابرر أمك، ابرر أمك ابرر أباك ابرر أباك ابرر أباك وبدأ بالأُم قبل الأب ". وعن أبي عبدالله (ع) قال: " جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، من أبر؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: أمك. قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أباك " واتاه رجل آخر وقال: " إني رجل شاب نشيط، وأحب الجهاد، ولي والدة تكره ذلك. فقال له النبي (ص) ارجع فكن مع والدتك، فوالذي بعثني بالحق! لأنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة ". وقال أبو عبدالله (ع): " ان رسول الله (ص) أتته أخت له من الرضاعة، فلما نظر إليها سر بها، وبسط ملحفته لها، فاجلسها عليها، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت فذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله، صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل، فقال: لأنها كانت أبر بوالديها منه ".

١٨ [18] بني إسرائيل، الآية: ٢٤.

١٩ [19] النساء، الآية: ٣٦.

وقيل للصادق (ع): " أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله ". وقال له (ع) رجل: " إن أبي قد كبر جداً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة فقال: إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقمه بيديك، فانه جنة لك غداً ". وقال له (ع) رجل: " إن لي أبوين مخالفين. فقال برهما كما تير المسلمين ممن يتولانا ". وقال رجل للرضا (ع) " أدعو لوالدي إذا كانا لا يعرفان الحق؟ قال: ادع لهما وتصدق عنهما، وان كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما، فان رسول الله (ص) قال: إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوب ". وقد وردت أخبار اخر في الأمر بالبر والإحسان إلى الوالدين وإن كان على خلاف الحق وقال (ع): " ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين ويصلى عنهما، ويتصدق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيراً كثيراً " [20] ٢٠.

والأخبار في ثواب بر الوالدين غير محصورة. فينبغي لكل مؤمن أن يكون شديد الاهتمام في تكريمهما وتعظيمهما واحترامهما، ولا يقصر في خدمتهما، ويحسن صحبتتهما، وألا يتركهما حتى يسألاه شيئاً مما يحتاجان إليه بل يبادر إلى الاعطاء قبل أن يفتقرا إلى السؤال، كما ورد في الأخبار، وإن أضرراه فلا يقل لهما أف، وان ضرباه لا يعبس وجهه، وقال: غفر الله لكما، ولا يملأ عينيه من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يده فوق ايديهما، ولا يتقدم قدامهما، بل مهما أمكن له لا يجلس عندهما، وكلما بالغ في التذلل والتخضع كان أجره أزيد وثوابه اعظم.

وبالجملة: اطاعتها واجبة وطلب رضاها حتم، فليس للولد أن يرتكب شيئاً من المباحات والمستحبات بدون اذنها، ولذا أفتى العلماء بانه لا تجوز المسافرة في طلب العلم إلا باذنها، إلا إذا كان في طلب علم الفرائض من الصلاة والصوم واصول العقائد، ولم يكن في بلده من يعلمه، ولو كان في بلده من يعلمه لم تجز المسافرة. وقد روى: " أن رجلاً هاجر من اليمن إلى رسول الله

٢٠ [20] صححنا الأحاديث كلها على (أصول الكافي): باب بر الوالدين وعلى (الوسائل): كتاب النكاح أبواب احكام العشرة، باب وجوب بر الوالدين، وباب وجوب بر الوالدين برين كانا أو فاجرين، وباب جملة من حقوق الوالدين وعلى (المستدرک) ٦٢٨/٢ كتاب النكاح.

(ص) وأراد الجهاد، فقال له: ارجع إلى ابويك فاستأذنيهما، فان اذنا فجاهد، ولا فبرهما ما استطعت، فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد " وجاء آخر إليه للجهاد، فقال " ألك والد؟ " قال: نعم! قال: "فالزمها، فان الجنة تحت قدمها " وجاء آخر، وطلب البيعة على الهجرة إلى الجهاد، وقال: ما جئتك حتى ابكيت والدي. قال: " ارجع إليهما، فأضحكهما كما ابكيتهما ". ولو وقعت بين الوالدين مخالفة، بحيث توقف رضى أحدهما على سخط الآخر فينبغي أن يجتهد في الإصلاح بينهما بأي طريق امكن، ولو بالعرض إلى فقيه البلد حتى يطلبهما ويعظهما ويقيمهما على الوفاق، لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه.

واعلم أن حق كبير الاخوة على صغيرهم عظيم، فينبغي محافظته. قال رسول الله (ص): " حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده ".

---

حق الجوار  
حدود الجوار وحقه  
طلب العثرات  
ستر العيوب  
افشاء السر  
كتمان السر  
النميمة  
السعاية  
الافساد بين الناس  
الاصلاح  
الشماتة  
المراء والجدال والخصومة

## تذنيب

### حق الجوار

حق الجوار قريب من حق الرحم، إذ الجوار يقتضي حقاً وراء ما تقتضيه اخوة الإسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة فمن قصر في حقه عداوة أو بخلا فهو آثم. قال رسول الله (ص): " الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق الإسلام، وحق القرابة. ومنهم من له حقان: حق الإسلام، وحق الجوار، ومنهم من له حق واحد: الكافر له حق الجوار ". فانظر كيف اثبت للكافر حق الجوار. وقال (ص): " احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً ". وقال (ص): " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره ". وقال (ص): " لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوائقة ". وقيل له (ص): " فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق، وتؤذي جارها بلسانها. فقال (ص): لا خير فيها، هي من أهل النار ". وعن علي (ع): " إن رسول الله (ص) كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه " وقال الصادق (ع): " حسن الجوار زيادة في الاعمار وعماراة في الديار ". وقال (ع): " ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره ". وقال (ع): " قال رسول الله (ص): ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع ". وقال: " إن يعقوب (ع) لما ذهب عنه بنيامين، نادى: يا رب أما ترحمني، اذهب عيني واذهبت ابني؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: لو كنت

امتھما لأحبيتهما لك، اجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت، وفلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً". وفي رواية أخرى: "فكان بعد ذلك يعقوب ينادي مناديه كل غداة ومساء من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت إلى يعقوب!" [1]. وفي بعض الأخبار [2]. "أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة، ويقول: سل يا رب هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني؟".

### تتميم

#### حدود الجوار وحقه

معرفة الجوار موكولة إلى العرف، فأى دار يطلق عليها الجار عرفاً يلزم مراعاة حقوق أهلها. والمستفاد من بعض الأخبار: أن كل أربعين داراً من كل واحد من الجوانب الأربعة جيران. ثم لا ينحصر حق الجار في مجرد كف الأذى، إذ ذلك يستحقه كل أحد، بل لابد من الرفق وإهداء الخير والمعروف، وتشريكه فيما يملكه ويحتاج إليه من المطاعم، كما ظهر من بعض الأخبار المتقدمة. وينبغي أن يبداً بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويصفح عن زلاته، ويستتر ما اطلع عليه من عورات، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في صب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فناءه، ولا في المرور عن طريقه، ولا يمنعه ما يحتاج إليه من الماعون، ويغض بصره عن حرمه، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ويتلطف لأولاده في كلمته، ويرشده إلى ما يصلحه من أمر دينه ودنياه، وإن استعان به في أمر أعانه، وإن استقرضه أقرضه، ولا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح إلا بأذنه، وإذا اشترى شيئاً من لذائذ المطاعم وظرفها فيهد له، وإن

١ [1] صححنا الأحاديث هنا على (اصول الكافي): باب حسن الجوار وعلى (المستدرک): ٧٩ و ٧٨/٢ وعلى (الوسائل): كتاب الحج، أبواب احكام العشرة، الباب ٨٥ - ٨٨.

٢ [2] هذا كلام ذكره في (إحياء العلوم): ١٨٩/٢ بعد قوله: " إذ يقال "



لم يفعل فليدخلها بيته سراً، ولا يخرج بها أولاده حتى يطلع عليها بعض أولاد جاره، فيشتهيه وينكسر لذلك خاطره.

ومنها:

### طلب العثرات

وتجسس العيوب والعورات وإظهارها. ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحسد، وربما حدث في القوة الشهوية رداءة توجب الاهتزاز والانبساط، من ظهور عيب بعض المسلمين، وإن لم يكن عداوة وحقداً كما قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

ومن تصفح الآيات والأخبار، يعلم أن من يتبع عيوب المسلمين ويظهرها بين الناس اسوأ الناس واخبثهم، قال الله تعالى:

" ولا تجسسوا "[3] وقال: " إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم "[4].

وقال رسول الله (ص): " من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن غير مؤمناً بشيء، لم يمت حتى يرتكبه ". وقال (ص): " كل امتي معافى، إلا المجاهرين "، والمجاهرة أن يعمل الرجل سواً فيخبر به. وقال (ص): " من استمع خبر قوم وهم له كارهون، صبت في أذنية الآتية الآنك يوم القيامة ". وعن أبي جعفر (ع) قال: " قال رسول الله (ص) يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه! لا تتبعوا عثرات المسلمين، فانه من يتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثراته، ومن تتبع الله عثراته يفضحه ".

٣ [3] الحجرات، الآية: ١٢.

٤ [4] النور، الآية: ١٩.

وقال الباقر (ع): " من اقرب ما يكون العبد إلى الكفر ان يؤاخي الرجل الرجل على الدين، فيحصى عليه زلاته ليعيره بها يوماً ما ". وقال الصادق (ع): " من أنب مؤمناً أنبه الله عز وجل في الدنيا والآخرة ". وقيل للصادق (ع): " شيء يقوله الناس، عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ فقال: ليس حيث تذهب، إنما عورة المؤمن أن يراه يتكلم بكلام يعاب عليه فيحفظه عليه ليعيره به يوماً إذا غضب ".

وقال الباقر (ع): " قال رسول الله (ص) إن اسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤدي جليسه بما لا يعينه " [5]. والأخبار الواردة بأمثال هذه المضامين كثيرة.

## فصل

### ستر العيوب

ضد كشف العيوب: سترها واخفاؤها، وهو من أعظم شعب النصيحة ولا حد لثوابه، كما يستفاد من الأخبار الكثيرة. قال رسول الله (ص): " من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ". وقال (ص): " لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره الله يوم القيامة " وقال (ص): " لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه، إلا دخل الجنة ". وكفى بستر العيوب فضلاً أنه من أوصاف الله سبحانه، ومن شدة اعتناؤه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا - وهو افحشها - بما لا يمكن اتفاقه إلا نادراً، وهو مشاهدة أربعة عدول كالميل في المكحلة فانظر إلى أنه تعالى كيف أسبل الستر على العصاة من خلقه في الدنيا، بتضييق الطرق المؤدية إلى كشفه. ولا تظن أنك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر، فقد ورد في الحديث: " أن الله تعالى إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من أن يكشفها في الآخرة، وإن كشفها في الدنيا فهو اكرم من أن يكشفها أخرى ". وورد أيضاً: " أنه يؤتى

٥ [5] صححنا الأحاديث كلها على (أصول الكافي): باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم. وعلى (الوسائل): أبواب أحكام العشرة، الباب ١٥٠. وعلى (المستدرک): ١٠٤/٢. وعلى (البحار): ٤ مج ١٥/١٧٥، باب تتبع عيوب الناس وافشائها.

يوم القيامة بعدد يبكي، فيقول الله سبحانه له: لم تبكي؟ فيقول: أبكي على ما سينكشف عني من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة. فيقول الله: عبيدي ما أفتضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك، وأنت تعصيني وتضحك! فكيف أضحك اليوم بكشفها وأنت لا تعصيني وتبكي!". وفي خبر آخر: " أن رسول الله (ص) يطلب يوم القيامة من الله سبحانه ألا يحاسب أمته بحضرة من الملائكة والرسول وسائر الأمم، لئلا تظهر عيوبهم عندهم، بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه، وسواه (ص)، فيقول الله سبحانه: يا حبيبي، أنا أرأف بعبادي منك، فإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك، فأنا أكره كشفها عندك أيضاً، فاحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثرتهم غيري".

فإذا كانت عناية الله سبحانه في ستر عيوب العباد بهذه المثابة، فأنى لك أيها المسكين المبتلى بأنواع العيوب والمعاصي، تسعى في كشف عيوب عباد الله، مع أنك مثلهم في الاتصاف بأنواع العيوب والعترات! وتأمل أنه لو أظهر أحد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك، فقس عليه حال غيرك ممن تكشف أنت بعض فواحشه. وقد ثبت ووضح من الأخبار والتجربة: أن من يفضح يفتضح، فيا حبيبي، ترحم على نفسك وتأس بربك، فاسبل على عيوب غيرك. ومنها:

### افشاء السر

وإذا عته، وهو أعم من كشف العيب، إذا السر قد يكون عيباً وقد لا يكون بعب، ولكن في افشائه إيذاء واهانة بحق الأصدقاء أو غيرهم من المسلمين، وهو من رذائل قوة الغضب إن كان منشأه العداوة، ومن رذائل قوة الشهوة إن كان منشأه تصور نفع مالي، أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخبانتها، وهو مذموم منهي عنه. قال رسول الله (ص): " إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت، فهي أمانة ". وقال (ص): " الحديث بينكم أمانة ". وورد: " أن من الخيانة أن تحدّث بسر أخيك ". وقال

عبد الله بن سنان للصادق (ع): " عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ فقال: نعم! قلت: يعني سفلته؟ قال: ليس حيث تذهب، إنما هو اذاعة سره " [6]٦.

## فصل

### كتمان السر

ضد إفشاء السر: كتمانته، وهو من الأفعال المحمودة، وقد أمر به في الأخبار. قال رسول الله (ص): " طوبى لعبد نومة، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم، تتجلى عنهم كل فتنة مظلمة، ليسوا بالمذاييع البذر، ولا الجفاة المرئيين ". وقال أمير المؤمنين (ع): " طوبى لعبد نومة، لا يؤبه له، يعرف الناس ولا يعرفه الناس، يعرفه الله منه برضوان، أولئك مصابيح الهدى، تتجلى عنهم كل فتنة، ويفتح لهم باب كل رحمة، ليسوا بالبذر المذاييع، ولا الجفاة المرئيين ". وقال أمير المؤمنين (ع): " قولوا الخير تعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من أهله، ولا تكوا عجلا مذاييع. فان خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر الله، وشراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبراء المعاييب" [7]٧.

## تنبيه

### النميمة

النميمة تطلق في الأكثر على أن ينم قول الغير إلى المقول فيه، كأن يقال: فلان تكلم فيك بكذا وكذا، أو فعل فيك كذا وكذا. وعلى هذا تكون نوعاً خاصاً من إفشاء السر وهتك الستر، وهو الذي

٦ [6] صححنا الأحاديث على البحار: ٤/١٧٥ مج ١٥، باب تتبع عيوب الناس.

٧ [7] صححنا الأحاديث كلها على (البحار): ج ٤ مج ١٥: باب فضل كتمان السر وعلى (أصول الكافي): باب كتمان السر، وباب الرواية على المؤمن.

يتضمن فساداً أو سعاية. وقد تطلق على مالا يختص بالمقول فيه، بل على كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابه أو بالرمز والإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصانا على المنقول عنه أو لم يكن. وعلى هذا يكون مساوية الإفشاء السر وهتك الستر وحينئذ فكل ما يرى من أحوال الناس ولم يرضوا بافشائه، فاذا عته نميمة فاللزام على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من أحوال غيره، إلا إذا كان في حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصية. كما إذا رأى أحداً يتناول مال غيره، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له، وأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه، فحكايته نميمة وافشاء للسر.

ثم الباعث على النميمة يكون غالباً ارادة السوء بالمحكي عنه، فيكون داخلا تحت الإيذاء، وربما كان باعته اظهار المحبة للمحكي له، أو التفريح بالحديث، و الخوض في الفضول. وعلى أي تقدير، لا ريب في أن النميمة أرذل الافعال القبيحة واشنعها. وما ورد في ذمها من الآيات والأخبار لا يحصى كثرة، قال الله سبحانه:

" هَمَّاز مَشَاءَ بِنَمِيمٍ. مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٌ أَثِيمٌ. عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ " [8] ٨.

والزنيمة: هو ولد الزنا. فيستفاد من الآية: أن كل من يمشي بالنميمة فهو ولد الزنا، وقال سبحانه:

" وَيَلْ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لِمَزَةٍ " [9] ٩. أي النمام المغتاب.

وقال رسول الله (ص): " لا يدخل الجنة نمام " وفي خبر آخر: " لا يدخل الجنة قتات ": أي النمام. وقال (ص): " احبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا، الموطئون اكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العثرات " [10] ١٠.

٨ [8] الفلم، الآية: ١١-١٣.

٩ [9] الهمزة، الآية: ١.

١٠ [10] صححنا الحديث على (المستدرک): ١١١ كتاب الحج.

وقال (ص): " ألا انبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعاييب " ١ [11]. وقال (ص): " من أشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق، شأنه الله في النار يوم القيامة ". وقال (ص): " أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا، كان حقاً على الله أن يدينه بها يوم القيامة في النار ". وقال (ص): " إن الله لما خلق الجنة قال لها: تكلمي، قالت: سعد من دخلني. قال الجبار جل جلاله: وعزتي وجلالي! لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر، ولا مصر على الزنا، ولا قتات - وهو المنام -، ولا ديوث، ولا شرطي، ولا مخنث، ولا قاطع رحم، ولا الذي يقول علي عهد الله أن أفعل كذا وكذا ثم لم يف به ". وقال الباقر (ع): " الجنة محرمة على المغتابين المشائين بالنميمة ". وقال (ع): " يحشر العبد يوم القيامة وما ندا دماً [12]، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب، انك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه، فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه ". وقال الصادق (ع): " من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان، ولا يقبله الشيطان " ٣ [13]. وروى: " انه اصاب بني إسرائيل قحط، فاستسقى موسى مرات، فما اجيب. فأوحى الله تعالى إليه: إني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة. فقال موسى:

١١ [11] صححنا الحديث على الوسائل: كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب ١٦٤. وعلى (المستدرک): ١١٠ كتاب الحج. وعلى (أصول الكافي): باب النميمة.

١٢ [12] قال في مجمع البحرين - مادة (ندا) -: " فلان ماندا دماً ولا قتل قتلا: أي ما سفك دماً ". وقد كتبت كلمة (ندا) في جميع ما وجدناه من الكتب بالالف، وعسى أن تكون بالياء هكذا (ندی) كرضى. واحتمل في الوافى أن تكون (ندی) بتشديد الدال، وذكر احتمالات كثيرة، فراجعته وقد روي في (الوسائل) - كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب ١٦٣ - مثل هذا الحديث عن (الشيخ الطوسي)، وقد جاء فيه: " وما ادمى دماً ". أما الحديث المذكور هنا، فقد صحناه على (أصول الكافي) باب الاذاعة.

١٣ [13] صححنا الحديث على (الوسائل): كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة الباب ١٥٧. وعلى (أصول الكافي): باب الرواية على المؤمن.

يا رب، من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى، انهاكم عن النميمة وأكون نامماً! فتأبوا  
باجمعهم، فسقوا " وروى: " أن ثلث عذاب القبر من النميمة ".

ومن عرف حقيقة النميمة، يعلم أن النمام شر الناس واخبثهم، كيف وهو لا ينفك من الكذب،  
والغيبة، والغدر، والخيانة، والغل، والحسد والنفاق، والإفساد بين الناس، والخديعة. وقد قال الله  
سبحانه:

" ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض " ١٤ [14].

والنمام يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض. وقال الله:

" إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيثون في الأرض بغير الحق " ١٥ [15]. والنمام  
منهم.

وقال رسول الله (ص): " لا يدخل الجنة قاطع ": أي قاطع بين الناس، والنمام قاطع بينهم. وقال  
رسول الله (ص): " شر الناس من اتقاه الناس لشره ": والنمام منهم، والنمام أعظم شراً من كل أحد.  
نقل: أن رجل باع عبداً، فقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة قال رضيت. فاشتراه، فمكث  
الغلام أياماً، ثم قال لزوجته مولاه: إن زوجك لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك، وأنا اسحره لك  
في شعره فقالت: كيف اقدر على أخذ شعره؟ فقال: إذا نام فخذى موسى واحلقى من قفاه عند نومه  
شعرات. ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف. فتناوم  
فجاءته المرأة بالموسى، فظن أنها تقتله، فقام وقتلها، فجاء أهلها وقتلوا الزوج، فوقع القتال بين  
القبيلتين، وطال الأمر بينهم.

ثم يلزم على من تحمل إليه النميمة ألا يصدق النمام، لأنه فاسق، والفاسق مردود الشهادة بقوله  
تعالى:

١٤ [14] البقرة، الآية: ٢٧.

١٥ [15] الشورى، الآية: ٤٠.

" إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " ١٦ [16].

وان ينهاه عن ذلك، وينصحه ويقبح له فعله، لقوله تعالى:

" وأمر بالمعروف وانه عن المنكر " ١٧ [17].

وان يبغضه في الله، لكونه مبغوضاً عنده تعالى، وألا يظن بأخيه سوءاً بمجرد قوله، لقوله تعالى:

" إجتنبوا كثيراً من الظن " ١٨ [18].

وألا يحمل عمله على التجسس والبحث لتحقيق ما حكى له، لقوله تعالى: " ولا تجسسوا ". وألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام، فلا يحكى نميمته، فيقول: فلان قد حكى كذا وكذا، فيكون به نامماً ومغتتاباً. وروى محمد بن فضيل عن الكاظم (ع): " أنه قال له (ع): جعلت فداك! الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكرهه، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقاة. فقال لي: يا محمد، كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فان شهد عندك خمسون قسامة، فقال لك قولا، فصدقه وكذبهم، ولا تدين عليه شيئاً تشينه به وتهدم مروته، فتكون من الذين قال الله:

" إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذي آمنوا لهم عذاب شديد " ١٩ [19].

وقد روي عن أمير المؤمنين - (ع): " أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل، فقال: يا هذا، نحن نسأل عنك قلت، فان كنت صادقاً مقتتاك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقتلك أفلناك قال: افلني

١٦ [16] الحجرات، الآية: ٦.

١٧ [17] لقمان، الآية: ١٧.

١٨ [18] الحجرات، الآية: ١٢.

١٩ [19] صححنا الحديث على (الوسائل): كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة الباب ١٥٧. والآية من سورة النور: ١٩.



يا أمير المؤمنين". ونقل: " أن رجلا زار بعض الحكماء واخبره بخبر عن غيره، فقال: قد ابطأت عني الزيارة، وبغضت إلي أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمانة".

### تنمة

### السعاية

السعاية هي النميمة، بشرط كون المحكي له من يخاف جانبه، كالسلاطين والأمراء والحكماء والرؤساء وأمثالهم، فهي أشد أنواع النميمة إثماً ومعصية وهي أيضاً تكون من العداوة ومن حب المال وطمعه، فتكون من رداءة القوتين وخبائثهما. قال رسول الله (ص): " الساعي بالناس إلى الناس لغير رشده". يعني ليس ولد حلال. وذكرت السعاة عند بعض الأكابر، فقال: ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة إلا منهم!

ومنها:

### الافساد بين الناس

وهو في الأكثر يحصل بالنميمة، وإن لم يوجب كل نميمة افساداً، ولا ريب في كونه من المهلكات المؤدية إلى النار، قال الله سبحانه:

" الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في

الأرض أولئك هم الخاسرون " [20] ٢٠.

وقال رسول الله (ص): " إن فساد ذات البين هي الحالقة".

## فصل

### الاصلاح

وضده: الاصلاح بين الناس، وهو أعظم أفراد النصيحة، ولا غاية لمثوبته عند الله. قال رسول الله (ص): " أفضل الصدقة اصلاح ذات البين ". وقال (ص): " اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة ". وقال (ص): " ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيراً ". وقال (ص): " كل الكذب مكتوب، إلا أن يكذب الرجل فان الحرب، فان الحرب خدعة، أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما "... وقال الصادق (ع): " صدقة يحبها الله تعالى: اصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا ". وقال (ع) لمفضل: " إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالى ". وقال (ع) لابن عمار: " ابلغ عنى كذا وكذا في اشياء أمر بها. فقال له ابن عمار: فابلغهم عنك، وأقول عنى ما قلت لي وغير الذي قلت؟ قال: نعم! إن المصلح ليس بكذاب ". وقال (ع): " المصلح ليس بكاذب " [21] ٢١: يعني إذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الاصلاح لم يعد كلامه كذباً. وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس، لأن ترك الكذب واجب، ولا يسقط الواجب إلا بواجب أكد منه.

ومنها:

### الشماتة

وهو إظهار أن ما حدث بغيره من البلية والمصيبة إنما هو من سوء فعله واساءته، والغالب صدوره عن العداوة أو الحسد. وعلامته أن يكون مع فرح ومسرة، وربما صدر عن رداءة القوة الشهوية، بأن يهتز به ويميل إليه، مع جهله بمواقع القضاء والقدر، وإن لم يكن معه حقد وحسد. والتجربة والأخبار شاهدان على أن كل من شمت بمسلم في مصيبة لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى

بمثلها ويشمت به غيره فيها. قال الصادق (ع): " لا تبدي الشماته لأخيك، فيرحمه الله ويحلها بك ".  
وقال (ع): " من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن " [22] على أن كل  
بلية ومصيبة ترد على مسلم يمكن أن تكون كفارة لذنوبه أو باعثاً لرفع درجاته واعلاء مرتبته في  
دار الآخرة.

والدليل على ذلك: أن أعظم البلايا والمصائب موكلة بالأنبياء، ثم بالأولياء، ثم بالأمتل فالأمتل في  
درجات الاعتلاء. ولا ريب في أن ورود المصائب والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم وإساءتهم.  
فينبغي لكل عاقل أن يتأمل (أولاً) أن الشماته بمسلم بمصيبة لا ينفك في الدنيا من ابتلائه بمثلها،  
(وثانياً) أنها إيذاء لأخيه المسلم، فلا ينفك عن العذاب في الآخرة (ثالثاً) ان نزول هذه المصيبة به لا  
يدل على سوء حاله عند الله، بل الأرجح دلالته على حسن حاله وتقربه عند الله سبحانه. فليحافظ  
على نفسه عن ابداء الشماته لأحد من المسلمين، ويخوف من يراه من الشامتين عن عقوبة العاجل  
وعذاب الأجل.

ومنها:

### المراء والجدال والخصومة

إعلم ان المراء طعن في كلام الغير لظهار خلل فيه، من غير غرض سوى تحقيره واهانته،  
وإظهار تفوقه وكياسته، والجدال: مراء يتعلق باظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها. والخصومة:  
لجاج في الكلام لاستيفاء مال أو حق مقصود، وهذه تكون تارة ابتداء وتارة اعتراضاً، والمراء لا  
يكون إلا اعتراضاً على كلام سبق، فالمراء داخل تحت الإيذاء، ويكون ناشئاً من العداوة أو الحسد.  
وأما الجدال والخصومة، فربما صدرا من أحدهما أيضاً، وربما لم يصدرا منه.

وحينئذ، فالجدال إن كمال بالحق - أي تعلق باثبات إحدى العقائد الحقّة - وكان الغرض منه الإرشاد والهداية، ولم يكن الخصم لدوداً عنوداً فهو الجدال بالأحسن، وليس مذموماً، بل ممدوح معدود من الثبات في الإيمان الذي هو من نتائج قوة المعرفة وكبر النفس، قال الله سبحانه:

" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " ٢٣ [23].

وإن لم يكن بالحق، فهو مذموم اقتضته العصبية أو حب الغلبة أو الطمع، فيكون من رذائل القوة الغضبية أو الشهوية، وربما أورث شكوكاً وشبهات تضعف العقيدة الحقّة، ولذا نهى الله سبحانه عنه وذم عليه، فقال:

" ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير " ٢٤ [24]. قال: " وإذا

رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره " ٢٥ [25].

والخصومة أيضاً إن كانت بحق، أي كانت مما يتوقف عليه استيفاء مال أو حق ثابت، فهي ممدوحة معدودة من فضائل القوة الشهوية، وإن كانت بباطل، أي تعلقت بما يدعيه كذباً أو بلا علم ويقين، فهي مذمومة معدودة من رذائلها. فالخصومة المذمومة تتناول المخاصمة فيما يعلم قطعاً عدم استحقاقه، وفيما لا علم له بالاستحقاق، كخصومة وكيل القاضي، فانه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب، يتوكل في الخصومة من أي جانب كان، ويخاصم من غير علم وإيقان، فمثله خبّاط العثرات وركاب الشبهات، يضر بالمسلمين بلا عرض، ويتحمل أوزار الغير بلا عوض، فهو أخسر الناس اعمالاً واعظمهم في الآخرة أوزاراً ونكالا. وتتناول أيضاً مخاصمة من يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد والعناد في الخصومة قصداً للتسلط والإيذاء، ومن يمزج بخصومته كلمة مؤذية لا يحتاج إليها في اظهار الحق وبيان الحجة، ومن يحمله على

٢٣ [23] العنكبوت، الآية: ٤٦.

٢٤ [24] الحج، الآية: ٨.

٢٥ [25] الانعام، الآية: ٦٨.

الخصومة محض العناد بقهر الخصم وكسره مع استحقاره لذلك القدر من المال، وربما صرح بأن قصدي العناد والغلبة عليه وكسر عرضه، وإذ أخذت منه هذا المال رميته، ولا أبالي، فمثله عرضه اللدد واللجاج.

فتنحصر الخصومة الجائزة بمخاصمة المظلوم الذي يطلب حقه وينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد وإيذاء، مع الاقتصار على قدر الحاجة في الخصومة من دون أن يتكلم بالزائد ولا بكلمات مؤذية، ففعله ليس بحرام وإن كان الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً، إذ ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر أو متعسر، لأنها توغر الصدر، وتهيج الغضب، وإذ هاج الغضب ذهب المتنازع فيه من البين، واشتد الحقد بين المتخاصمين حتى يحزن كل واحد بمسرة صاحبه ويفرح بمساءته. فالخصومة مبدأ كل شر، فينبغي ألا يفتح بابها إلا عند الضرورة على قدر الضرورة، ولا يتعدى عن الواجب، إذ أقل درجاتها تشوش خاطر، حتى أنه في الصلاة ليشغل بمخاصمة الخصم، ويتضمن الطعن والاعتراض أي التجهل والتكذيب، إذ من يخاصم غيره إما يجهله أو يكذبه، فيكون آتياً بسوء الكلام، ويفوت به ضده، اعني طيب الكلام، مع ما ورد فيه من الثواب. وكذا الحال في المراء والجدال.

وبالجملة: المراء والجدال الخصومة، سوى ما استثنى، من ذمائم الأفعال ومبادئ أكثر الشرور والفتن، ولذا ورد بها الذم الشديد في الأخبار قال رسول الله (ص): " من جادل في خصومة بغير علم، لم يزل في سخط حتى ينزع ". وقال (ص): " إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ". وقال (ص): " ما أتاني جبرائيل قط إلا وعظني، فأخر قوله لي: إياك ومشادة الناس فانها تكشف العورة وتذهب بالعز ". وقال أمير المؤمنين (ع): " إياكم والمراء والخصومة، فانهما يمرضان القلوب على الاخوان، وينبت عليهما النفاق ". وقال علي بن الحسين (ع): " ويل أمة فاسقاً من لا يزال ممارياً! ويل أمة فاجراً من لا يزال مخاصماً! ويل أمة آثماً من كثر كلامه في غير ذات الله! ". وقال الصادق (ع): " لا تمارين حلوماً ولا سفيهاً، فان الحلوم يغلبك والسفيه يؤذيك ". وقال: " إياك والمشادة، فانها تورث المعرفة وتظهر العورة ". وقال (ع) " إياكم والخصومة، فانها تشغل القلب،

وتورث النفاق، وتكسب الضغائن "٢٦[26] فمن تأمل في ما يدل على ذمها وسوء عاقبتها عقلا  
ونقلا - فمع عدم ترتب فائدة عليها، وتذكر ما ورد في مدح تركها وفوائد ضدها، اعني طيب الكلام  
- يسهل عليه ان يتركها ولا يحوم حولها.

---

علاج المرء  
طيب الكلام  
السخرية والاستهزاء  
المزاح  
المذموم من المزاح  
الغيبة  
لا تنحصر الغيبة باللسان

### تذنيب

### علاج المرء

طريق المعالجة في إزالة المرء والجدال والخصومة: أن يعلم انها توجب التباغض والمباينة، وتزيل الإلفة والمحبة، وتقطع الإلتيام والوحدة ولا ريب في أن قوام النظام الأصلح بالإلتيام والوحدة، كما اقتضته العناية الإلهية والحكمة الازلية، والمباينة الراجعة إلى الكثرة ينافيهما، ولا ينبغي للعاقل أن يرتكب ما يصاد فعل الله وحكمته. وهذا هو العلاج العلمي، وأما العملي، فليواظب على ضد هذه الثلاثة، أعني طيب الكلام، ويكلف نفسه عليه، حتى يصير ملكة له وترتفع اضدادها عنه بالمرّة.

### فصل

### طيب الكلام

قد أشير إلى أن ضد الرذائل الثلاث: طيب الكلام، وما ورد في مدحه وفي ثواب تركها أكثر من أن يحصى. قال رسول الله (ص): " ثلاث من لقي الله تعالى بهن دخل الجنة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشى الله في المغيب والمحض، وترك المرء وإن كان محقاً ". وقال (ص): " يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام ". وقال (ص): " إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن اطعم الطعام وأطاب الكلام ". وقال (ص): " الكلمة الطيبة صدقة ". وروى " أن عيسى (ع) مر به خنزير. فقال: مر بسلامة. فقيل له: يا روح الله، تقول هذا

للخزير! فقال: اكره أن اعود لساني الشر ". وقال بعض الحكماء: " الكلام اللين يغسل الضغائن  
المستكنة في الجوارح "

ومنها:

### السخرية والاستهزاء

وهو محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قولاً وفعلاً، أو ايماء وإشارة، على وجه  
يضحك منه. وهو لا ينفك عن الإيذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص. وإن لم يكن ذلك  
بحضرة المستهزأ به، فيتضمن الغيبة أيضاً. وباعثه إما العداوة أو التكبر واستصغار المستهزأ به،  
فيكون من رذائل القوة الغضبية، أو قصد ضحك الأغنياء وتنشيط قلوبهم، طمعاً في بعض أوساخهم  
الملوثة، وأخذ النبذ من حطامهم المحرمة، ولا ريب في انه صفة من لاحظ له في الدين، وشيمة  
اراذل احزاب الشياطين، لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال ويرتكبون أعاجيب الأفعال، يخلعون قلائد  
الحرية عن الرقاب، ويهتكون استار الحياء بمراى من أولى الألباب، يبتغون عيوب المؤمنين  
وعوراتهم، ويظهرون نقائص المسلمين وعثراتهم، يقلدون أفعال الاخيار على وجه يضحك  
الأشرار، ويحاكون صفات الأبرار على أفصح الوجوه في الانظار. ولا ريب في أن المرتكب لهذه  
الافعال بعيد عن الإنسانية بمراحل، ومستوجب لعقوبة العاجل وعذاب الآجل، ولا يخلو ساعة عن  
الصغار والهوان، ولا وقع له في قلوب أهل الإيمان، وكفاه ذماً انه جعل تلك المعاصي الخبيثة  
وسيلة لتحصيل المال أو الواقع في قلوب أبناء الدنيا، ويلزمه عدم اعتقاده بأن الله سبحانه هو  
المتكفل لأرزاق العباد.

والطريق في دفعه - بعد التأمل في سوء عاقبته، ووخامة خاتمته، وفيما يلزمه من الذلة والهوان  
في الدنيا - أن يبادر إلى إزالة العداوة والتكبر إن كان باعته ذلك، وإن كان باعته تنشيط قلوب أهل  
الدنيا طمعاً في مالهم، فليعلم أن لكل نفس ما قدر لها من الأموال والارزاق، يصل إليها من الله  
سبحانه ألبتة، فان من يتق الله ويتوكل عليه يجهل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويكون



في الآخرة سعيداً، وان أغواه الشيطان وحثه على تحصيلها من المداخل الخبيثة، لم يصل إليه أكثر مما قدر له، وكان في الآخرة شقيماً.

وليعلم أيضاً أن المتوكل على الله والمتصف بالحرية، لا يبذل التوكل والحرية بهذه الافعال لأجل الوصول إلى بعض خبائث الأموال، فليعاتب نفسه ويزجرها بالمواعظ والنصائح، ويتذكر ما ورد في الشريعة من ذم المستهزئين وتعذيبهم يوم القيامة بصورة الاستهزاء، قال الله جل شأنه:

" لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم " [1].

وقال (ص): " إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال: هلم هلم! فيجىء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر، فيقال: هلم هلم! فيجىء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه. فما يزال كذلك حتى يفتح له الباب، فيقال له: هلم هلم فما يأتيه ". وقال ابن عباس في قوله تعالى:

" يا وليتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " [2].



الصغيرة: التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة: القهقهة بذلك " وفيه اشارة إلى أن الضحك على الناس من الجرائم العظيمة.

ثم جميع ما ذكر إنما هو في حق من يؤدي الناس ويهينهم باستهزائه وسخريته، وأما من جعل نفسه مسخرة ويسر بأن يهزل ويسخر به، وإن كان هو ظالماً لنفسه خارجاً عن شعار المؤمنين، حيث أهان نفسه وأذلها، إلا أن سخرية الغير به من جملة المزاح، ويأتي ما يذم منه وما يحمده، وإنما المحرم منه ما يؤدي إلى اذائه وتحقيره: بأن يضحك على كلامه إذا يخطب ولم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً أو طويلاً أو ناقصاً بعيب من العيوب. فالضحك على جملة ذلك داخل في السخرية المنهى عنها.

وطريق علاجه - بعد تذكر ما تقدم - أن استهزائه يوجب خزي نفسه يوم القيامة عند الله وعند الملائكة والنبیین وعند الناس أجمعين، فلو تفكر في حسرته وحيائه وخجله وخزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به ويساق إلى النار، لأدهشه ذلك عن إخزاء غيره، ولو عرف حقيقة حاله يوم القيامة، لكان الأولى له أن يضحك على نفسه تارة ويبكي عليها أخرى، لأنه باستهزائه به عند بعض أراذل الناس عرض نفسه لأن يأخذ بيده ذلك الغير يوم القيامة على ملأ من الناس ويسوقه تحت السياط،



كما يساق الحمار، إلى النار مستهزئاً به، مسروراً يخزيه وتمكين الله تعالى إياه على الانتقام منه.  
فمن تأمل في ذلك، ولم يكن عدواً لنفسه، اجتنب عن السخرية والاستهزاء كل الاجتناب.

ومنها:

### المزاح

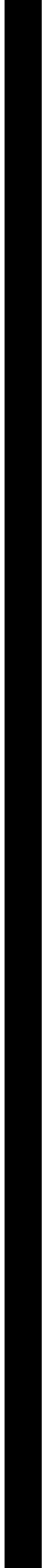
وأصله مذموم منهي عنه، وسببه إما خفة في النفس، فيكون من رذائل القوة الغضبية، أو ميل النفس وشهوتها إليه، أو تطيب خاطر بعض أهل الدنيا طمعاً في مالهم، فيكون من رذائل القوة الشهوية. وسبب الذم فيه. أنه يسقط المهابة والوقار، وربما أدى إلى التباغض والوحشة والضعينة، وربما انجر إلى الهزل والاستهزاء، وأدخل صاحبه في جملة المستهزأ بهم، وربما صار باعثاً لظهور العداوة - كما قيل - وربما جر إلى اللعب، قال رسول الله (ص): " لا تمار أخاك ولا تمازحه "، وقال بعض الأكابر لابنه: " يا بني، لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيا فيجتري عليك "، وقال آخر: " إياكم والممازحة، فانها تورث الضغينة وتجر إلى القطيعة ". وقال آخر: " المزاح مسلبة للبهاء، ومقطعة للاصدقاء " وقيل: " لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح ". ومن مفاصد المزاح: أنه سبب للضحك، وهو منهي عنه. قال الله تعالى:

فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً" [3].

وقال رسول الله (ص): " إن الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه، يهوي بها أبعد من الثريا "، وقال بعض: " لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً "، وهو يدل على أن الضحك علامة الغفلة عن الآخرة، وقال: " من كثر ضحكه قلت هيئته، ومن مزج استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه ". وخاطب عارف نفسه وقال: " أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟! " وقال رجل لأخيه: يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم! قال: وهل أتاك أنك خارج منها؟ فقال: لا، قال: ففيم الضحك؟ فما رأيي بعد ذلك ضاحكاً حتى مات ". ونظر بعضهم إلى قوم يضحكون في يوم الفطر، فقال: " إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ".

ثم المذموم من الضحك هو القهقهة، والتبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت ليس

مذموماً، بل محمود لفعل النبي (ص) [4].



## تذنيب

### (المذموم من المزاح)

الحق أن المذموم من المزاح هو الإفراط فيه والمداومة عليه، أو ما يؤدي إلى الكذب والغيبة وأمثالهما، ويخرج صاحبه عن الحق. وأما القليل الذي يوجب انبساط خاطر وطيبة قلب، ولا يتضمن إيذاء ولا كذباً ولا باطلاً، فليس مذموماً، لقول رسول الله (ص): "إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً". ولما روي: "أنهم قالوا له (ص): يا رسول الله، انك تداعبنا! فقال: إني وإن داعبتكم، فلا أقول إلا حقاً". ولما روت العامة: "أنه (ص) كان كثير التبسّم، وكان أفكه الناس" وورد: "أن رسول الله (ص) كسا ذات يوم واحدة من نسائه ثوباً واسعاً، وقال لها: إلبسيه واحمدي، وجري منه ذيلاً كذيّل العروس". وقال (ص): "لا تدخل الجنة عجوز. فبكت العجوز. فقال: إنك لست يؤمئذ بعجوز" وجاءت امرأة إليه، وقال: "إن زوجي يدعوك. فقال (ص): زوجك هو الذي بعينه بياض؟ قالت: والله ما بعينه بياض؟ فقال: بلى، إن بعينه بياضاً. فقالت: لا والله؟ فقال: ما من أحد إلا بعينه بياض". وأراد به البياض المحيط بالحدقة. وجاءته امرأة أخرى، وقالت: "احملي يا رسول الله على بعير. فقال: بل نحملك على ابن البعير. فقالت: ما أصنع به، انه لا يحملني، فقال (ص): هل من بعير إلا وهو ابن بعير؟". وكان (ص) يدلع لسانه للحسين (ع) فيرى لسانه فيهش له. وقال لصهيب - وبه رمد وهو يأكل التمر -: "أنا أكل التمر وأنت أرمد؟ فقال: إنما أكل بالشق الآخر. فتبسّم رسول الله حتى بدت نواجذه". وروي: "أن خوات ابن جبير كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، وكان ذلك قبل إسلامه. فطلع عليه رسول الله (ص) فقال له: مالك مع النسوة؟ قال: يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود. فمضى رسول الله لحاجته ثم عاد، فقال: يا أبا عبدالله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ قال: فسكت واستحييت، وكنت بعد ذلك استخفي منه حياءً، حتى أسلمت وقدمت المدينة، فاطلع علي يوماً وأنا أصلي في المسجد، فجلس الي، فطولت الصلاة، فقال: لا تطول فاني انتظرك، فلما فرغت قال: يا أبا عبدالله، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ قلت: والذي بعثك بالحق

نبياً؟ ما شرد منذ أسلمت! فقال: الله اكبر الله اكبر، اللهم اهد أبا عبد الله. فحسن اسلامه ". وكان نعيمان الانصاري، رجلاً مزاحاً، فإذا دخل المدينة شيء نفيس من اللباس أو الطعام اشترى منه، وجاء به إلى رسول الله (ص) ويقول: هذا أهديته لك. فإذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه، جاء به إلى رسول الله، وقال: يا رسول الله، أعطه ثمن متاعه، فيقول له النبي (ص): " أو لم تهده لنا؟ " فيقول: لم يكن عندي والله ثمنه، وأحببت أن تأكل منه، فيتبسم رسول الله ويأمر لصاحبه بثمنه وأمثال هذه المطايبات مروية عن رسول الله (ص) وعن الأئمة - عليهم السلام - وأكثرها منقولة مع النسوان والصبيان، وكان ذلك معالجة لضعف قلوبهم، من غير ميل إلى هزل ولا كذب ولا باطل، وكان صدور ذلك عنهم أحياناً وعلى الندرة، ومثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق والاعتدال، وأما غيرهم فإذا فتح باب المزاح فرموا وقع في الإفراط والباطل. فالأولى لأمثالنا تركه مطلقاً.

ومنها:

### الغيبة

وهي أن يذكر الغير بما يكره لو بلغه. سواء كان ذلك ينقص في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله، أو في أفعاله المتعلقة بدينه أو دنياه، بل وإن كان ينقص في ثوبه أو داره أو دابته. والدليل على هذا التعميم - بعد إجماع الامة على أن من ذكر غيره بما يكره إذا سمعه فهو مغتاب - ما روي عن رسول الله (ص) أنه قال: " هل تدري ما الغيبة؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: " ذكرك أخاك بما يكره "، قيل له: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتّه، وإن لم يكن فيه فقد بهته ". وما روي: " انه ذكر رجل عنده، فقالوا: ما أعجزه! فقال (ص): اغتبتم أحاكم، قالوا: يا رسول الله، قلنا ما فيه. قال: إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه ". وما روي عن عائشة قالت: " دخلت علينا امرأة، فلما ولت، أو مأت بيدي انها قصيرة، فقال (ص): اغتبتيها ". وما روى انها قالت: " إنني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي (ص): إن هذه لطويلة الذيل. فقال لي: الفظي الفظي! فلفظت مضغرة لحم ". وقد روي: " ان أحد الشيخين قال للآخر: إن فلاناً لنؤم، ثم طلبا أدماً

من رسول الله ليأكلا به الخبز. فقال: (ص): قد انتدمتما. فقالا: ما نعلمه، فقال: بلى! إنكما أكلتما من لحم صاحبكما".

وأما ما روى عن الصادق (ص) انه قال: "صفة الغيبة أن تذكر أحداً بما ليس هو عند الله بعيد ويذم ما يحمده أهل العلم فيه. وأما الخوض في ذكر الغائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم، فليس بغيبة، وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت أنت معافى عنه وخالياً منه. وتكون في ذلك مبيناً للحق من الباطل ببيان الله ورسوله، ولكن على شرط ألا يكون للقاتل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله عز وجل وأما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى، فهو مأخوذ



بفساد مراده وان كان صواباً "٥ [5] فهو مخصوص بما إذا لم يكن صاحبه عالماً بقبحه، أو كان

ساتراً على نفسه كارهاً لظهوره. ويدل على ذلك ما روي عنه (ع) أيضاً، أنه سئل عن الغيبة، فقال:  
" هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل، وثبت عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم فيه حد ". وقال  
(ع): " الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأما الأمر الظاهر فيه، مثل الحدة والعجلة، فلا  
". وقال الكاظم (ع) " من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس، لم يغتبه، ومن ذكره من

---

خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس، اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته " [6]. ويأتي ان

المجاهر بمعصيته غير ساتر لها، لا غيبة له فيها.

والحاصل: ان الاجماع والأخبار متطابقان على أن حقيقة الغيبة هو أن يذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه، سواء كان ذلك بنقص في نفسه أو بدنه. أو في دينه أو دنياه، أو فيما يتعلق به من الأشياء، وربما قيل إنه لا غيبة فيما يتعلق بالدين، لأنه ذم من ذمه الله ورسوله، فذكره بالمعاصي وذمه جائز. وأيد ذلك بما روى: " أنه ذكر عند رسول الله امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها. فقال: هي في النار ". وذكرت امرأة اخرى بأنها بخيلة، فقال: " فما خيرها ان؟ ". ولا ريب في بطلان هذا القول: لما عرفت من عموم الادلة. وما ورد من ذم الأشخاص المعينة في كلام الله وكلام حجه إنما هو لتعريف الاحكام وتبيينها، وسؤال الأصحاب عنهم وذكرهم بالمعاصي، إنما كان لحاجتهم إلى معرفة الأحكام لا للذم وإظهار العيب، ولذا لم يكن ذلك إلا في مجلس الرسول (ص). أو الأئمة - عليهم السلام -.

## فصل

### (لا تنحصر الغيبة باللسان)

اعلم أن الغيبة لا تنحصر باللسان، بل كل ما يفهم نقصان الغير، ويعرف ما يكرهه فهو غيبة، سواء كان بالقول أو الفعل، أو التصريح أو التعريض أو بالإشارة والإيماء، أو بالغمز والرمز، أو بالكتابة والحركة، ولا ريب في أن الذكر باللسان غيبة محرمة. لتفهيمه الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه، لا لكون المفهم والمعرف لساناً، فكل ما كان مفهوماً ومعرفاً فهو مثله. فالغيبة تتحقق باظهار النقص بالفعل والمحاكاة، كمشية الأعرج، بل هو أشد من الغيبة باللسان، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم منه، وبالإيماء والإشارة، وقد وري: " أنه دخلت امرأة على عائشة، فلما ولت، أمأت بيدها أنها قصيرة. فقال رسول الله (ص) قد اغتبتها ".

وبالكتابة، إذ القلم أحد اللسانين، وبالتعريض، كأن يقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة، والتبذل في طلب الجاه والمال، أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء، ونسأله أن يعصمنا منه، معرضاً في كل ذلك بمن ارتكب ذلك، فيذكره بصيغة الدعاء، وربما قدم مدح من يريد غيبته، ثم اتبعه بظهار عيبه، كأن يقول: لقد كان فلان حسن الحال، ولكنه ابتلي بما ابتلي به كلنا من سوء الحال، وهو جمع بين الرياء والغيبة، ومدح نفسه بالتشبه بالصلحاء في ذم أنفسهم.

ومن المغتابين المنافقين من يظهر في مقام غيبة مسلم الاغتمام والحرز من سوء حاله، كأن يقول: لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الإهانة والاستخفاف، أو ارتكابه معصية كذا، فنسأل الله ان يجعله مكرماً أو يصلح حاله، أو يقول: قد ابتلي ذلك المسكين بأفة عظيمة، تاب الله علينا وعليه. وهو كاذب في ادعائه الحزن والكآبة، وفي اظهار الدعاء، إذ لو اغتم لأعتم باظهار ما يكرهه أيضاً، ولو قصد الدعاء لأخفاه في خلواته، فإظهار الحزن والدعاء ناش عن خبث سريرته، وهو يظن أنه ناش عن صفاء طويته، هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوة البصيرة بمكائد اللعين وتلبيساته، فيسخر بهم ويضحك عليهم، ويحبط أعمالهم بمكائده، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم ولم يتنبه له بعض الحاضرين، فيقول اسماعاً له واعلاماً لما يقوله: " سبحان الله ما أعجب هذا! " حتى يتوجه إليه ويعلم ما يريد، فيستعمل اسم الله آلة لتحقيق خبثه.

ثم المستمع للغيبة أحد المغتابين، كما ورد به الخبر<sup>[7]</sup>. وقد دل ذلك أيضاً ما تقدم من حديث الشيخين، وما وري: " أنه (ص) لما رجم ما عزأ في الزنا، قال رجل لآخر: هذا أقعص كما يقعص الكلب. فمر النبي (ص) معهما بجيفة، فقال: انهشأ من هذه الجيفة، فقالا: يا رسول الله ننهش جيفة! فقال: ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه ". فجمع بينهما، مع ان أحدهما كان قائلاً والآخر مستمعاً.

وهو إما لا يسر باستماعها، إلا أنه لا ينكرها باللسان ولا يكرهها بالقلب، أو يسر ويفرح باستماعها، إلا أن النفاق والتزهد حملاه على عدم التصديق، وربما منع منها رياء وتزهداً، مع كونه مشتتياً لها بقلبه، وربما توصل بالحيل المرغبة للمغتاب في زيادة الغيبة. مع التباس الأمر عليه بأنه يشتهيها، مثل أن يظهر التعجب ويقول: عجبت منه ما علمت أنه كذلك وما عرفته إلى الآن إلا

بالخير، وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه. فان ذلك تصديق للمغتاب، وباعث لزيادة نشاطه في الغيبة، فكأنه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق.

والحاصل أن المستمع لا يخرج عن اثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه، أو يقطع الكلام بكلام آخر، أو يقوم من المجلس، وإن لم يقدر على شيء من ذلك، فلينكر بقلبه، وإن قال بلسانه: اسكت، وهو يشتميه بقلبه فذلك نفاق، ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه. ومع عدم الخوف لا يكفي أن يشير باليد أو حاجبه أو جبينه، أي اسكت، إذ ذلك استحقاق للمذكور، مع أنه ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحاً. قال النبي (ص): " من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينتصر له فلم ينصره، أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ". وقال " من رد عن عرض أخيه بالغيب، كان حقاً على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة ". وقال (ص): " من ذب عن عرض أخيه بالغيب، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار ". وقال (ص): " من رد عن عرض أخيه، كان له حجاباً من النار ". وقال (ص): " ما من رجل ذكر عنده أخوه المسلم، وهو يستطيع نصره ولو بكلمة ولم ينصره، إلا اذله الله عز وجل في الدنيا والآخرة. ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره، نصره الله في الدنيا والآخرة ". وقال (ص): " من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا، بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار ". وقال (ص): " من تطول على أخيه في غيبته، سمعها عنه في مجلس فردها، رد الله عنه ألف ألف من الشر في الدنيا والآخرة وان لم يردها وهو قادر على ردها، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة " وقال الباقر (ع): " من اغتاب عنده اخوه المؤمن فنصره واعانه، نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه، إلا خفضه الله في الدنيا والآخرة ". وبهذه المضامين أخبار كثيرة اخر.

## فصل

### بواعث الغيبة

اعلم ان باعث الغيبة - غالباً - إما الغضب أو الحقد أو الحسد، فيكون من نتائجها، ومن رذائل قوة الغضب، وله بواعث أخر:

الأول - السخرية والاستهزاء: فان ذلك كما يجري في الحضور يجري في الغيبة أيضاً، وقد عرفت ان منشأهما ماذا؟.

الثاني - اللعب والهزل والمطايبة: فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب والمحاكاة. ويأتي ان باعث الهزل والمزاح ماذا، وانه متعلق بالقوة الشهوية.

الثالث - ارادة الافتخار والمباهاة: بأن يرفع نفسه بتتقيص غيره، فيقول: فلان لا يعلم شيئاً. وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وأنه أفضل منه. وظاهر أن منشأ ذلك التكبر أو الحسد، فيكون أيضاً من رذائل القوة الغضبية.

الرابع - أن ينسب إلى شيء من القبائح، فيريد أن يتبرأ منه بذكر الذي فعله، وكان اللازم عليه أن يبيريء نفسه منه، ولا يتعرض للغير الذي فعله، وقد يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل، ليتمهد بذلك عذر نفسه في فعله، وربما كان منشأ ذلك صغر النفس وخبثها.

الخامس - مرافقة الاقران ومساعدتهم على الكلام، حذراً عن تنفرهم واستئقالهم إياه لولاه، فيساعدهم على اظهار عيوب المسلمين وذكر مساويهم، ظناً منه أنه مجاملة في الصحبة، فيهلك معهم. وباعث ذلك أيضاً صغر النفس وضعفها.

السادس - أن يستشعر من رجل أنه سيذكر مساويه، أو يقبح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة، فيبادره قبل ذلك باظهار عداوته، أو تقبيح حاله، ليسقط أثر كلامه وشهادته. وربما ذكره بما هو فيه قطعاً، بحيث ثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول: ليس الكذب من عادتي، فاني اخبرتكم قبل ذلك من أحواله كذا وكذا، فكان كما قلت، فهذا أيضاً صدق كسابقه. وهذا أيضاً منشأه الجبن وضعف النفس.

السابع - الرحمة، وهو أن يحزن ويغتم بسبب ما ابتلى به غيره، فيقول: المسكين فلان قد غمني ما ارتكبه من القبح، أو ما حدث به من الالهانة والاستخفاف! فيكون صادقاً في اغتمامه، إلا انه لما ذكر اسمه واطهر عيبه صار مغتاباً، وقد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه وعيبه ممكناً فواقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه ورحمته.

الثامن - التعجب من صدور المنكر والغضب لله عليه، بأن يرى منكراً من إنسان أو سمعه، فيقول عند جماعة: ما اعجب من فلان أن يتعارف مثل هذا المنكر! أو يغضب منه، فيظهر غضبه واسمه ومنكره، فانه وإن كان صادقاً في تعجبه من المنكر وغضبه عليه، لكن كان اللازم ان يتعجب منه ويغضب عليه، ولكنه لا يظهر اسمه عند من لم يطلع على ما صدر منه من المنكر، بل يظهر غضبه عليه بالنهي عن المنكر والامر بالمعروف من غير أن يظهره لغيره، فلما أوقعه الشيطان في ذكره بالسوء صار مغتاباً وبطل ثواب تعجبه وغضبه، وصار أثماً من حيث لا يدري.

وهذه الثلاثة الاخيرة مما يغمض دركها، لأن اكثر الناس يظنون أن الرحمة والتعجب والغضب إذا كان لله كان عذراً في ذكر الاسم، وهو خطأ محض، إذ المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم دون غيرها، وقد روى: " أن رجلاً مر على قوم في عصر النبي (ص)، فلما جاوزهم، قال رجل منهم: إني أبغض هذا الرجل لله، فقال القوم: والله لبئس ما قلت! وإنما نخبره بذلك، فاخبروه به، فأتى الرجل رسول الله (ص) وحكى له ما قال، وسأله أن يدعوه. فدعاه، وسأله عما قال في حقه فقال: نعم! قد قلت ذلك. فقال رسول الله (ص): ولم تبغضه؟ فقال: أنا جاره وأنا به خبير، والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة! فقال: يا رسول الله، فاسأله هل رأيته أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها والركوع والسجود؟ فسأله، فقال: لا فقال: والله ما رأيته



يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه كل بر وفاجر! قال: فاسأله يا رسول الله هل رأني افطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً؟ فسأله، فقال: لا! فقال: والله ما رأيتك يعطى سائلاً قط ولا مسكيناً، ولا رأيتك ينفق من ماله شيئاً في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر! قال: فاسأله هل رأني نقصت منها شيئاً أو ما كست فيها طالبها الذي يسألها؟ فسأله فقال: لا! فقال رسول الله (ص) للرجل: قم، فلعلة خير منك". ولا ريب في أن انكار القوم عليه بعد قوله أبغضه الله يفيد عدم جواز اظهار المنكر الصادر من شخص لغيره، وإن كان في مقام الغضب والبغض لله.

## فصل

### ذم الغيبة

لما علمت حقيقة الغيبة وبواعثها، فأعلم أنها أعظم المهلكات وأشد المعاصي، وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه، وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة، فقال:

" ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه " [1].  
وقال: " لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً " [2]. وقال: " ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد " [3].

وقال رسول الله (ص): " المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ".

والغيبة تتناول العرض. وقال (ص): " إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ". وقال (ص): "

١ [1] الحجرات، الآية: ١٢.

٢ [2] النساء، الآية: ١٤٧.

٣ [3] ق، الآية: ١٨.

مررت ليلة أسري بي على قوم يخمسون وجوههم باظافيرهم، فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ قال الذين يغتابون الناس، ويقعون في اعراضهم ". وخطبت يوماً حتى أسمع العواتق في بيوتها، فقال: " يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فان من تتبع عورة اخيه يتتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته ". وخطب (ص) يوماً فذكر الربا وعظم شأنه، فقال: " إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم ". ومر (ص) على قبرين يعذب صاحباهما، فقال: " إنهما ليعذبان في كبيرة، أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يستبرى من بوله " ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرها، ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبره، وقال: " أما إنه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين " وروى " أنه (ص) أمر الناس بصوم يوم، وقال: لا يفطن أحد حتى أذن له. فصام الناس، حتى إذا أمسوا، جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله، ظلمت صائماً فاذن لي لأفطر، فيأذن له، والرجل والرجل، حتى جاء رجل، فقال: يا رسول الله، فقتان من أهلى ظلمتا صائمتين، وانهما تستحيان أن تأتيك، فأذن لهما لتفطرا. فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه. ثم عاوده، فقال: انهما لم تصوما، وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس، أذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا. فرجع إليهما، فاخبرهما، فاستقاءتا، فقاءت كل واحدة منهما حلقة من دم. فرجع إلى النبي (ص) فاخبره، فقال: والذي نفس محمد بيده! لو بقيتا في بطنيهما لا كلتاهما النار ". وأوحى الله تعالى إلى موسى (ع): " من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار ". وقال (ص): " من مشى في غيبة اخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم، فكشف الله عورته على رؤس الخلائق. ومن اغتاب مسلماً، بطل صومه ونقض وضوءه، فان مات هو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله ". وقال (ص): " الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه " [4]. وقال (ص): "

٤ [4] الرواية المذكورة في (البحار): ٤مج ١٥/١٧٧. قال في الموضوع المذكور: " بيان: الاكلة - كقرحة - داء في العضو يأكل منه، وقد يقرأ بمد الهمزة على وزن فاعلة، أي العلة التي تأكل اللحم. والأول أوفق باللغة. وقيل الاكلة - بالضم - اللقمة، وكلاهما محتملان إلى ان ذكر الجوف يؤيد الأول واردة الاضافة والاذهاب يؤيد الثاني والأول أقرب وأصوب، وتشبيهه الغيبة بأكل اللقمة أنسب، لأن الله سبحانه شبهها بأكل اللحم ".

الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة، مالم يحدث "، فقيل: يا رسول الله، وما الحدث؟ قال: " الاغتيا ب " . وقال (ص): " من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلا أن يغفر له صاحبه " . وقال (ص): " من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه " وقال (ص): " من اغتاب مؤمناً بما فيه، لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه، انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير " . وقال (ص): " كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة . فاجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار " . وقال (ص): " ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين، فنزهوا أسماعكم من استماع الغيبة، فإن القائل والمستمع لها شريكان في الاثم " . وقال (ص): " ما النار في التبن بأسرع من الغيبة في حسنة العبد " [5] وقال الصادق (ع): " من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه، فهو من الذين قال الله عز وجل: (إن الذي يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم) . وقال (ع): " من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس، اخرج الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان " . قال (ع): " من اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان " [6] . وقال (ع): " الغيبة حرام على كل مسلم، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " .

والأخبار الواردة في ذم الغيبة مما لا يكاد يمكن حصرها، وما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين . والعقل أيضاً حاكم بأنها أخبث الرذائل، وقد كان السلف لا يرون العبادة في الصوم والصلاة، بل في الكف عن اعراض الناس، لأنه كان عندهم أفضل الاعمال، ويرون خلافة صفة المنافقين، ويعتقدون أن الوصول إلى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة، لما ورد عن رسول الله (ص)

٥ [5] صححنا الأحاديث هنا على (الوسائل): كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب ١٥٢ . وعلى (البحار): ٤مج/١٧٧ . وعلى (المستدرک): ١٠٦/٢ وعلى (إحياء العلوم): ١٢٢/٢ .

٦ [6] صححنا الأحاديث الثلاثة على (الوسائل) في الموضوع المتقدم . وعلى (أصول الكافي) باب الغيبة والبهت . وعلى (المستدرک) .

أنه قال: " من حسنت صلاته وكثرت عياله، وقل ماله، ولم يغترب المسلمين، كان معي في الجنة كهاتين " وما أقبح بالرجل المسلم أن يغفل عن عيوب نفسه، ويتجسس على عيوب إخوانه، ويظهرها بين الناس، فما باله يبصر القذى في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عين نفسه. فيا حبيبي، إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوبك وتيقن بأنك لن تصيب حقيقة الإيمان، حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب. وإذا كان شغلك إصلاح عيوب نفسك، كان شغلك في خاصة نفسك، ولم تكن لك فرصة للاشتغال بغيرك، وحينئذ كنت من أحب العباد إلى الله، لقول النبي (ص): " طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس! ". واعلم أن عجز غيرك في الاجتناب عن ذلك العيب وصعوبة ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه إن كان ذلك العيب فعلاً اختيارياً، وإن كان أمراً خلقياً، فالذم له ذم للخالق تعالى. فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها. قيل لبعض الحكماء: يا قبيح الوجه! فقال: " ما كان خلق وجهي إلي فاحسنه ". ولو فرض براءتك عن جميع العيوب، فلتشكر الله، ولا تلوث نفسك بأعظم العيوب. إذا أكل لحوم الميتات أشد العيوب وأقبحها، مع إنك لو ظننت خلوك عن جميع العيوب لكنك أجهل الناس، ولا عيب أعظم من مثل هذا الجهل.

ثم ينبغي أن يعلم المغتاب ان الغيبة تحبط حسناته وتزيد في سيئاته. لما ثبت من الأخبار الكثيرة: ان الغيبة تنقل حسنات المغتاب يوم القيامة إلى من اغتابه، وان لم تكن له حسنة نقل إليه من سيئاته. قال رسول الله (ص): " يؤتى أحدكم يوم القيامة، فيوقف بين يدي الله تعالى ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي، فإني لا ارى فيه طاعتي، فيقول له: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس. ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي، فإني ما عملت هذه الطاعات، فيقول له: إن فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك ". هذه معناه أخبار اخر. ولا ريب في أن العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته، وربما تنقل إليه سيئة واحدة مما اغتاب به مسلماً، فيحصل به الرجحان ويدخل لأجله النار. وأقل ما في الباب أن ينقص من ثواب صالحات أعماله، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والمناقشة في الحساب. وروي عن بعضهم: " أن رجلاً قيل له: فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب،

وقال: بلغني أنك قد أهديت الي من حسناتك، فأردت أن أكافيك عليها فاعذرني، فاني لا أقدر أن أكافيك على التمام".

والحاصل: أن العاقل ينبغي أن يتأمل في أن من يغتابه ان كان صديقاً ومحباً له، فإظهار عيوبه وعثراته بعيد عن المروة والانصاف، وان كان عدواً له، فتحمل خطاياهم ومعاصيهم ونقل حسناتهم إلى ديوانه غاية الحماقه والجهل.

## فصل

### (علاج الغيبة)

الطريق في علاج الغيبة وتركها، أن يتذكر أولاً ما تقدم من مفسدها الأخروية، ثم يتذكر مفسدها في الدنيا، فإنه قد تصل الغيبة إلى من اغتیب، فتصير منشأ لعداوته أو لزيادة عداوته، فيتعرض لإيذاء المغتاب وأهانته، وبما انجر الأمر بينهما إلى ما لا يمكن تداركه من الضرب والقتل وأمثال ذلك. ثم يتذكر فوائد أضرارها - كما نشير إليها -، وبعد ذلك فليراقب لسانه، ويقدم التروي في كلام يريد أن يتكلم به، فان تضمن غيبة سكت عنه، وكلف نفسه ذلك على الاستمرار، حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلي والخفي إلى الغيبة.

والعمدة في العلاج أن يقطع أسبابها المذكورة، وقد تقدم علاج الغضب والحقد والحسد والاستهزاء والسخرية، ويأتي طريق العلاج في الهزل والمطايبة والافتخار والمباهاة. وأما تنزيه النفس بنسبة ما نسب إليه من الجناية إلى الغير، فمعالجته أن يعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق، ومن اغتاب تعرض لمقت الله وسخطه قطعاً، ولا يدري أنه يتخلص من سخط الناس أم لا، فيحصل بعمله ذم الله وسخطه تقديراً، ومنتظر دفع ذم الناس نسيئة، وهذا غاية الجهل والخذلان. وأما تعرضه لمشاركة الغير في الفعل تمهيداً لعذر نفسه، كأن يقول إني أكلت الحرام، لأن فلاناً أيضاً أكل، وقبلت مال السلطان، لأن فلاناً أيضاً قبل، مع أنه أعلم مني، فلا ريب في أنه جهل وسفه، لأنه اعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به. فان من خالف الله لا يقتدى به كائناً من

كان، فلو دخل غيره النار وهو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدى به في الدخول، ولو دخل عد سفيهاً أحمق، ففعله معصية، وعذره غيبة وغباوة، فجمع بين المعصيتين والحماقة، ومثله كمثل الشاة، إذا نظرت إلى العنز تردى نفسها من الجبل فهي أيضاً تردى نفسها، ولو كان لها لسان ناطق واعتذرت عن فعلها بأن العنز اكييس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك فعلت أنا، لكان هذا المغتاب المعتذر يضحك عليها، مع أن حاله مثل حالها ولا يضحك على نفسه.

والعجب أن بعض الأشقياء من العوام، لما صارت قلوبهم عش الشيطان وصرخوا أعمارهم في المعاصي، واشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحيث لا يرجى لهم الخلاص، مالت نفوسهم الخبيثة إلى ألا يكون معاد وحساب وحشر وعقاب، ولما وجد ذلك الميل منهم اللعين، خرج من الكمين، ووسوس في صدورهم بأنواع الشكوك والشبهات، حتى ضعف بها عقائدهم أو افسدها، ودعاهم في مقام الاعتذار عن أعمالهم الخبيثة ألا يصرحوا لما ارتكز في قلوبهم ويشتهونه، خوفاً من القتل واجراء أحكام الكفار عليهم ولم يدعهم أيضاً تلبيسهم وتزويرهم وغلبة الشيطنة عليهم أن يعترفوا بالنقص وسوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على أن يعتذروا من سوء فعالهم بأن بعض العلماء يفعلون ما نفعل ولا يجتنبون عن مثل أعمالنا، من طلب الرئاسة وأخذ الأموال المحرمة، ولم يدروا أن هذا القول ناش من جهلهم وخبائثهم.

إذ نقول لهم: إن فعل هذا البعض إن صار منشأ لزوال إيمانكم بالمعاد والحساب، فأنتم كافرون، وباعث أعمالكم الخبيثة هو الكفر وعدم الإذعان بأحوال النشأة الآخرة. وإن لم يصر منشأ له، بل إيمانكم ثابت، فاللازم عليكم العمل بمقتضاه، من غير تزلزل بعمل الغير كائناً من كان فما الحجة في عمل هذا البعض، مع اعتقادكم بأنه على باطل؟!.

وأيضاً لو كان باعث أعمالكم الخبيثة فعل العلماء، فلم اقتديتم بهذا البعض مع عدم كونه من علماء الآخرة وعدم اطلاعه على حقيقة العلم؟ ولو كنتم صادقين فيما تنسبون إليه، فهو المتأكل بعلمه، وأنما حصل نبذا من علوم الدنيا ليتوسل بها إلى حطامها، ولا يعد مثله عند أولي الأبواب عالماً، بل هو متشبه بالعلماء. ولم ما اقتديتم بعلماء الآخرة المتخلفين بشرائهم عن الدنيا وحطامها؟ وإنكار وجود مثلهم، والقده في الكل مع كثرتهم في أقطار الأرض غاية اللجاج والعناد. ولو سلمنا منكم

ذلك، فلم ما اقتديتم بطوائف الأنبياء والأوصياء، مع أنهم أعلم الناس باتفاق الكل، وحقيقة العلم ليس إلا عندهم؟ فان أنكروا أعلميتهم وعصمتهم من المعاصي، واحتملوا كونهم أمثالا لهم، ظهر ما في بواطنهم من الكفر الخفي.

وأما موافقة الأقران، فعلاجه أن يتذكر ان الله يسخط عليه ويغضه إذا اختار رضا المخلوقين على رضاه، وكيف يرضى المؤمن ان يترك رضا ربه لرضا بعض أراذل الناس؟ وهل هذا إلا كونه تعالى أهون عنده منهم؟ وهو ينافي الإيمان.

وأما استشعاره من رجل انه يقبح عند محتشم حاله أو يشهد عليه بشهادة فيبادره بالغيبة اسقاطاً لأثر كلامه، فعلاجه أن يعلم: (أولاً) ان مجرد الاستشعار لا يستلزم الوقوع، فلعله لا يقبح حاله ولا يشهد عليه، فالمواخذه بمحض التوهم تنافي الديانة والإيمان. و(ثانياً) ان اقتضاء قوله سقوط أثر كلام من اغتابه في حقه مجرد توهم، والتعرض لمقت الله يقيناً بمجرد توهم ترتب فائدة دنيويه عليه محض الجهل والحمافة. و(ثالثاً) أن تأدي فعل الغير - أعني تقبيح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه - إلى اضراره في حيز الشك، إذ ربما لم يقبله المحتشم، وربما لم تقبل شهادته شرعاً، فتقبيح حاله وتحمل معاصيه بدون الجزم بصيرورته سبباً لا يذائه محض الجهل والخذلان.

وأما الرحمة له على ائمه والتعجب منه والغضب لله عليه، وان كان كل منها حسناً، إلا أنه إذا لم تكن معه غيبة، وأما إذا كانت معه غيبة أحبط أجره وبقي ائمه، فالعلاج ان يتأمل باعث الرحمة والتعجب والغضب هو الإيمان وحماية الدين، وإذا كان معها غيبة أضرت بالدين والإيمان، وليس شيء من الأمور الثلاث ملزوماً للغيبة لإمكان تحققه بدونها، فمقتضى الإيمان وحماية الدين أن يترحم ويتعجب ويغضب لله، مع ترك الغيبة وإظهار الإثم والعيب، ليكون مأجوراً غير آثم.

---

مسوغات الغيبة  
كفارة الغيبة  
البهتان  
المدح ومواضع حسنه وبقحه  
الكذب  
ذم الكذب

## فصل

### (مسوغات الغيبة)

لما عرفت ان الغيبة ذكر الغير بما يكرهه لو سمعه، فاعلم ان ذلك انما يحرم إذا قصد به هتك عرضه، والتفكه به، أو اضحاك الناس منه. واما إذا كان ذلك لغرض صحيح لا يمكن التوصل إليه إلا به. فلا يحرم، والاغراض الصحيحة المرخصة له أمور.

الأول - التظلم عند من له رتبة الحكم واحقاق الحقوق، كالقضاة والمفتين والسلاطين، فان نسبة الظلم والسوء إلى الغير عندهم لاستيفاء الحق جائز، لقول النبي (ص): " لصاحب الحق مقال "، وقوله (ص): " لي الواجد يحل عرضه وعقوبته " وعدم انكاره (ص) على قول هند بحضرتة: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني آيبي وولدي، فأخذ من غير علمه؟ وقوله (ص) لها: " خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ".

والثاني - الاستعانة على رفع المنكر ورد العاصي إلى الصلاح، وانما يستباح بها ذكر مساءته بالقصد الصحيح لا بدونه.

الثالث - نصح المستشير في التزويج، وإيداع الأمانة، وامثالهما كذلك جرح الشاهد والمفتي والقاضي إذا سئل عنهم، فله ان يذكر ما يعرفه من عدم العدالة والأهلية للإفتاء والقضاء، بشرط صحة القصد واردة الهداية وعدم باعث حسد او تلبيس من الشيطان، وكذلك توقي المسلمين من الشر والضرر أو سراية الفسق والبدعة، فإن من رأى عالماً أو غيره من المؤمنين يتردد إلى ذي شر أو فاسق أو مبتدع، وخاف أن يتضرر ويتعدى إليه الفسق والبدعة بمصاحبتة. ويجوز له أن يكشف له ما يعرفه من شره وفسقه وبدعته. بشرط كون الباعث مجرد خوف وصول الشر والفساد



أو سراية الفسق والبدعة اليه. قال رسول الله (ص): " أترعون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس ". ومن جملة ما يدخل في تحذير المسلمين وتوقيهم من الشر والضرر، وإظهار عيب يعلمه في مبيع، وان كره البايع، حفظاً للمشتري من الضرر. مثل أن يشتري عبداً، وقد عرفه بالسرقة أو الفسق أو عيب آخر، أو فرساً، وقد عرفه بكونه مال الغير، فله أن يظهر ذلك، لاستلزام سكوته ضرراً على المشتري.

الرابع - رد من ادعى نسباً ليس له.

الخامس - القدح في مقالة أو دعوى باطلة في الدين.

السادس - الشهادة على فاعل المحرم حسبة

السابع - ضرورة التعريف، فانه اذا كان أحد معروفاً بلقب يعرب عن عيب، وتوقف تعريفه عليه، ولم يكن اثم في ذكره، بشرط عدم إمكان التعريف بعبارة أخرى، لفعل الرواة والعلماء في الإعصار والامصار فانهم يقولون: روى الأعمش والأعرج وغير ذلك، لأن الغالب صيرورته بحيث لا يكرهه صاحبه.

الثامن - كون المقول فيه مستحقاً للاستخفاف، لتظاهرة وتجاهره بفسق، كالظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك، بشرط عدم التعدي عما يتظاهر به، إذا لو ذكره بغير ما يتظاهر به لكان اثماً، وأما إذا ذكر منه مجرد ما يتجاهر به فلا اثم عليه، إذ صاحبه لا يستنكف من ذكره، وربما يتفاخر به ويقصد اظهاره. ومع قطع النظر عن ذلك، فالأخبار دالة عليه، كما تقدم جملة منها. وقال رسول الله (ص): " من القى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له ". وقال (ص): " ليس لفاسق غيبة ".

والظاهر أن ذكر ما يتجاهر به من العيوب ليس غيبة، لا شرعاً ولا لغة، لا انه غيبة استثنى جوازها شرعاً، قال الجوهرى: " الغيبة أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فان كان صدقاً سمي غيبة وإن كان كذباً سمي بهتاناً ".

هذا وقد صرح جماعة بجواز الغيبة في موضعين آخرين: أحدهما: أن يكون اثنان أو اكثر مطلعين على عيب رجل، فيقع تحاكيه بينهم من غير أن يظهره لغيرهم ممن لم يطلع عليه، وفي

بعض الأخبار المتقدمة دلالة على جوازه، كما لا يخفى. وثانيهما: أن يكون متعلقها - اعني المقول فيه - غير محصور، كأن يقال: " قال قوم كذا، أو أهل البلد الفلاني كذا ". ومثله إذا قال: " بعض الناس يقول أو يفعل كذا، أو من مر بنا اليوم شأنه كذا "، إذا لم يتعين البعض والمار عند المخاطب، لو انتقل إلى شخص معين لقيام بعض القرائن، كانت غيبة محرمة، وكذا لو قال: بعض من قدم من السفر، أو بعض من يدعي العلم "، إن كان معه قرينة يفهم عين الشخص فهو غيبة وإلا فلا. وكذا ذكر مصنف في كتابه فاضلاً معيناً، وتهجين كلامه بلا اقتران شيء من الاعذار المحوجة إلى ذكره غيبة، وأما لو ذكره بدون تعيينه، كأن يقول: " ومن الفضلاء من صدر عنه في المقام هفوة أو عثرة "، فليس غيبة. ثم السر في اشتراط الغيبة بكونه تعريضاً لشخص معين، وعدم كون التعرض بالمبهم وغير المحصور غيبة، عدم حصول الكراهة مع الابهام وعدم الانحصار، كما لا يخفى. وربما كان في بعض الأخبار أيضاً اشعار به، وقد كان رسول (ص): إذا كره من إنسان شيئاً يقول: " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا " من دون تعيين للفاعل.

### تذنيب

### كفارة الغيبة

كفارة الغيبة - بعد التوبة والندم للخروج عن حق الله - أن يخرج من حق من اغتابه. وطريق الخروج من حقه، إن كان ميتاً أو غائباً لم يكن الوصول إليه، أن يكثر له من الاستغفار والدعاء، ليحسب ذلك يوم القيامة من حسناته ويقابل بها سيئة الغيبة، وإن كان حياً يمكن الوصول إليه ولم تبلغ إليه الغيبة، وكان في بلوغها إليه مظنة العداوة والفتنة، فليكثر له أيضاً من الدعاء والاستغفار، من دون ان يخبره بها، وإن بلغت إليه أو لم تبلغه، ولم يكن في بلوغها ظن الفتنة والعداوة، فليستحله متعذراً متأسفاً مبالغاً في الثناء عليه والتودد إليه، واليواطب على ذلك حتى يطيب قلبه ويحله فان لم يطب قلبه من ذلك ولم يحله، كان اعتذاره وتودده حسنة يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة.

والدليل على هذا التفصيل قول الصادق (ع): " وإن اغتبت فبلغ المغتاب، فاستحل منه، فإن لم

تبلغه لم تلحقه، فاستغفر الله " [1] وذلك لأن في الاستحلال مع عدم البلوغ إليه إثارة للفتنة وجا

الضعائن وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه بموت أو غيبة، وعلى هذا فقول النبي (ص): " كفارة من اغتبطه أن تستغفر له ". محمول على صورة عدم إمكان الوصول إليه، أو إمكانه مع ايجاب الاعلام والاستحلال لإثارة الفتنة والعداوة. وقوله (ص): " من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال، فليتحللها منه من قيل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، إنما يؤخذ من حسناته، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته "، محمول على صورة البلوغ، مع عد ايجاب الاعلام والاستحلال فتنة وعداوة.

### تتميم

### البهتان

قد ظهر مما تقدم أن البهتان إن تقول في مسلم ما يكرهه ولم يكن فيه، فإن كان ذلك في غيبته كان كذبا وغيبة، وإن كان بحضوره كان أشد أنواع الكذب. وعلى أي تقدير، فهو أشد إثماً من الغيبة والكذب قال الله سبحانه:

" ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً " [2]٢. وقال رسول الله (ص): " من بهت مؤمناً أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله على تل من نار، حتى يخرج مما قاله فيه ". وقال الصادق (ع): " من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه، بعثه الله عز وجل في طينة خبال، حتى يخرج مما قال " قلت: وما طينة خبال؟ قال: " صديد يخرج من فروج المومسات



"**3**] ثم ما ورد في ذم اللسان وكونه شر الاعضاء ومنبع أكثر المعاصي - كما يأتي في موض

يدل على ذم الغيبة والبهتان، كما يدل على ذم جميع آفات اللسان مما تقدم: من الفحش، واللعن، والطعن، والسخرية، وغير ذلك، وما يأتي: من الكذب، والمزاح، والخوض في الباطل. وفضول الكلام، وغير ذلك.

## فصل

### المدح ومواضع حسنه وقبحه

الغيبة لما كانت راجعة إلى الذم، فضدها المدح ودفع الذم، والبهتان لما كان كذباً، فضده الصدق. وكما أن لكل واحدة من آفات اللسان مما مر وهما يأتي ضدّاً خاصاً، فكذلك لجميعها ضد واحد عام هو الصمت - كما اشير إليه فيما سبق أيضاً وضد البهتان - أعني الصدق - يأتي في مقام بيان الكذب. وأما الضد العام للكل، فقد يأتي في موضعه مع ما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان، فهنا نشير إلى بيان المدح وما يحمد منه، حتى يكون ضدّاً لها وفضيلة للقوة الغضبية أو الشهوية، وما يذم منه حتى يكون رذيلة لاحدهما، فنقول:

لا ريب في أن مدح المؤمن في غيبته وحضوره ممدوح مندوب إليه لكونه ادخالا للسرور عليه، وقد علم مدحه وثوابه، ولما ورد من أن رسول الله (ص) أثنى على أصحابه، وأنه قال لجماعة - لما اثنوا على بعض الموتى -: " وجبت لكم الجنة، وانتم شهداء الله في الأرض " ولما ورد من أن لبنى آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكر أحد أخاه المسلم بخير، قالت الملائكة: ولك مثله، وإذا ذكره بسوء، قالت الملائكة: يا ابن آدم المستور عورته، إربع على نفسك! واحمد الله إذ ستر عورتك " ولكنه ليس راجحاً مندوباً على الإطلاق، بل إذا سلم من آفاته، وهي أن يكون صدقاً لا يفرط المادح فيه، بحيث ينتهي إلى الكذب، وألا يكون المادح فيه مرانياً منافقاً، بأن يكون غرضه اظهار الحب مع عدم كونه محباً في الواقع سواء كان صادقاً فيما يقول في حقه، لأنه يفرح بمدحه وادخال الفرح على الظالم أو الفاسق غير جائز، قال رسول الله (ص): " إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ". فالظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم، ولا يمدح ليفرح، وألا يقول مالا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

---



وهذه الآفة إنما تتطرق في المدح بالأوصاف المطلقة والخفية، كقولك إنه تقي ورع زاهد خير، أو قولك: إنه عدل رضي، وأمثال ذلك، لتوقف الصدق في ذلك على قيام الأدلة والخبرة الباطنة، وتحققهما في غاية الندرة. فالغالب أن المدح بامثال ذلك يكون من غير تحقق وثبت، وألا يحدث في الممدوح كبراً أو اعجاباً يوجبان هلاكه، ولا رضى عن نفسه يوجب فتوره عن العمل، إذ من اطلقت الألسنة بالثناء عليه يرضى عن نفسه، ويظن أنه قد أدرك، وهذا يوجب فتوره عن العمل، إذ المتشمر له إنما هو من يرى نفسه مقصراً، ولذلك قال رسول الله (ص): لرجل مدح بحضرته رجلا آخر: " ويحك! قطعت عنق صاحبك، لو سمعها ما أفلح" وقال (ص): " إذا مدحت أخاك في وجهه، فكأنما أمررت على حلقه موسى " وقال أيضاً لمن مدح رجلا: " عقرت الرجل عقرك الله! ".

وقال (ص): " لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف، كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه ".

والسر في هذه الأخبار: أن المدح يوجب الفتور عن العمل، أو الكبر أو العجب، وهو مهلك، كقطع العنق والعقر وامرار موسى أو السكين على الحلق، فان سلم المدح عن الآفات المذكورة المتعلقة بالمادح والممدوح كان ممدوحاً، وإلا كان مذموماً. وبذلك يحصل الجمع بين ما ورد في مدحه - كما تقدم - وما ورد في ذمه.

فاللزام على المادح أن يحترز عما تقدم من الآفات المتعلقة به، وعلى الممدوح أن يحترز من آفة الكبر والعجب والفتور والرياء، بأن يعرف نفسه ويتذكر خطر الخاتمة، ولا يغفل عن دقائق الرياء، ويظهر كراهة المدح، واليه الإشارة بقوله (ص): " احثوا التراب في وجوه المداحين ". وبالجملة:

اللازم على الممدوح ألا يتفاوت حاله بالمدح، وهذا فرع معرفة نفسه، وتذكر مالا يعرفه المادح من عثراته وينبغي أن يظهر أنه ليس كما عرفوه، قال بعض الصالحين لما اثني عليه " اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني ". وقال أمير المؤمنين (ع) لما أثني عليه: " اللهم اغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون ".

ثم الظاهر عدم المؤاخذة والأثم بالانبساط والارتياح بالمدح، لكون النفوس مجبولة على الفرح والسرور بنسبة الكمال إليها، ولكن بشرط أن يكره من نفسه ذلك الارتياح، ويقهر نفسه ويعاتبها على ذلك، ويجتهد في إزالة ذلك عنها، إذ مقتضى العقل الفرح بوجود الكمال فيه لا بنسبته إليه، فما

ينسب إليه منه إن كان موجوداً فيه، فينبغي أن يكون فرحه به لا بنسبته إليه، إذ الانبساط بتصريح رجل بأنك صاحب هذا الكمال حمق وسفه. وإن لم يكن موجوداً فيه، فاللزام أن يحزن ويغضب، لكونه استهزاء لا مدحاً. والحاصل: أن العاقل ينبغي ألا يسر بمدح الغير ولا يحزن بذمه، إذ من ملك ياقوتة شريفة حمراء أي ضرر عليه إذا قال رجل إنها خرزة، وإذا ملك خرزة أي فائدة له إذا قال إنها ياقوتة.

ومنها:

### الكذب

وهو إما في القول، أي الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه وصدوره إما عن العداوة أو الحسد أو الغضب، فيكون من رذائل قوة الغضب، أو من حب المال والطمع، أو الاعتقاد الحاصل من مخالطة أهل الكذب، فيكون من رذائل قوة الشهوة.

أو في النية والإرادة، وهو عدم تمحيضها بالله، بالأ يكون الله سبحانه بانفراده باعث طاعته وحركاته، بل يمازجه شيء من حظوظ النفس، وهذا يرجع إلى الرياء، ويأتي كونه من رذائل أي قوة.

وإما في العزم، أي الجزم على الخير، وذلك بأن يعزم على شيء من الخيرات والقربات، ويكون في عزمه نوع ميل وضعف وتردد يضاد الصدق في العزيمة، وهذا أيضاً من رداءة قوة الشهوة. وإما في الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال، لعدم مشقة في الوعد، فإذا حقت الحقائق، وحصل التمكن، وهاجت الشهوات، انحلت العزيمة، ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا أيضاً من رذائل قوة الشهوة ومن أنواع الشره.

وإما في الأعمال، وهو أن تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، أي لا يكون باطنه مثل ظاهره ولا خيراً منه. وهذا غير الرياء، لأن المرأى هو الذي يقصد غير الله تعالى في أعماله، ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره سبحانه ولكن قلبه

غافل عن الله وعن الصلاة، فمن نظر إلى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع والاستكانة، يظن انه بشر اشهره منقطع إلى جناب ربه، وحذف ما سواه عن صحيفة قلبه، وهو بكليته عنه تعالى غافل، والى أمر من أمور الدنيا متوجه. وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة الطمأنينة والوقار، بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينة والوقار، مع ان باطنه ليس موصوفاً بذلك. فمثل ذلك كاذب في عمله، وان لم يكن مرئياً ملتفتاً إلى الخلق، ولانجاة من هذا الكذب إلا باستواء السريرة والعلانية، أو كون الباطن أحسن من الظاهر. وهذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوة الشهوة، وربما كان من رذائل قوة الغضب، وربما كان من رداءة القوة المدركة، بأن كان باعته مجرد الوسواس.

وأما في مقامات الدين، كالكذب في الخوف والرجاء، والزهد والتقوى، والحب والتعظيم، والتوكل والتسليم، وغير ذلك من الفضائل الخلقية، فان لها مبادئ يطلق الاسم بظهورها، ثم لها حقائق ولوازم وغايات والصادق المحقق من نال حقائقها ولوازمها وغاياتها، فمن لم يبلغها كان كاذباً فيها. مثلاً الخوف من الله تعالى له مبدأ هو الإيمان به سبحانه وحقيقة هو تألم الباطن واحتراقه، ولوازم وأثار هي اصفرار اللون وارتعاد الفرائض وتكدر العيش وتقسم الفكر وغير ذلك، وغايات هي الاجتناب عن المعاصي والسيئات والمواظبة على الطاعات والعبادات، فمن آمن بالله تعالى صدق عليه كونه خائفاً منه خوفاً يطلق عليه الاسم، إلا أنه إن لم تكن معه حرقة القلب وتكدر العيش والتشمر للعمل كان خوفاً كاذباً، وإن كان معه ذلك كان خوفاً صادقاً، أي بالغاً درجة الحقيقة، قال أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - : " إياكم والكذب، فان كل راج طالب، وكل خائف هارب

"٤[4]: أي لا تكذبوا في ادعائكم الرجاء والخوف من الله، وذلك لأن كل راج طالب لما يرجو،

ساع في أسبابه، وأنتم لستم كذلك، وكل خائف هارب مما يخاف منه، مجتنب مما يقربه منه، وأنتم لستم كذلك، وهذا مثل قوله (ع) في نهج البلاغة: " كذب والله العظيم ما باله لا يتبين رجاءه في

---

علمه! وكل من رجا عرف رجاؤه إلا رجاء الله، فانه مدخول، وكل خوف محقق إلا خوف الله فانه

معلول... " [5].

ثم الكذب في كل مقام لما كان راجعاً إلى عدمه، فيكون رذيلة متعلقة بالقوة التي في هذا المقام فضيلة متعلقة بها. وبما ذكر يظهر: أن من له مبدأ الإيمان، اعني الاقرار بالشهادتين، وكان فاقداً لحقيقته، اعني اليقين القطعي بالمبدأ والمعاد، أو للوازمه وغاياته، أعني الخوف الصادق منه تعالى والتعظيم الحقيقي له سبحانه والاهتمام البالغ في امتثال أو امره ونواهيه، كان كاذباً في دعوى الإيمان.

## فصل

### نم الكذب

الكذب أفتح الذنوب وأفحشها، وأخبث العيوب وأشنعها، قال الله سبحانه:

" إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون " [6]. " فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا

الله ما وعده وبما كانوا يكذبون " [7].





وقال رسول الله (ص): " إياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار ".  
وقال (ص): " المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ  
العرش، فيلعنه حملة العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية، أهونها كمن زنى مع أمه

٨[8]. وسئل (ص): " يكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم! قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: نعم! قيل: ويكون

كذاباً؟ قال: لا! " قال (ص): " كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب ". وقال (ص): " الكذب ينقص الرزق ". وقال (ص): " ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم! ويل له ويل له! ". وقال (ص): " رأيت كأن رجلا جاءني، فقال لي: قم، فقامت معه، فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس، وبيد القائم كلوب من حديد يلقيه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان، فقلت للذي أقامني: ما هذا؟ فقال: هذا رجل كذاب، يعذب في قبره إلى يوم القيامة ". وقال (ص): " ألا أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور ": أي الكذب. وقال (ص): " إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به ". وقال (ص): " إن للشيطان كحلاً ولعوقاً

---

ونشوقاً. فاما لعوقه فالكذب، وأما نشوقه فالغضب، وأما كحله فالنوم " [9]. وقال روح الله

لأصحابه: " من كثر كذبه ذهب بهأوه ". وقال أمير المؤمنين (ع): " لا يجد العبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب، هزله وجده ". وقال (ع): " أعظم الخطايا عند الله اللسان والكذب، وشر الندامة ندامة يوم القيامة ". وقال علي بن الحسين (ع): " اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل، فان الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير ". وقال أبو جعفر (ع): " إن الله عز وجل جعل للشرا أقالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقال الشراب، والكذب شر من الشراب ". وقال (ع): " الكذب هو خراب الإيمان " وقال (ع): " إن أول من يكذب الكذاب الله عز وجل، ثم الملكان اللذان معه، ثم هو يعلم أنه كاذب ". وقال الإمام الزكي العسكري (ع): " جعلت الخبائث كلها في بيت، وجعل مفتاحها الكذب " والأخبار الواردة في ذم الكذب أكثر من أن تحصى. وأشد أنواع الكذب إثماً ومعصية الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة، وكفاه ذماً أنه يبطل الصوم، يوجب القضاء والكفارة على الأقوى. قال الصادق (ع): " إن الكذبة لتفطر الصائم "، قال الراوي: وأينا لا يكون ذلك منه، قال: " ليس حيث ذهبت، إنما الكذب على الله تعالى وعلى رسوله وعلى الأئمة (ع) ". وقال (ع): " الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأوصياء (ع) من الكبائر ". وذكر عنده (ع) الحائك، وكونه

---

ملعوناً، فقال: " إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله ". وقال الباقر (ع): " لا تكذب

علينا كذبة، فتسلب الحنيفية" [10].

---

---



مسوغات الكذب  
التورية والمبالغة  
شهادة الزور واليمين الكاذب وخلف الوعد  
علاج الكذب  
الصدق ومدحه  
أقسام الصدق

## فصل

### مسوغات الكذب

الكذب حرام، لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره، أو لاجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع، فيصير سبباً لجهله. وهذا القسم مع كونه أهون الدرجات وأقلها إثماً، محرم أيضاً، إذ إلقاء خلاف الواقع على الغير وسببية جهله غير جائز، إلا أنه إذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة، ولم يمكن التوصل إليها بالصدق، زالت حرمة وارتفع ائمه فان كانت المصلحة مما يجب تحصيلها، كانقاد مسلم من القتل والاسر أو حفظ عرضه أو ماله المحترم، كان الكذب فيه واجباً. وان كانت راجحة غير بالغة حد الوجوب، فالكذب لتحصيلها مباح أو راجح مثلها كالأصلاح بين الناس والغلبة على العدو في الحرب، وتطبيب خاطر امرأته واسترضائها وقد وردت الأخبار المتكثرة بجواز الكذب إذا توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثة، كما روى: " ان رسول الله (ص) لم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الأصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها"، وقال (ص): " ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً". وقال (ص): " كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما". وقال (ص): " كل الكذب مكتوب كذبا لامحالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب في الحرب خدعة، أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما، أو يحدث امرأته يرضيها". وقال (ص): " لا كذب على المصلح". وقال الصادق (ع): " كل كذب مسؤول

عنه صاحبه يوماً، إلا كذباً في ثلاثة: رجل كايده في حروبه، فهو موضوع عنه. أو رجل

اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا، يريد بذلك الإصلاح ما بينهما. أو رجل وعد

أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم". وقال (ع): "الكلام ثلاثة: صدق وكذب، واصلاح بين

الناس "، قيل له: ما الاصلاح بين الناس قال: " تسمع في الرجل كلاماً يبلغه فيخبت نفسه،

فتلقاه وتقول: قد سمعت من فلان فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه " [1] وقد

تقدمت أخبار آخر في هذا المعنى.

وهذه الأخبار وإن اختصت بالمقاصد الثلاثة، إلا أن غيرها من المقاصد الضرورية التي فوقها أو مثلها في المصلحة يلحقها من باب الأولوية أو اتحاد الطريق. والأخبار التي وردت في ذم هتك السر وكشف العيوب والفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع، وإن كان مطلعاً مع كونه كذباً، فلا اثم على أحد بصدور الكذب عنه إذا كان وسيلة إلى شيء من المقاصد الصحيحة الضرورية له أو لغيره من المسلمين، فإن أخذه ظالم وسأله عن ماله فله أن ينكر، وإن أخذه سلطان وسأله عن فاحشة ارتكبها بينه وبين الله فله أن ينكر، وإن سئل عما يعلمه عن عيب أخيه أو سره فله أن ينكره، ولو وقع بين اثنين فساد فله أن يكذب، توسلاً إلى الإصلاح بينهما وكذا يجوز له للإصلاح بين الضرات من نسائه أن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه، وإن كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد مالا يقدر عليه، يجوز أن يعدها في الحال تطيباً لقلبها، وإن لم يكن صادقاً في وعده. ويلحق بالنساء الصبيان، فإن الصبي إذا لم يرغب فيما يؤمر به من الكتابة وغيرها إلا بوعد أو وعيد وتخويف، كان ذلك جائزاً، وإن لم يكن في نيته الوفاء به. وكذا لو تكدر منه إنسان، وكان لا يطيب قلبه إلا بالاعتذار إليه، بانكار ذنب وإظهار زيادة تودد، كان ذلك جائزاً وإن لم يكن صادقاً.

والحاصل: أن الكذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز، بشرط صحة القصد. وقد ورد: إن الكذب المباح يكتب ويحاسب عليه لتصحيح قصده، فإن كان قصده صحيحاً يعفى، وإلا يؤاخذ به. فينبغي أن يجتهد في تصحيح قصده، وإن يحترز عنه مالم يضطر إليه، ويقتصر فيه على حد الواجب، ولا يتعدى إلى ما يستغنى عنه.

ولا ريب في أن ما يجب ويضطر إليه هو الكذب لأمر في فواتها محذور واضرار، وليس كل الكذب لزيادة المال والجاه وغير ذلك مما يستغنى عنه، فانه محرم قطعاً، إذ فواته لا يوجب ضرراً وفساداً واعداماً للموجود بل إنما يوجب فوت حظ من حظوظ النفس. وكذلك فتوى العالم بما لا يحققه وفتوى من ليس له اهلية الافتاء، اظهاراً للفضل أو طلباً

---

للجاه والمال، بل هو اشد أنواع الكذب إثما وحرمة لأنه مع كونه كذبا لا يستغنى عنه، كذب  
على الله وعلى رسوله.



فالكذب إذا كان وسيلة إلى ما يستغنى عنه حرام مطلقاً، وإذا كان وسيلة إلى ما لا يستغنى

عنه ينبغي أن يوازن<sup>٢</sup> [2] محذور الكذب مع محذور الصدق، فيترك أشدهما وقعاً في نظر

الشرع. وبيان ذلك: أن الكذب في نفسه محذور، والصدق في المواضع المذكورة يوجب محذوراً، فينبغي أن يقابل أحد المحذورين بالآخر، ويوازننا بالميزان القسط، فإن كان محذور الكذب أهون من محذور الصدق فله الكذب، وإن كان محذور الصدق أهون وجب الصدق، وقد يتقابل المحذوران بحيث يتردد فيهما، وحينئذ فالميلى إلى الصدق أولى، إذ الكذب أصله الحرمة، وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة، وإذا شك في كون الحاجة مهمة، لزم الرجوع إلى أصل التحريم.

### تنبيه

#### التورية والمبالغة

كل موضع يجوز فيه الكذب، إن أمكن عدم التصريح به والعدول إلى التعريض والتورية، كان الأولى ذلك. وما قيل: إن في المعارض لمندوحة عن الكذب، وإن فيها ما يغني الرجل عن الكذب، ليس المراد به أنه يجوز التعريض بدون حاجة واضطرار، إذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به لأن المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه، وهذا موجود في الكذب بالمعارضض. فالمراد أن التعريض يجوز إذا اضطر الإنسان إلى الكذب، ومست الحاجة إليه، واقتضته المصلحة في بعض الأحوال في تأديب النساء والصبيان ومن جرى مجراهم وفي الحذر عن الظلمة والأشرار في قتال الأعداء. فمن اضطر إلى الكذب في شيء من ذلك فهو جائز له، لأن نطقه فيه إنما هو على مقتضى الحق والدين، فهو في الحقيقة صادق، وإن كان كلامه مفهماً غير ما هو عليه لصدق نيته وصحة قصده وارادته الخير والصلاح، فمثل هذا النطق لا يكون خارجاً عن حقيقة الصدق، إذ الصدق ليس مقصوداً لذاته، بل للدلالة على الحق، فلا ينظر إلى قلبه وصورته، بل إلى معناه وحقيقته. نعم، ينبغي له في هذه المواضع أن يعدل إلى المعارضض ما وجد إليه سبيلاً يصدق اللفظ حينئذ أيضاً وإن كان متشاركاً مع التصريح في تفهيم الشيء على خلاف ما هو

عليه في الواقع. وقد كان رسول الله (ص) إذا توجه إلى سفر وراه بغيره، لئلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصده. إلى الأعداء فيقصده.

ومما يدل على جواز التعريض مع صحة النية، ما روي في الاحتجاج " أنه سئل الصادق (ع) عن قول الله تعالى في قصة إبراهيم (ع):

" قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون " [3].

قال: ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم. قيل: وكيف ذلك؟ فقال: إنما قال إبراهيم فاسألوهم إن كانوا ينطقون، أي إن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم (ع) " وسئل عن قوله تعالى:

" أيتها العير إنكم لسارقون " [4].



قال: انهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا: ماذا تفقدون؟ قالوا: نفقد صواع الملك، ولم يقولوا: سرقت صواع الملك، انما سرقوا يوسف من أبيه ". " وسئل عن قول إبراهيم:

" فنظر نظرة في النجوم. فقال إني سقيم " [5].

قال: ما كان إبراهيم سقيماً، وما كذب إنما عنى سقيماً في دينه، أي مرتاداً .

وطريق التعريض والتورية: أن يخبر المتكلم المخاطب بلفظ ذي احتمالين أحدهما غير مطابق للواقع واطهر في المقام، فيحمله المخاطب عليه، وثانيهما مطابق له يريد المتكلم، كما ظهر من خبر الاحتجاج. ومن أمثلته: أنه إذا طلبك ظالم وانت في دارك ولا تريد الخروج إليه، أن تقول لأحد أن يضع اصبعه في موضع ويقول: ليس ههنا. وإذا بلغ عنك شيء إلى رجل، وأردت تطيب قلبه من غير أن تكذب، تقول له: ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء، على أن يكون لفظة (ما) عندك للابهام، وعند المستمع للنفي. وقد ظهر مما ذكر: أن كل تعريض لغرض باطل بالتصريح في عدم الجواز، لأن فيه تقريراً للغير على ظن كاذب. نعم قد تباح المعاريض لغرض حفيف، كتطيب قلب الغير بالمزاج، كقول النبي

(ص): " لا تدخل الجنة عجوز " و "في عين زوجك بياض " و " نحمك على ولد بعير " ...  
وقس عليه أمثال ذلك.

ومن الكذب الذي يجوز ولا يوجب الفسق، ما جرت به العادة في المبالغة، كقولك: قلت لك كذا مائة مرة، وطلبتك مائة مرة. وأمثال ذلك لأنه لا يراد بذلك تفهيم المرات بعددها، بل تفهيم المبالغة. فان لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً، وان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا بأثم، وان لم تبلغ مائة.

ومن الكذب الذي لا اثم عليه ما يكون في أنواع المجاز والاستعارات والتشبيهات، إذ الغرض تفهيم نوع من المناسبة والمبالغة، لا دعوى الحقيقة والمساواة من جميع الجهات. ومن الكذب الذي جرت العادة به، ويتساهل فيه، قول الرجل إذا قيل له: كل الطعام: (لا اشتهيته)، مع كونه مشتتياً له. وهذا منهي عنه كما تدل عليه بعض الأخبار، إلا إذا كان فيه غرض صحيح، وما جرت العادة به قول الرجل: (الله يعلم) فيما لا يعلمه، وهو اشد أنواع الكذب، قال عيسى (ع): " إن من أعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد: ان الله يعلم لما لا يعلم ". ومن الكذب الذي عظم ذنبه ويتساهل فيه، الكذب في حكاية المنام، قال رسول الله (ص): " إن من اعظم الفرية ان يدعى الرجل إلى غير أبيه، أو يرى عينيه في المنام مالم ير، أو يقول على مالم أقل ". وقال (ص): " من كذب في حلم، كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعرتين ".

### تذنيب

#### شهادة الزور، اليمين الكاذب، خلف الوعد

من أنواع الكذب وافحشها: شهادة الزور، واليمين الكاذب، وخلف الوعد.

ويدل على ذم الأول قوله تعالى في صفة المؤمنين:

" والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً " [6].

وقول النبي (ص): " شاهد الزور كعابد الوثن " .

وعلى ذم الثاني قول النبي (ص): " التجار هم الفجار! " فقيل: يا رسول الله، أليس الله قد أحل البيع؟ فقال: " نعم! ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون " وقوله (ص): " ثلاث نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم: المنان بعطيته، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره " وقوله (ص): " ما حلف حالف بالله فادخل فيها جناح بعوضة، إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة " . وقوله (ص): " ثلاث يشنأهم الله: التاجر أو البائع الحلاف، والفقير المحتال، والبخيل المنان " .

وعلى ذم الثالث قول النبي (ص): " من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليف إذا وعد " .  
وقول الصادق (ع): " عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن اخلف فبخلف الله تعالى بدأ ولمقته تعرض، وذلك قوله تعالى:

يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " [7].





وقال رسول الله (ص): " أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق، حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد اخلف، وإذا عاهد عذر وإذا خاصم فجر ". فمن وعد وكان عند الوعد عازماً على ألا يفِي، أو كان عازماً على الوفاء وتركه بدون عذر، فهو منافق. وأما إن عن له عذر من الوفاء لم يكن منافقاً وأثماً. وان جرى عليه ما هو صورة النفاق، فالأولى أن يحترز عن صورة النفاق أيضاً كما يحترز عن حقيقته، وذلك بالأجزاء في الوعد، بل يعلقه على المشية ومثلها.

### إيقاظ

### علاج الكذب

طريق معالجة الكذب: أولاً: أن يتأمل في ما ورد في ذمه من الآيات والأخبار، ليعلم أنه لو لم يتركه لا دركه الهلاك الأبدي. ثم يتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا ولا يعتني أحد بقوله، وكثيراً ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه. ومن أسباب افتضاحه أن الله

سبحانه يسلمط عليه النسيان، حتى أنه لو قال شيئاً ينسى أنه قاله، فيقول خلاف ما قاله، فيفتضح. والى ذلك اشار الصادق (ع) بقوله: " إن مما أعان الله به على الكذابين النسيان ". ثم يتأمل في الآيات والأخبار الواردة في مدح ضده، أعني الصدق كما يأتي، وبعد ذلك ان لم يكن عدواً لنفسه، فليقدم التروي في كل كلام يريد أن يتكلم به، فان كان كذبا يتركه وليجتنب مجالسة الفساق وأهل الكذب، ويجالس الصالحاء وأهل الصدق.

## فصل

### الصدق ومدحه

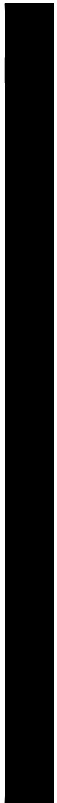
ضد الكذب الصدق. وهو أشرف الصفات المرضية، ورئيس الفضائل النفسية، وما ورد

في مدحه وعظم فائدته من الآيات والأخبار مما لا يمكن إحصاؤه، قال الله سبحانه:

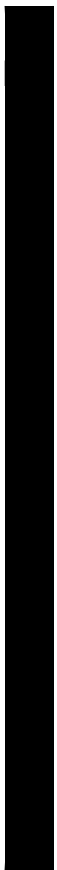
" رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " 8[8]. وقال: " إتقوا الله وكونوا مع الصادقين

" 9[9]. وقال: " الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار

---



" ١٠ [10]. وقال سبحانه: " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله -  
أولئك هم الصادقون " ١١ [11]. وقال عز وجل: " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر " ثم  
قال: الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا " ١٢ [12].



---

1

2

وقال رسول الله (ص): " تقبلوا الي بست أنقبيل لكم بالجنة: إذا حدث احدكم فلا يكذب، وإذا

وعد فلا يخلف، وإذا ائتمن فلا يخن وعضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم"

وعن الصادقين - عليهما السلام - : " ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً ". وعن



الصادق (ع) قال: " كونوا دعاة الناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق

والورع". وعنه (ع) " من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه، ومن

حسن بره بأهل بيته مد له في عمره ". وعنه (ع) قال: " لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل

وسجوده، فان ذلك شيء اعتاده، ولو تركه لاستوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه

وإدء أمانته". وقال (ع) لبعض اصحابه: " انظروا إلى ما بلغ به علي (ع) عند رسول الله

(ص) فالزمه، فان علياً (ع) انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله بصدق الحديث وأداء الامانة

" .وعنه (ع) قال: " إن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث واداء الامانة إلى البر والفاجر

"[13]١٣. وقال (ع): " أربع من كن فيه كمل إيمانه ولو كان ما بين قرنيه إلى قدمه ذنوب



لم ينقصه ذلك - قال - هي الصدق، واداء الامانة، والحياء، وحسن الخلق ". وقد وردت بهذه المضامين أخبار كثيرة أخر. ومن أنواع الصدق في الشهادة، وهو ضد شهادة الزور والصدق في اليمين، وهو ضد الكذب فيه، والوفاء بالعهد وهو ضد خلف الوعد، وهذا القسم من الصدق، اعني الوفاء بالعهد، أفضل أنواع الصدق القولي وأحبها، ولذا اثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل به، وقال:

" إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً " ١٤ [14].

قيل: انه واعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه، فبقى اثنين وعشرين يوماً في انتظاره. وروى: " أنه بايع رجل رسول الله (ص) ووعدته أن يأتيه في مكانه ذلك، فنسى وعده في يومه وغده، واتاه في اليوم الثالث وهو في مكانه " وقال رسول الله: " العدة دين " وقال (ص): الوأى - أي الوعد - مثل الدين أو أفضل .

تكميل

---



## أقسام الصدق

الصدق كالكذب له أنواع ستة:

الأول - الصدق في القول، وهو الإخبار عن الأشياء على ما هي عليه، وكمال هذا النوع بترك المعارض من دون ضرورة، حذراً من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة، ورعاية معناه في الفاظه التي يناجي بها الله سبحانه، فمن قال: "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض" وفي قلبه سواه، أو قال: "إياك نعبد" وهو يعبد الدنيا بتقيد قلبه بها، إذ كل من تقيد قلبه بشيء فهو عبد له، كما دلت عليه الأخبار، فهو كاذب.

الثاني - الصدق في النية والارادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو تمحيض النية وتخليصها لله، بالألا يكون له باعث في طاعته، بل في جميع حركاته وسكناته، إلا الله. فالشوب يبطله ويكذب صاحبه.

الثالث - الصدق في العزم، أي الجزم على الخير: فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل، ويقول في نفسه: إن رزقني الله كذا تصدقت منه كذا، وإن خلصني الله من تلك البلية فعلت كذا. فإن كان في باطنه جازماً على هذا العزم، مصمماً على العمل بمقتضاه، فعزمه صادق، وإن كان في عزمه نوع ميل وضعف وتردد، كان عزمه كاذباً، إذ التردد في العزيمة يضاد الصدق فيها، وكان الصدق هنا بمعنى القوة والتمامية، كما يقال: لفلان شهوة صادقة، أي قوة تامة، أو شهوة كاذبة، أي ناقصة ضعيفة.

الرابع - الصدق في الوفاء بالعزم: فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال، إذ لا مشقة في الوعد، فإذا حان حين العمل بمقتضاه هاجت الشهوات وتعارضت مع باعث الدين، وربما غلبته بحيث انحلت العزيمة ولم يتفق الوفاء بمتعلق الوعد، وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال الله سبحانه:

" رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " ١٥ [15].

الخامس - الصدق في الاعمال: وهو تطابق الباطن والظاهر واستواء السريرة والعلانية، أو كون الباطن خيراً من الظاهر، بالأدلة أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، لا بأن يترك الاعمال، بل بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر. وهذا أعلى مراتب الإخلاص، لإمكان تحقق نوع من الإخلاص بما دون ذلك، وهو أن يخالف الباطن الظاهر من دون قصد، فإن ذلك ليس رياء فلا يمتنع صدق اسم الإخلاص عليه.

وتوضيح ذلك: أن الرياء هو أن تقصد غير الله سبحانه في الاعمال وقد تصدر عن إنسان أعمال ظاهرة تدل على أنه صاحب فضيلة باطنة، من التوجه إلى الله والإنس به، أو السكينة والوقار، أو التسليم والرضا وغير ذلك، مع أنه فاقد لها، لحصول الغلبة المانعة عن تحققها، أو اتفاق صدور الاعمال الظاهرة بهذه الهيئة من دون أن يقصد بها مشاهدة غيره سبحانه، فهذا غير صادق في عمله، كاذب في دلالة الظاهر على الباطن وإن لم يكن مرئياً ولا ملتفتاً إلى الخلق، فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كانت من قصد سميت رياء، ويفوت بها

الإخلاص، وان كانت من غير قصد سميت كذبا ويفوت بها الصدق، وربما لم يفت بها بعض مراتب الإخلاص. وهذا النوع من الصدق - اعني مساواة السر والعلانية أو كونه خيراً منها - أعز من الانواع السابقة عليه، ولذلك كرر طلبه من الله سيد الرسل (ص) في دعواته بقوله: " اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، واجعل علانيتي سالحة " وورد: " أنه إذا ساوت سريرة المؤمن علانيته، باهى الله به الملائكة، يقول: هذا عبدي حقاً ". وكان بعض الأكابر يقول: " من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار؟ ". ولنعم ما قيل:

إذا السر والاعلان في المؤمن	فقد عز في الدارين واستوجب
استوى	الثنا
وان خالف الاعلان سراً فما له	على سعيه فضل سوى الكد
كما خالص الدينار في السوق	والعنا
نافق	ومغشوشه المردود لا يقتضي
	المنى

ومن جملة هذا الصدق: موافقة القول والفعل، فلا يقول ما لا يفعل ولا يأمر بما لا يعمل. فمن وعظ ولم يتعظ في نفسه كان كاذباً. ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع): " انى والله ما احثكم على طاعة إلا واسبقكم إليها، ولا انهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها ".

السادس - الصدق في مقامات الدين: من الصبر، والشكر، والتوكل والحب، والرجاء، والخوف، والزهد، والتعظيم، والرضا، والتسليم، وغير ذلك. وهو اعلى درجات الصدق وأعزها، فمن اتصف بحقائق هذه المقامات ولوازمها وآثارها وغاياتها فهو الصديق الحق، ومن كان له فيها مجرد ما يطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها وآثارها وغاياتها فهو كاذب فيها. أما ترى أن من خاف سلطاناً أو غيره كيف يصفر لونه ويتعذر عليه أكله ونومه ويتنصص عليه عيشه ويتفرق عليه فكره وترتعد فرائصه وتنزل اركانه وجوانبه؟ وقد ينزح عن وطنه ويفترق عن أهله وولده، فيستبدل بالإنس الوحشة، وبالراحة التعب والمشقة، فيعترض للاخطار ويختار مشقة الاسفار، كل ذلك من درك المحذور. فمثل هذا الخوف هو

الخوف الصادق المحقق. ثم ان من يدعي الخوف من الله أو من النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند ارادة المعصية وصدورها عنه، فخوفه خوف كاذب. قال النبي (ص): " لم أر مثل النار نام هاربيها، ولم أر مثل الجنة نام طالبها ".

ثم لا غاية لهذه المقدمات حتى يمكن لأحد أن ينال غايتها، بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله ومرتبته، فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه غير متناهية، فلذلك لما رأى (ص) جبرئيل على صورته الاصلية، خر مغشياً عليه، وقال - بعد عودته إلى صورته الأولى وافاقتة - " ما ظننت أحداً من خلق الله هكذا! قال: فكيف لو رأيت اسرافيل إن العرش على كاهله، وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى، وأنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع!" كالعصفور الصغير وقال (ص): " مررت ليلة أسرى بي - أنا وجبرئيل - بالملا الاعلى كالحلس البالي من خشية الله ": أي كالكساء الذي يلقي على ظهر البعير.

فانظر إلى اعظم الملائكة والنبیین، كيف تصير حالهم من شدة الخشية والتعظيم، وهذا انما هو لقوة معرفتهم بعظمة الله وجلاله، وفوق ما لم يدركوه من عظمتهم وقدرته مراتب غير متناهية. فاختلاف الناس في مراتب الخوف والتعظيم والحب والإنس إنما هو بحسب اختلافهم في معرفة الله، وليس يمكن ان يوجد من بلغ غايتها، فاختلاف الناس إنما هو في القدر الذي يمكن أن يبلغ إليه، والبلوغ إليه في الجميع أيضاً نادر، فالصادق في جميع المقامات عزيز جداً.

ومن علامات هذا الصدق: كتمان المصائب والطاعات جميعاً، وكراهة اطلاق الخلق عليها. وقد روى: " ان الله تعالى اوحى إلى موسى (ع): إني إذا أحببت عبداً ابتليته ببلايا لا تقوى لها الجبال، لأنظر كيف صدقه، فان وجدته صابراً اتخذته ولياً وحبيباً، وان وجدته جزوعاً يشكوني إلى خلقي خذلته ولم ابال ". وقال الصادق (ع): " إذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب، فانظر في صدق معنالك وعقد دعواك، وعيرهما بقسطاس من الله عز وجل كأنك في القيامة، قال عز وجل:

" والوزن يومئذ الحق "١٦ [16].

فإذا اعتدل معنك بغور دعواك ثبت لك الصدق. وادنى حد الصدق ألا يخالف اللسان القلب  
ولا القلب اللسان، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع لروحه، إن لم ينزع

فماذا يصنع "١٧ [17].

---

اللسان اضر الجوارح  
الصمت  
حب الجاه والشهرة  
ذم حب الجاه والشهرة  
الجاه أحب من المال  
لا بد للإنسان من جاه

### تنبيه

### اللسان أضر الجوارح

اعلم أن أكثر ما تقدم من الرذائل المذكورة في هذا المقام: من الكذب والغيبة، والبهتان، والشماتة، والسخرية، والمزاح وغيرها، وفي المقام الثالث - اعني التكلم بما لا يعني والفضول والخوض في الباطل - من آفات اللسان وهو اضر الجوارح بالإنسان، وأعظمها اهلاكاً له، وآفاته أكثر من آفات سائر الأعضاء، وهي وان كانت من المعاصي الظاهرة، إلا أنها تؤدي إلى مساوئ الأخلاق والملكات. إذ الأخلاق انما ترسخ في النفس بتكرير الأعمال، والاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح، وكل جارحة تصلح لأن تصدر منها الاعمال الحسنة الجالبة للأخلاق الجميلة، وأن تصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة، فلا بد من مراعاة القلب والجوارح معا بصرفهما إلى الخيرات ومنعهما من الشرور. وعمدة ما تصدر منه الذمائم الظاهرة المؤدية إلى الرذائل الباطنية هو اللسان، وهو أعظم آفة للشيطان في استغواء نوع الإنسان فمراقبته اهم، ومحافظته أوجب وألزم. والسر فيه - كما قيل: أنه من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فانه وإن كان صغيراً جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذ لا يتبين الإيمان والكفر إلا بشهادته، ولا يهتدى إلى شيء من أمور النشأتين إلا بدلالته، وما من موجود أو معدوم إلا وهو يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفي، إذ كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان ما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم يتناوله.

وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء، إذ العين لاتصل إلى غير الالوان والصور، والاذن لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الاعضاء، واللسان رحب الميدان وسيع الجولان ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى ولا حد، فله في الخير مجال رحب، وفي

الشر ذيل سحب، فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان،



واوقعه في أودية الضلالة والخذلان، وساقه الله شفا جرف هار، إلى ان يضطره إلى الهلاك

والبوار، ولذلك قال سيد الرسل (ص): " هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد

ألسنتهم؟" [1]. فلا ينبغي من شر اللسان إلا أن يقيد بلجام الشرع، ولا يطلق إلا فيما ينفع في

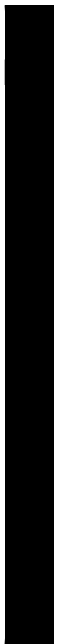
والآخرة، ويكف عن كل ما يخشى غائلته في العاجلة والآجلة، وعلم ما يحمدا اطلاق اللسان فيه أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير، وهو أعصى الاعضاء على الإنسان، اذ لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه فلا يجوز التساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله، وفي الحذر عن مصائده وحبائله.

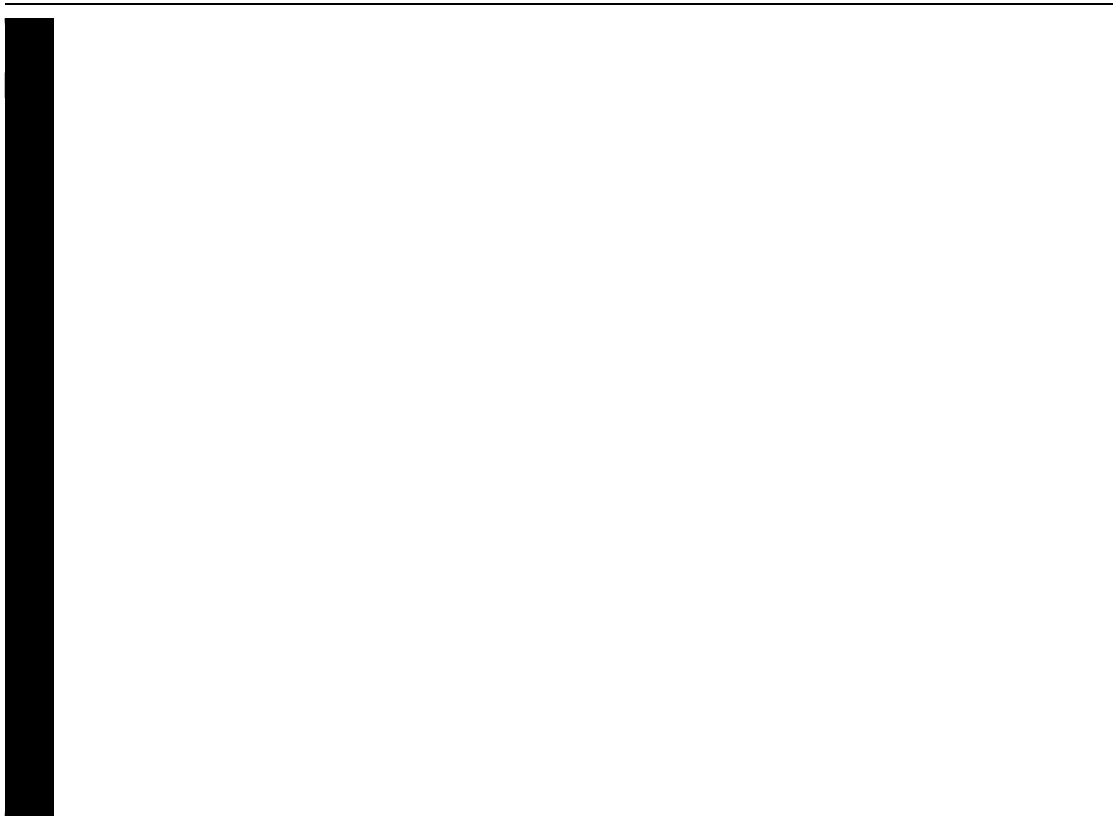
والآيات والأخبار الواردة في ذمه وفي كثرة آفاته وفي الأمر بمحافظته والتحذير عنه كثيرة، وهي بعمومه تدل على ذم جميع آفاته مما مر ومما يأتي. قال الله سبحانه:

" ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد " [2].

وقال: " لا خير في كثيرٍ من نجواهم، إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس

[3].





وقال رسول الله (ص): " من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه، اتكفل له بالجنة ". وقال (ص): " من وقى شر قببه وذبذبه ولقلقه، فقد وقى " [4] والقبقب: البطن والذئبب الفرج، واللقلق: اللسان. وقيل له (ص): " ما النجاة؟ قل: إملك عليك لسانك ". وقال (ص): " اكبر ما يدخل الناس النار إلا جوفان: الفم، والفرج "، والمراد بالفم اللسان. وقال (ص): " وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟ ". وقال له رجل: " ما أخوف ما يخاف علي؟ فاخذ بلسانه، وقال: هذا ". وقال (ص): " لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه " وقال (ص): " إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فأنما نحن بك،



فان استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا" [5]. " وقال له رجل: اوصني! فقال (ص): أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله - وأشار بيده إلى لسانه " وقال (ص): " ان الله عند لسان كل قائل، فليتق الله امرؤ على ما يقول ". وقال (ص): " من لم يحسب كلامه من عمله، كثرت خطاياه وحضر عذابه ". وقال (ص): يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذبه به شيئاً من الجوارح، فيقول أي رب! عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح. فيقال



له: خرجت منك كلمة بلغت مشارق الارض ومغاريها، فسفك بها الدم الحرام، وانتهب بها المال



الحرام، وانتھك بها الفرج الحرام. وعزتي وجلالي! لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك

" وقال (ص): " ان كان في شيء سوء ففي اللسان ". وقال أمير المؤمنين (ع) لرجل يتكلم بفضول

الكلام: " يا هذا إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلم بما يعينك، ودع مالا يعينك " [6]

وقال أمير المؤمنين (ع): " المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك، واعرضه على العقل والمعرفة، فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه، وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدراً عند الله كلام فيه رضى الله عز وجل ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده، ألا ان الله لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام، وكذلك بين الرسل والامم، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (والكلف

---

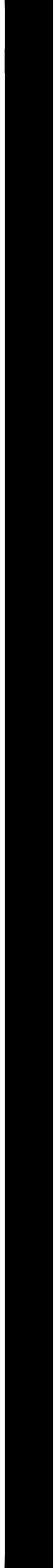
والعبادة) [7]. وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدّها ملامة واجلها سامة

عند الخلق منه، واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب، وبه ينكشف ما في سر الباطن،

وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة، والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله وليس شيء أحق



بطول السجن من اللسان " ٨ [8] وقال السجاد (ع): " إن لسان ابن آدم يشرف في كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون بخير إن تركتنا ويقولون: الله الله فينا ويناشدونه



ويقولون: انما نثاب ونعاقب بك". وقال الصادق (ع): " ما من يوم إلا وكل عضو من اعضاء

الجسد يكفر اللسان يقول: نشدتك الله أن نعذب فيك! " [9].



## تتميم

### الصمت

لما علمت كون اللسان شر الأعضاء وكثرة آفاته وذمه، فاعلم أنه لا نجاة من خطره إلا بالصمت، وقد اشير فيما سبق: أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان، وبالمواظبة عليه تزول كلها، وهو من فضائل قوة الغضب أو الشهوة، وفضيلته عظيمة وفوائده جسيمة، فان فيه جمع الهم ودوام الوقار، والفراغ للعبادة والفكر والذكر، وللسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسناته في الآخرة. ولذا مدحه الشرع وحث عليه، قال رسول الله (ص): " من صمت نجا ". وقال: " الصمت حكم، وقليل فاعله ". وقال (ص): " من كف لسانه ستر الله عورته ". وقال (ص): ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن: الصمت وحسن الخلق ". وقال (ص): " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو وليسكت ". وقال (ص): " رحم الله عبداً تكلم خيراً فغنم، أو سكت عن سوء فسلم ". وجاء إليه (ص) أعرابي وقال: " دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: اطعم الجائع واسق الضمآن، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، فان لم تطق، فكف لسانك إلا من خير ". وقال (ص): " اخزن لسانك إلا من خير، فانك بذلك تغلب الشيطان " وقال (ص): " إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه، فانه يلقن الحكمة ". وقال (ص): " الناس ثلاثة: غانم، وسالم، وشاحب، فالغانم: الذي يذكر الله، والسالم: الساكت، والشاحب: الذي يخوض في الباطل ". وقال (ص): " إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه، ثم أمضاه بلسانه. وان لسان المنافق امام قلبه، فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه ". وقال (ص): " أمسك لسانك، فانها صدقة تصدق بها على نفسك "... ثم قال: " ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه ". وقال (ص) لرجل اتاه: " ألا أدلك على امر يدخلك الله به الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله! قال: أنل مما أنالك الله! قال: فان كنت احوج ممن انيله؟ قال: فانصر المظلوم. قال: فان كنت أضعف ممن أنصره، قال: فاصنع للاخرق - يعني أشر عليه - قال: فان كنت اخرق ممن أصنع له. قال: فاصمت لسانك إلا من خير، أما يسرك

أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة؟" . وقال (ص): " نجاة المؤمن حفظ لسانه  
" . وجاء رجل إليه (ص) فقال: " يا رسول الله أوصني! قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله  
أوصني! قال احفظ لسانك. قال: يا رسول الله أوصني! قال: احفظ لسانك. ويحك وهل يكب الناس  
على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟ " .

وقيل لعيسى بن مريم (ع): " دلنا على عمل ندخل به الجنة. قال: لا تتنطقوا أبداً. قالوا: لا نستطيع  
ذلك. قال: فلا تتنطقوا إلا بخير " . وقال (ع) أيضاً: " العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت،  
وجزاء في الفرار عن الناس " . وقال: " لا تكثرُوا الكلام في غير ذكر الله، فإن الذين يكثرُونَ الكلام  
في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون " . وقال لقمان لابنه: " يا بني، إن كنت زعمت أن  
الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب " .

وقال أبو جعفر الباقر (ع): " كان أبو ذر يقول: يا مبتغي العلم، إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح  
شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك " . وقال (ع): " إنما شعيتنا الخرس " . وقال  
الصادق (ع) لمولى له يقال له (سالم) - بعد أن وضع يده على شفتيه -: " يا سالم، احفظ لسانك  
تسلم، ولا تحمل الناس على رقابنا " . وقال (ع): " في حكمة آل داود: على العاقل أن يكون عارفاً  
بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه " . وقال (ع): " لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام  
ساكتاً فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً " . وقال (ع): " النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح،  
والسكوت راحة للعقل " . وقال (ع) " الصمت كنز وافر، وزين الحليم، وستر الجاهل " . وقال أبو  
الحسن الرضا (ع): " احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الناس من قيادك فتندل رقبتك " . وقال (ع): " من  
علامات الفقه: الحلم، والعلم، والصمت، ان الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب

المحبة، انه دليل على كل خير ". وقال (ع): " كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت

قبل ذلك بعشر سنين " ١٠ [10]

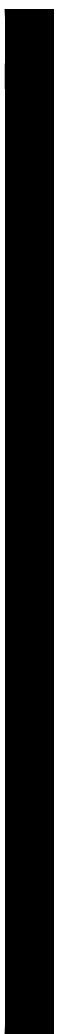
وفي (مصباح الشريعة) عن مولانا الصادق (ع) قال: " الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق  
وجف القلم به، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة، وفيه رضا الرب، وتخفيف الحساب  
والصون من الخطايا والزلل وقد جعله الله سترا على الجاهل وزيناً للعالم، ومعه عزل الهوى،  
ورياضة النفس، وحلاوة العبادة، وزوال قسوة القلب، والعفاف والمروة والظرف. فاغلق باب لسانك  
عما لك منه بد، لا سيما إذا لم تجد أهلاً للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله، وكان ربيع بن  
خيثم يضع قرطاساً بين يديه، فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه عشية، ماله وما عليه، ويقول:  
آه آه! نجا الصامتون وبقينا. وكان بعض اصحاب رسول الله (ص) يضع الحصاة في فمه، فإذا أراد  
أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها. وان كثيراً من الصحابة - رضوان الله عليه -  
كانوا يتنفسون تنفس الغرقى، ويتكلمون شبه المرضى وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام  
والصمت. فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وهوائه، وعلم الصمت وفوائده! فان ذلك من أخلاق  
الأنبياء وشعار الاصفياء. ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت ومن أشرف على ما في

---

لطائف الصمت واؤتمن على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه إلا  
الملك الجبار " [11].

وقد ظهر من هذه الأخبار: أن الصمت مع سهولته أنفع للإنسان من كل عمل، وكيف لا يكون  
كذلك، وخطر اللسان الذي هو أعظم الاخطار وآفاته التي هي أشد المهلكات لا ينسد إلا به؟ والكلام  
وان كان في بعضه فوائد وعوائد، إلا أن الامتياز بين الممدوح والمذموم منه مشكل ومع الامتياز  
فالاقتصار على مجرد الممدوح عند اطلاق اللسان أشكل، وحينئذ فالصمت عما لا جزم بتضمنه  
للخير والثواب من الكلام أولى ونفع.

وقد نقل: " أن أربعة من أنكباء الملوك - ملك الهند، وملك الصين وكسرى، وقيصر - تلاقوا في  
وقت، فاجتمعوا على ذم الكلام ومدح الصمت فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم



أقل وقال الآخر: إني إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني.  
وقال الثالث: عجبت للمتكلم، ان رجعت عليه كلمته ضرته، وان لم ترجع لم تنفعه. وقال الرابع: أنا  
على رد مالم أقل أقدر مني على رد ما قلت ".  
ومنها:

### حب الجاه والشهرة

والمراد بالشهرة: انتشار الصيت، ومعنى الجاه: ملك القلوب وتسخيرها بالتعظيم والاطاعة  
والانقياد له. وبعبارة اخرى: قيام المنزلة في قلوب الناس، وانما تصير القلوب مملوكة مسخرة  
للشخص، باشتغالها على اعتقاد اتصافه بكمال حقيقي، أو بما يظنه كمالاً، من علم وعبادة، أو ورع  
وزهادة، أو قوة وشجاعة، أو بذل وسخاوة، أو سلطنة وولاية أو منصب ورياسة، أو غنى ومال، أو  
حسن وجمال، أو غير ذلك مما يعتقدُه الناس كمالاً. وتسخير القلوب وانقيادها على قدر اعتقادها،  
وبحسب درجة ذلك الكمال عندها، فبقدر ما يعتقد أرباب القلوب تدعن له قلوبهم وبقدر ادعائها  
تكون قدرته عليهم، وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه. ثم تلك القلوب تبعث أربابها على المدح  
والثناء، فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقدُه فيثني عليه، وعلى الخدمة والاعانة، فان لا  
يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده، وعلى الإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والابتداء  
بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد.

(تنبيه): حب الجاه والشهرة إن كان من حيث ايجابهما الغلبة والاستيلاء حتى ترجع حقيقة إلى  
حبهما وكان طالبهما طالباً لهما، فهو من رذائل قوة الغضب، وان كان من حيث التوصل بهما إلى  
قضاء الشهوات وحظوظ النفس البهيمية، فهو من رذائل قوة الشهوة، وان كان من الحيتين فهو من  
رذائلهما بالاشتراك، بمعنى مدخلية كل منهما في حدوث خصوص هذه الصفة. والاصل اشتراك  
القوتين في حدوث حب الجاه والشهرة - كما ذكرناه في جملة ما يتعلق بهما معاً - بخلاف حب  
المال، فان الغالب أن حبه من حيث التوصل به إلى قضاء حظوظ القوة الشهوية، وكونه لمجرد  
الاستيلاء عليه بالمالكية والتمكن على التصرف فيه نادر، ولذا ذكرناه فيما يتعلق بقوة الشهوة.

## فصل

### ذم حب الجاه والشهرة

اعلم ان حب الجاه والشهرة من المهلكات العظيمة، وطالبهما طالب الآفات الدنيوية والآخروية، ومن اشتهر اسمه وانتشر صيته لا يكاد أن تسلم دنياه وعقباه، إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه. ولذا ورد في ذمهما ما لا يمكن إحصاؤه من الآيات والأخبار: قال الله سبحانه:

" تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً " ١٢ [12]. وقال: " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون " ١٣ [13].



وهذا بعمومه متناول لحب الجاه، لأنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكبر زينة من زينتها.

وقال رسول الله (ص): " حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ". وقال

(ص): ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب الجاه والمال في دين الرجل

المسلم ". وقال (ص): " حسب امرىء من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس اليه بالاصابع ".

وقال أمير المؤمنين (ع): " تبذل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم، واصمت تسلم،

تسر الأبرار وتغيظ الفجار ". وقال الباقر (ع): " لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنباً، ولا تأكل الناس بنا

فيفرك الله ". وقال الصادق (ع): " إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فو الله ما خفتت النعال

خلف رجل إلا هلك وأهلك! ". وقال (ع): " ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدث

بها نفسه! " وقال (ع): " من أراد الرياسة هلك ". وقال (ع): " أترى لا اعرف خياركم من

شراركم؟ بلى والله! إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه، أنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي

.[14] ξ"

والأخبار بهذه المضامين كثيرة، ولكثرة آفاتها لا يزال اكابر العلماء وأعظم الأتقياء يفرون منهما فرار الرجل من الحية السوداء، حتى أن بعضهم إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام من مجلسه، وبعضهم يبكي لأجل أن اسمه بلغ المسجد الجامع، وبعضهم إذا تبعه اناس من عقبه التفت إليهم وقال: " على مَ تتبعوني، فو الله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجالن ". وبعضهم يقول: لا اعرف رجلا احب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح ". وآخر يقول: " لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس ". وآخر يقول " والله ما صدق الله عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه ".

ومن فساد حب الجاه: أن من غلب على قلبه حب الجاه، صار مقصور الهم على مراعاة الخلق، مشغوفاً بالتودد إليهم والمراعاة لأجلهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله متلفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم، وذلك بذر النفاق وأصل الفساد، ويجر لا محالة إلى التساهل في العبادات والمرآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها إلى اقتناص القلوب، ولذلك شبه رسول الله حب الشرف والمال وفسادهما للدين بذئبين ضاربيين، وقال: " إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل "، إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس يضطر إلى النفاق معهم، والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها، وذلك عين النفاق.

## فصل

### الجاه احب من المال

إنتلت لملك القلوب ترجيح على ملك المال بوجوه:

الأول - ان المال معرض التلف والزوال، لأنه يغصب ويسرق وتطمع فيه الملوك والظلمة، ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراسة، وتتطرق إليه أخطار وأما القلوب إذا ملكت، فهي من الآفات محفوظة نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقي أو الوهمي.

---

الثاني - ان التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب، لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهولة، لأن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب، ومبذولة لمن اذعنت له بالانقياد واعتقدت فيه أوصاف الكمال، وأما الخسيس العاري عن الكمال إذا ظفر بكثرة من المال ولم يكن له جاه يحفظ به ماله وأراد أن يتوصل به إلى الجاه، لم يتيسر له.

الثالث - أن ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومشقة، إذ القلوب إذا أذعنت بشخص واعتقدت اتصافه بعلم أو عمل أو غيره، أفصحت اللسان بما فيها لا محالة، فيصف ما يعتقد له غيره وهو أيضاً يذعن به ويصفه لآخر، فلا يزال يستطار في الاقطار، ويسري من واحد إلى واحد، إلى أن يجتمع معظم القلوب على التعظيم والقبول، وأما المال، فمن ملك شيئاً منه فلا يقدر على استتمائه إلا بتعب ومقاساة. ولهذه الوجوه تستحق الأموال في مقابلة عظم الجاه وانتشار الصيت وانطلاق اللسان بالمدح والثناء.

## فصل

### لا بد للإنسان من جاه

كما أن لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والملبس والسكن ومثله ليس بمذموم، فكذلك لا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق، إذ الإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال الذي يباع به الطعام فكذلك لا يستغني عن خادم بخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار، فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المنزلة ما يدعوه إلى الخدمة وفي قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته، وفي قلب السلطان من المحل ما يدفع به الشر عنه، ليس بمذموم. إذا الجاه كالمال وسيلة إلى الاغراض، فلا فرق بينهما، إلا أن هذا يقضي إلى ألا يكون المال والجاه محبوبين باعيانهما بل من حيث التوصل بهما إلى غيرهما ولا ريب في أن كل ما يراد به التوصل إلى محبوب فالمحبيب هو المقصود المتوسل إليه دون الوسيلة.

ومثل هذا الحب مثل حب الإنسان أن يكون في داره بيت الخلاء لقضاء حاجته، ولو استغنى عن قضاء الحاجة ولم يضطر إليه، كره اشتغال داره على بيت الخلاء، ومثل أن يحب زوجته ليدفع بها فضلة الشهوة، ولو كفى مؤنة الشهوة لأحب مهاجرتها، وإذا كان حبهما لضرورة البدن والمعيشة لا لذاتهما، لم يكن مذموماً، والمذموم أن يحبهما لذاتهما. وفيما يجاوز ضرورة البدن كحب زوجته لذاتها حب العشاق حتى لو كفى مؤنة الشهوة لبقى مستصحباً لحبها.

ثم حبهما باعياتهما وإن كان مذموماً مرجوحاً، لكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية، وما لم يتوصل إلى اكتسابهما بكذب وخداع وتلبيس، وكأن يظهر للناس قولاً أو فعلاً اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف ليس فيه، مثل العلم والورع أو علو النسب، وبذلك يطلب قيام المنزلة في قلوبهم، وما لم يتوصل إلى اكتسابهما بعبادة، إذ التوصل إلى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام، واليه يرجع معنى الرياء المحذور، كما يأتي.

وأما طلبهما بصفة هو متصف بها، فهو مباح غير مذموم، وذلك كقول يوسف (ع):

" اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " [15].



حيث طلب المنزلة في قلب الملك بكونه حفيظاً عليماً، وكان صادقاً في قوله. وكذا طلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه، حتى لا يعلمه فلا تزول به منزلته في قلبه، مباح غير مذموم، إذ حفظ الستر على القبائح جائز، بل لا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح، وهذا ليس فيه كذب وتلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة للعلم به، كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى إليه أنه ورع، فان قوله إنه ورع تلبيس، وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع، بل يمنع العلم بالشرب، وهو جائز شرعاً وعقلاً.

---

دفع اشكال في حب المال والجاه

الكمال الحقيقي في العلم والقدرة لا المال والجاه

علاج حب الجاه

حب الخمول

حب المدح

## فصل

### دفع اشكال في حب المال والجاه

إن قيل: الوجه في حبهما بالعرض وفي حب قدر ما يضطر إليهما في المعيشة وضرورة البدن ظاهر، فما الوجه في حبهما باعيانهما وفي حب الزائد عن قدر الضرورة منهما؟ كحب جمع المال، وكنز الكنوز، وادخار الذخائر، واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات، وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى اقاصي البلاد التي يعلم قطعاً أنه قط لا يطؤها ولا يشاهد أهلها ليعظموه ويعينوه على غرض من اغراضه، فانه مع ذلك يلتذ به غاية الالتذاز ويسر به غاية السرور، حتى لا يجد في نفسه لذة أقوى منه، ويراه فوق جميع لذاته وابتهاجاته.

قلنا: الوجه في ذلك أمران:

الأول - دفع ألم الخوف الناشئ من سوء الظن وطول الأمل. فان الإنسان وإن كان من المال ما يكفيه في الحال، إلا أنه لطول أمله قد يخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره، فإذا خطر ذلك بباله، هاج الخوف في قلبه، ولا يزول ألم الخوف إلا بالأمن الحاصل من وجود مال آخر يفرع إليه إن أصابت هذا المال آفة، فهو أبدأً لحبه للحياة وشفقته على نفسه يقدر طول الحياة وهجوم الحاجات، ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك، فيطلب ما يدفع خوفه، وهو كثرة المال، حتى ان اصيب بطائفة من ماله يفرع إلى الأخرى. وهذا



خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال، ولذلك لم يكن لميله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا، ولذلك قال (ص): " منهومان لا يشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال " ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده، فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن، أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنهم إلى وطنه، ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكناً، كان للنفس لذة وسرور بقيام المنزلة في قلوبهم، لما فيه من الأمن من هذا الخوف.

الثاني - أن الإنسان مركب من أصول مختلفة: هي القوة الشهوية، والقوة السبعية، والقوة الشيطانية، والروح الذي هو أمر رباني، ولذلك له ميل إلى صفات بهيمية، كالأكل والوقاع، والى صفات سبعية، كالقتل والإيذاء، والى صفات شيطانية، كالمكر والخديعة والاعواء، والى صفات ربوبية، كالعلم والقدرة والكبر والعز والفخر والاستعلاء، فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال، والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال، والاستيلاء على جميع الأشياء بالغبلة، واستناد الكل إليه بالصدور منه والمعلولية.

وبالجملة: مقتضى الربوبية التفرد بالوجود والكمال ورجوع كل وجود وكمال إليه، إذ هو التام فوق التمام، ولا يتحقق ذلك إلا بالتفرد بالوجود والكمال والقدرة والاستيلاء على جميع ما عداه. إذ المشاركة في الوجود نقص لا محالة، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها. فلو كانت معها شمس اخرى كان ذلك نقصاناً في حقها، إذ لم تكن متفردة بكمال معنى الشمسية فإذا كان معنى الربوبية هو التفرد بالوجود والكمال، وكل إنسان كان فيه أمر رباني، فالتفرد بالوجود والكمال محبوب له بالطبع، وضده - اعني العبودية - قهر على نفسه، لأنه علم أن المتفرد بالوجود والكمال هو الله تعالى، إذ ليس معه موجود سواه، فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته، بل هو قائم به، وليس له معية بالوجود بالنسبة إليه تعالى، إذ المعية توجب المساواة في الرتبة، وهي نقصان في الكمال إذا الكامل الحقيقي من لا نظير له في الوجود، والكمال بوجه من الوجوه وان كان لغيره وجود وكمال بعد كونه صادراً منه معلولاً له، إذ تحقق الموجودات وذوات الممكنات لا يوجب نقصاناً في ذاته سبحانه بعد استنادها جميعها إليه، وكونها أضعف منه بمراتب غير متناهية في

الوجود والكمال شدة وقوة، فكما ان اشراق نور الشمس في أقطار الأفاق ليس نقصاناً في الشمس، بل هو من جملة كمالها، وانما نقصانها بوجود شمس أخرى مساوية لها في الرتبة مستغنية عنها، فكذا وجود كل ما في العالم إذا كان من اشراق نور القدرة الإلهية تابعاً لها، لم يكن ذلك نقصاناً في الواجب سبحانه، بل كان كمالاً له.

ولما علم ذلك، وتيقن بأن التفرد بالوجود والكمال والاستيلاء التام على جميع الأشياء لا يليق به، لأنه عبد مملوك مقهور تحت القدرة الإلهية، عرف أنه عاجز عن درك منتهى الكمال الذي هو التفرد بالوجود والاستيلاء أي كون وجود غيره منه. إلا أنه لم تسقط شهوته للكمال، بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال، وطالب لتحصيل ما يتمكن منه. فمطلق الكمال محبوب عنده، إلا أن طلبه إنما يتعلق بالكمال الممكن في حقه ومن الكمال الممكن في حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات، فكان ذلك محبوباً عنده ومطلوباً له. ولما كانت الموجودات منقسمة إلى ما لا تحصى ولكن لا تستولى عليه قدرة الخلق بالتصرف، كالأفلاك والكواكب وملكوت السماوات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجنال والبحار وغير ذلك، وإلى ما يقبل التغيير وتستولي عليه قدرة العباد، كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان، ومن جعلتها قلوب الأدميين ونفوسهم لكونها قابلة للتغيير والتأثير مثل أجسادهم واجساد سائر الحيوانات - فلم يكن للإنسان أن يتصور إمكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه، فلم يتعرض لطلب ذلك، بل أحب في كل منها نوع الاستيلاء الذي يمكن في حقه والاستيلاء الذي يمكنه في حقه بالنظر إلى القسمين الأولين هو الاحاطة عليه بالعلم والاطلاع على اسراره، لأن ذلك نوع استيلاء. إذ المحاط به تحت القدرة، والعالم كالمستولى عليه. ولذلك أحب الإنسان ان يعرف الواجب تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وعجائب الملك والملكوت، لأن ذلك نوع استيلاء، والاستيلاء نوع كمال.

وأما القسم الثالث، فيمكنه أن يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الاراضي والأملك بأن يتصرف فيها بالحيازة والضبط والزرع والغرس، وعلى الأجساد الأرضية الحيوانية والنباتية والجمادية بالركوب والضبط والحمل والرفع والوضع والتسليم والمنع، وعلى نفوس الأدميين وقلوبهم بأن تكون مسخرة متصرفة تحت اشارته وارادته وصيرورتها محبة له باعتقاد

الكمال فيه. ولكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال، أحب الإنسان هذا الاستيلاء على الأموال والقلوب، وإن كان لا يحتاج إليهما في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه، ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأحرار ولو بالقهر والغلبة وقد ظهر مما ذكر: أن محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم والقدرة، والمال والجاه محبوب لكونه من أسباب القدرة ولما كانت المعلومات والمقدورات غير متناهية، فلا يكاد أن تقف النفس إلى حد من العلم والقدرة، ولهما درجات غير متناهية، فسرور كل نفس ولذتها بقدر الدرجة التي تدركها.

## فصل

### الكمال الحقيقي في العلم والقدرة لا المال والجاه

لما عرفت أن المحبوب عند الإنسان هو العلم والقدرة والمال والجاه لكونها كمالاً، فاعلم أنه اشتبه الأمر عليه باغواء الشيطان، حيث التبس عليه الكمال الحقيقي بالوهمي، وتيقن بكون جميع ذلك كمالاً وأحبه. إذ التحقيق أن بعضها كمال حقيقي وبعضها كمال وهمي لا أصل له، والسعي في طلبه جهل وخسران وتضييع وقت وخذلان.

بيان ذلك: أنه لا ريب في عدم كون المال والجاه كمالاً، لأن القدرة والاستيلاء على أعيان الأموال بوجوه التصرف وعلى القلوب والأبدان بالتسخير والانقياد ينقطع بالموت، فمن ظن ذلك كمالاً فقد جهل. فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل، فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال. ولما اعتقدوا كون ذلك كمالاً أحبوه، ولما أحبوه طلبوه، ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه، فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله، اعني العلم والحرية كما يأتي. فهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالأخرة، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى:

" المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً " [1].

فالعلم والحرية وفضائل الأخلاق هي الباقيات الصالحات التي تبقى كاملاً للنفس بعد خراب البدن، والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى، حيث قال:

" إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض... " [2].

وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا، وكل مالا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات.

فقد ظهر أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا أصل له، وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل، إلا قدر البلغة منها إلى الكمال الحقيقي.

وأما العلم، فلا ريب في كون ما هو حقيقة العلم كاملاً حقيقياً، إذ الكمال الحقيقي هو الذي يقرب من يتصف به من الله ويبقى كاملاً للنفس بعد الموت. ولا شك في أن العلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السماوات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو المقرب للعبد إلى الله، إذ هو علم ثابت لا يقبل التغيير والانقلاب، إذ معلوماته أزلية أبدية وليس لها تغيير وانقلاب. حتى يتغير العلم بتغيرها مثل التغيرات التي يتغير العلم بها بتغيرها وانقلابها، كالعالم بكون زيد في الدار.

فهو علم ثابت أزلاً وأبداً من دون تغير واختلاف، كالعالم بجواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات. فهذا العلم - اعني معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله - هو الكمال الحقيقي الذي يبقى بعد الموت وينطوي فيه العلم بالنظام الجملي الأصلح وجميع المعارف المحيطة

١ [1] الكهف، الآية: ٤٦.

٢ [2] يونس، الآية: ٢٤.

بالموجودات وحقائق الأشياء، إذ الموجودات كلها من أفعاله، فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة، كانت هذه المعرفة من تكملة معرفة الله التي تبقى كامالا للنفس بعد الموت، وتكون نوراً للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم وأيمانهم: " يقولون ربنا أتمم لنا نورنا "، وهي رأس مال يوصل إلى كشف مالم ينكشف في الدنيا، كما أن من معه سراج خفي، فانه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه، فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام، ومن ليس معه أصل السراج لا مطمع له في ذلك. فمن ليس له أصل معرفة الله لم يكن له مطمع في هذا النور، بل هو في " ظلمات في بحر لحي، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض ".

وما عدا هذه المعرفة من المعارف، إما لا فائدة فيه أصلاً، كمعرفة الشعر وأنساب العرب ومثلها، أو له منفعة في معرفة الله، كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار، ومعرفة طريق تزكية النفس التي تفيد استعداداً لقبول الهداية إلى معرفة الله، كما قال تعالى:

" قد أفلح من زكاها<sup>3</sup>[3]. وقال: " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا<sup>4</sup>[4].

فهو من حيث إنه وسيلة إلى معرفة الله والى تحصيل الحرية مما لا بد منه بالعرض.

ثم ان المعرفة التي هي كمال حقيقي للإنسان ليس كمال العلم وغايته، إذ لا يتصور كمال العلم ونهايته إلا للواجب تعالى، إذ كمال العلم انما يتحقق بأمر ثلاثة:

الأول - أن يحيط بكل المعلومات، ولا يتحقق ذلك في علم البشر. إذ ما أوتي من العلم إلا قليلا، بل العلم الذي يحيط بجميع المعلومات هو علم الله تعالى، وعلم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات، وكلما كانت معلوماته اكثر كان علمه أقرب إلى علم الله تعالى.

٣ [3] الشمس، الآية: ٩.

٤ [4] العنكبوت، الآية: ٦٩.

الثاني - ان يتعلق بالمعلوم على ما هو به، ويكون المعلوم منكشفاً واضحاً في غاية الانكشاف والوضوح، بحيث لا يقبل انكشافاً أتم منه. وهذا أيضاً غير ممكن التحقق في حق الإنسان، إذ علمه لا يخلو عن كدرة وابهام، بل الكشف التام الذي هو غاية الظهور والانجلاء مختص بعلم الله تعالى، إذ معلوماته مكشوفة بآتم أنواع الكشف على ما هي عليها، وعلم العبد له ببعض مراتب الانكشاف، فكلما كان اجلى واوضح وأتقن واوفق للمعلوم في تفاصيل صفاته، كان أقرب إلى علم الله.

الثالث - أن يكون باقياً أبد الأباد، بحيث لا يتغير ولا يزول. وهذا أيضاً مختص بعلم الله تعالى، إذ علمه تعالى باق لا يتصور أن يختلف ويتغير ويزول، وعلم الإنسان يتغير ويزول، فكلما كان علمه بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب، كان أقرب إلى علم الله تعالى.

هذا، ومن الكمالات للإنسان: التحلي بفضائل الأخلاق والصفات لاجابها صفاء النفس المؤدى إلى البهجة الدائمة والحرية، أعني الخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالفهر، تشبهاً بالملائكة الذين لا تستغرقهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب، إذ رفع آثار الشهوة والغضب من النفس كمال حقيقي، لأنه صفات الملائكة. ومن صفات الكمال لله سبحانه عدم تطرق التغيير والتأثير على حريم كبريائه، فمن كان عن التغيير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله أقرب. وأما القدرة، فقد قال بعض العلماء: " أما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد، إذ القدرة الحقيقية لله، وما يحدث من الأشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته، فهي حادثة باحداث الله تعالى. نعم، له كمال من جهة القدرة بالاضافة إلى الحال، وهي وسيلة إلى كمال العلم، كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش، ورجله للمشي، وحواسه للدراك، فان هذه القوى آلة للوصول به إلى حقيقة كمال العلم، وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والملبس، وذلك إلى قدر معلوم، فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة الله فلا خير فيه ألبته إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب، ولا طريق للعبد إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته، إذ قدرته على كل شيء من الأرضيات كالمال والابدان والنفوس، تنقطع بالموت ".

وأنت خبير بأن تحقق نوع قدرة للعباد مما لا ريب فيه، وان كانت أسبابها وأصلها من الله سبحانه، إلا أن القدرة على الأمور الدنيوية الفانية كالمال والأشخاص وغير ذلك، ليست كمالات حقيقية، لزوالها بالموت. نعم الحق ثبوت القدرة النفسية للعبد - اعني تأثير نفسه في الغير من الكائنات تأثيراً روحانياً معنوياً، كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس في الإنسان والحيوان والنبات والجماد بأنواع التأثيرات، ومثل هذه القدرة تبقى للنفوس بعد الموت ولذا ترى أن من يستغيث ببعض النفوس الكاملة من الأموات يرى منها عجائب التأثيرات والاستفاضات، فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدرة للنفوس بعد الموت محل النظر.

وقد ظهر بما ذكر: أن الكمال الحقيقي للإنسان هو العلم الحقيقي وفضائل الأخلاق والحرية والقدرة.

## فصل

### علاج حب الجاه

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم وعمل. وعلاجه العلمي: أن يعلم أن السبب الذي لأجله أحب الجاه - وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم ان صفا وسلم - فأخره الموت، فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض إلى خمسين سنة أو اكثر لا بد بالآخرة من موت الساجد والمسجود له، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له. ولا ينبغي للعاقل أن يترك بمثل ذلك الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها. ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي - كما سبق - صغر الجاه في عينه، إلا أن ذلك انما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده، وأبصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب، كما قال الله تعالى:

" بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى "٥ [5]. وقال: " كلا بل تحبون العاجلة وتذرون

الآخرة "٦ [6].

فمن هذه مرتبته، فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفة الآفات العاجلة، وهو يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود مقصود بالإيذاء، وخائف على الدوام على جاهه ولا يزال في الاضطراب والخوف من أن يتغير منزلته في القلوب. مع أن قلوب الناس أشد تغيراً وانقلاباً من القدر في غليانه، وهي مردهة بين الاقبال والاعراض، فكلما بيني على قلوب الخلق يضاهي ما بيني على أمواج البحر فانه لا ثبات له. والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الأعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدره للذة الجاه، فلا يبقى في الدنيا أيضاً مرجوهاً بمخوفها، فضلاً عما يفوت في الآخرة. فبهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا التفات له إلى الدنيا فهذا هو العلاج العلمي.

وأما العلاج العملي فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بصد الجاه الذي هو الخمول ويقنع بالقبول من الخالق، وأقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى مواضع الخمول، لا مجرد الاعتزال في بيته في البلدة التي هو فيها مشهور، لأن المعتزل في بيته في البلدة التي هو فيها مشهور عند أهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزلة التي تترسخ له في القلوب، فربما يظن أنه ليس محباً لذلك الجاه وهو مغرور، وانما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها، ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه أو نسبوه إلى امر غير لائق، ربما جزعت نفسه وتألمت وتوصلت إلى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم، وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتليبس ولا يبالي به، وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة، ولا يمكنه ألا يحب المنزلة في قلوب الناس ما

٥ [5] الأعلى، الآية: ١٦ - ١٧.

٦ [6] القيامة، الآية: ٢٠ - ٢١.



دام يطمع في الناس ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة. فمن قنع استغنى عن الناس، وإذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب وزن عنده، بل من لم يطمع في الناس وكان من أهل المعرفة، كان الناس عنده كالبهائم، فكيف يكون طالباً لقيام منزلته في قلوبهم؟.

والحاصل: أن الغالب والباعث على قيام المنزلة في قلوب الناس هو الطمع منهم، ولذا ترى أنك لا تطلب قيام منزلتك في قلوب من في أقصى المشرق أو المغرب، لعدم طمع لك فيهم، ثم ينبغي أن يستعين على المعالجة بالأخبار الواردة في ذم الجاه - كما مر - وفي مدح الخمول، كما يأتي.

## فصل

### حب الخمول

ضد حب الجاه والشهرة حب الخمول، وهو شعبة من الزهد، كما أن حب الجاه شعبة من حب الدنيا. فحب الدنيا والزهد ضدان.

ثم الخمول من صفات المؤمنين وخصال الموقنين، وقد كانت طوائف العرفاء المتوحدين ومن يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالين إياه، وكل من عرف الله واحبه وانس به، كان محباً للخمول متوحشاً من الجاه وانتشار الصيت، كما تنادى به كتب السير والتواريخ. وقد وردت بمدحه أخبار كثيرة، كقول رسول الله (ص): " إن اليسير من الرياء شرك، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يتحول من كل غبراء مظلمة ". وقوله (ص): " رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، لو قال: اللهم أسألك الجنة! لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً ". وقوله (ص): " ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف، لو أقسم على الله لأبره ". وقوله (ص): " إن أهل الجنة كل اشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، الذين إذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا، وإذا قالوا لم ينصت لهم. حوائج أحدهم تتخلل في صدره، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم

" . وقوله (ص): " إن من امتي من لو اتى احدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه، أو يسأله درهما لم يعطه إياه ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاها إياه، ولو سأل الدنيا لم يعطها إياه، وما منعها إياه لهوانه عليه " وقوله (ص): " قال الله عز وجل: ان من أغبط أوليائي عندي رجلاً خفيف الحال، ذا حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس، جعل رزقه كفافاً فصير عليه، عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه " [7]٧. وورد: " أن الله تعالى يقول في مقام الامتتان على بعض عبيده: ألم أنعم عليك؟ ألم استرك؟ ألم أحمل ذكرك " . وقال بعض خيار الصحابة: " كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، احلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلفان الثياب. تعرفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض " . ومن اطلع على أحوال اكابر الدين والسلف الصالحين من ايثارهم الخمول والذل على الجاه والشهرة والغلبة، ثم في ما ورد في مدحهما من الأخبار، تيقن بأنهما من أوصاف المؤمنين، ولا بد للمؤمن من الاتصاف بهما، ولذا ورد: " أن المؤمن لا يخلو عن ذلة أو علة أو قلة " .

ومنها:

### حب المدح

وكرهية الذم. وهما من نتائج حب الجاه، ومن المهلكات العظيمة إذ كل محب للمدح والثناء خائف من الذم، يجعل أفعاله وحركاته على ما يوافق رضا الناس، رجاءاً للمدح وخوفاً من الذم. فيختار رضا المخلوق على رضا الخالق، فيرتكب المحظورات ويترك الواجبات، ويتهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتعدى عن الانصاف والحق، وكل ذلك من المهلكات، وليس للمؤمن أن يحوم حولها، بل المؤمن من لم يؤثر قط رضا المخلوق على رضا الخالق، ولا تأخذه في الله لومة لائم. ولعظم فساد حب المدح وغيظ الذم ورد في ذمهما ما ورد في الأخبار، قال رسول

الله (ص): " إنما هلك الناس بإتباع الهوى وحب الثناء ". وقال (ص): " رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى ". وقال (ص) لرجل اثنى على آخر بحضرته: " لو كان صاحبك حاضراً فرضى بالذي قلت فمات على ذلك، دخل النار ". وقال (ص): لما مدح آخر: " ويحك! قطعت ظهره! ولو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة ". وقال (ص): " ألا لا تمادحوا! وإذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ". وقال (ص): " ويل للصائم! وويل للقائم! وويل لصاحب التصوف! إلا من.... فقيل: يا رسول الله إلا من؟ فقال: إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا، وأبغض المدحة واستحب المذمة ".

---

مراتب حب المدح وكراهة الذم

أسباب حب المدح

علاج المدح وكراهة الذم

ضد حب المدح

الرياء

ذم الرياء

أقسام الرياء

## فصل

### مراتب حب المدح وكراهة الذم

اعلم أن لحب المدح وكراهة الذم مرتبتين: أولاهما: أن يفرح بالمدح ويشكر المادح، ويغضب من الذم ويحقد على الذام، ويكافيه أو يحب مكافاته. وهذا حال أكثر الخلق، ولا حد لاثمها. واخرهما: أن يفرح باطنه ويرتاح للمادح، ولكن يحفظ ظاهره من اظهار السرور، ويتبغض في الباطن على الذام، ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته وهذه وان كانت نقصاناً، إلا أنها بالنظر إلى الأولى كمال.

وباعتبار آخر، لحب المدح درجات:

الأولى - أن يتمنى المدح وانتشار الصيت بحيث يتوصل إلى نيلهما بكر ممكن، حتى يراني بالعبادات ولا يبالي بمفارقة المحظورات، لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح. وهذا من الهالكين.

الثانية - أن يريد ذلك ويطلبه بالمباحات لا بالعبادات وارتكاب المحظورات، وهذا على شفا جرف الهلاك. إذ حدود الكلام والأعمال التي يستميل بها القلوب لا يمكنه أن يضبطها، فيوشك أن يقع فيما لا يحل له ليتوصل به إلى نيل المدح. فهو قريب من الهالكين.

الثالثة - ألا يريد المدح ولا يسعى لطلبه، ولكن إذا مدح سر وارتاح، من غير وجدان كراهة في نفسه لهذا السرور والارتياح، وهذا أيضاً نقصان، وان كان أقل اثمًا بالاضافة إلى ما قبله.

الرابعة - أن يسر ويرتاح، ولكن كره هذا السرور والارتياح، وكلف قلبه كراهة المدح وبغضه، وهو في مقام المجاهدة، ولعل الله يسامحه إذا بذل جهده. ومع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهة المدح دائماً.

## فصل

### أسباب حب المدح

حب المدح والثناء له أسباب:

الأول - شعور النفس بكمالها، فإن الكمال لما كان محبوباً فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها، فإن كان بما به المدح وصفاً مشكوكاً فيه صادر عن خبير بصير لا يجازف في القول، كالوصف بكمال العلم والورع وبالحسن المطلق، فاللذة فيه عظيمة لأن الإنسان ربما كان شاكاً في كمال علمه وكمال حسنه ويكون شائقاً لزوال هذا الشك، فإذا ذكره غيره، (لا) سيما إذا كان من أهل البصيرة، أورت ذلك طمأنينة وثقة بوجود ذلك الكمال، فعظمت لذته، ولو كان صادراً ممن لا بصيرة له، كانت لذته أقل لقلة الاطمئنان بقوله. وإن كان ما به المدح وصفاً جلياً، كاعتدال القامة وبياض اللون كانت لذته في غاية القلة، لأن ثناءه لا يورث ماليس له من الطمأنينة والثقة ألا أنه لا يخلو عن لذة ما، إذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذة ما. ولضد هذه العلة يبغض الذم ايضاً، لأنه يشعر بنقصان في نفسه، والنقصان ضد الكمال.

الثاني - ان المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح، وانه مرید له معتقد فيه ومسخر تحت مشيئته، وملك القلوب محبوب، والشعور بحصوله لذيد، ولذلك تعظم اللذة مهما صدرت ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالمملوك والأكابر، ولضد هذه العلة يكره الذم ويتألم القلب به.

الثالث - أن المدح سبب اصطياد قلب كل من يسمعه، لا سيما اذا كان المادح ممن يعتنى بقوله، وهذا يختص بمدح يقع على الملأ.

الرابع - أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى اطلاق اللسان بالثناء عليه طوعاً أو قهراً، والحشمة محبوبة لما فيها من الغلبة والقدرة، فشعور النفس بها يورث لذة، وهذه اللذة تحصل وان علم الممدوح ان المادح لا يعتقد بما يقوله، إذ ما يطلبه يحصل منه، ولضد هذه العلة يبغض الذم أيضاً.

وهذه الأسباب قد تجتمع في مدح واحد فيعظم به الالتذاد، وقد تفرق فينتقص ويندفع استشعار الكمال، بأن يعلم الممدوح أن المادح غير صادق في مدحه، فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية أيضاً، وهو استيلاءه على قلبه، وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالمدح.

## فصل

### علاج المدح وكراهة الذم

اذا علم أن حب المدح وكراهة الذم من المهلكات، فيجب أن يبادر إلى العلاج. وعلاج الأول: أن يلاحظ أسبابه، ويعلم أن شيئاً منها لا يصلح حقيقة لأن يكون سبباً له. أما استشعار الكمال بالمدح، فلأن المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل الله حيث أعطاه هذه الصفات، وإن كذب فينبغي أن يغمه ذلك ولا يفرح به لأنه استهزاء به، مع أن الفرح مطلقاً في صورة الصدق من السفاهة، اذ الوصف الذي مدح به إن كان مما لا يستحق الفرح به، كالثروة والجاه وغيرهما من المطالب الدنيوية، فالفرح به من قلة العقل، لأنها كمالات وهمية لا أصل لها، وان كان مما يستحق الفرح به كالعلم والورع، فالفرح إنما هو لكونه مقرباً إلى الله، وهذا فرع حسن الخاتمة وهو غير معلوم. ففي الخوف من خطر الخاتمة شغل شاغل من الفرح بكل شيء. وأما دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبباً لتسخير قلب من

يسمعه، فحب ذلك يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب، وقد سبق طريق معالجته. وأما دلالاته على الحشمة، فانها ليست إلا قدرة عارضة ناقصة لاثبات لها، والعاقل لا يفرح بمثلها.

أما علاج الثاني: - اعني كراهة الذم - فيعلم بالمقايسة على علاج حب المدح. والقول الوجيز فيه: ان من يذمك إن كان صادقاً وقصده النصح والارشاد، فلا ينبغي أن تبغضه وتغضب عليه، بل ينبغي أن تفرح وتجتهد في إزالة الصفة المذمومة عن نفسك، وما أقبح بالمؤمن أن يغضب على من يحسن إليه ويريد هدايته. وان كان قصده الإيذاء والتعنت، فلا ينبغي لك أيضاً أن تبغضه وتكره ذلك، لأنه أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلاً به، وذكرك إياه إن كنت غافلاً عنه، وقبحه في عينك إن كنت متذكراً له، وعلى التقادير قد استفدت منه ما تنتفع به، وينبغي لك أن تغتنمه وتبادر إلى إزالة عيبك. وإن كان كاذباً مفترياً عليك بما أنت منه بريء، فينبغي لك أيضاً ألا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه، لأنك وإن خلوت من ذلك العيب، إلا أنك لا تخلو من عيون اخر مساوية له وافحش منها، فاشكر الله تعالى على أنه سترها ولم يطلع أحداً عليها، ودفعها بذكر ما أنت منه بريء، مع أنه كفارة لبقية مساويك. ومن ذمك أهدى إليك حسناته وجنى على دينه، حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه عليك، فما بالك تحزن بحط ذنوبك واهداء الحسنات إليك؟ ولم تغضب عليه، مع أن الله سبحانه غضب عليه وأبعده من رحمته، فان ذلك كاف لا نتقامك منه.

## فصل

### ضد حب المدح

ضد حب المدح وكراهة الذم: إما كراهة المدح وحب الذم أو مساواتهما عنده بحيث لا تسره المدحة ولا تغمه المذمة. وقد تقدم بعض الأخبار الدالة على ذم من لم يتصف بالحالة الأولى. وهي وإن كانت نادرة الوجود، إذ ما أقل على بسيط الأرض - (لا) سيما في هذه الإعمار - من تستوى عنده المدحة والمذمة، فضلاً عن يكره المدح ويسر بالذم، إلا أن

تحصيلها ممكن إذ كل من عرف أن المدح مضر بدينه وقاصم لظهره فلا بد أن يكرهه  
ويبغض المادح، لو كان عاقلاً مشفقاً على نفسه. وكذا من عرف أن الذم له يرشده إلى عيوبه  
ويهدى إليه بعض حسناته، لا بد أن يحبه ويسر بذمه.

وأما الحالة الثانية، فهي أولى درجات الكمال، ومن لم يتصف بها فهو ناقص. فالإتصاف  
بها لازم على كل مؤمن. وربما ظن بعض الناس إتصافه بها، مع كونه فاقداً لها. فمن ظن  
ذلك من نفسه، فلا بد أن يمتحن نفسه بعلاماتها، حتى يظهر له صدق ظنه وكذبه، وعلاماته:  
ألا يكون سعيه ونشاطه في قضاء حوائج المادح أكثر منهما في قضاء حوائج الزام، وألا  
يتفاوت همه وحزنه لأجل موتها وابتلائها بمصيبة، وألا تكون ذلة المادح أخف في قلبه  
وعينه من ذلة الزام، وألا يكون جلوس الزام عنده أثقل ولا قيامه أهون من جلوس المادح  
وقيامه. وبالجملة: أن يستويا عنده من كل وجه. فمن وجد في نفسه استواءهما في جميع  
الجهات، فهو ممن يتساوى عنده المدح والذم.

ومنها:

### الرياء

وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير أن أو ما يدل عليها من الآثار. فهو من  
أصناف الجاه، إذ هو طلب المنزلة في القلوب بأي عمل اتفق، والرياء طلب المنزلة بادائه  
خصال الخير أو ما يدل على الخير ثم خصال الخير يشمل أعمال البر بأسرها، وهي أعم  
من العادات إن خصت العبادة بمثل الصلاة والصوم والحج والصدقة وأمثال ذلك ومساوقة  
لها إن أريد بالعبادة كل فعل يقصد به التقرب ويترتب عليه الثواب إذ على هذا كل عمل من  
أعمال الخير، سواء كان من الواجبات أو المندوبات أو المباحات في الأصل إذا قصد به  
القربة كان طاعة وعبادة، وإن لم يقصد به ذلك لم يكن عبادة ولا عمل خير، ولو كان مثل  
الصلاة. وربما خص الرياء عادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة بالمعنى الأخص.



والمراد بالآثار الدالة على الخيرية هي كل فعل ليس في ذاته براً وخيراً، وإنما يستدل به على الخيرية.

وهي إما متعلقة بالبدن، كإظهار النحول والصفار ليستدل بهما على قلة الأكل أو الصوم وسهر الليل، ويوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة الخوف من الله ومن أهوال الآخرة، وكخفض الصوت ليستدل به على ان وقار الشرع قد خفض صوته... وقس عليها غيرها من الأمور المتعلقة بالبدن، الدالة على الخيرية قصداً إلى تحصيل المنزلة في قلوب الناس، وكل ذلك يضر بالدين وينافي الورع واليقين، ولذا قال عيسى (ع): " إذا صام احدكم، فليدهن رأسه، ويرجل شعره، ويكحل عينيه"، خوفاً من نزع الشيطان بالرياء. ثم هذه مراة أهل الدين بالبدن، وأما أهل الدنيا فيراون في البدن بإظهار السمن وشفاء اللون ونظافة البدن وحسن الوجه وأمثال ذلك.

أو متعلقة بالزي والهيئة كحلق الشارب وإطراق الرأس في المشي، والهدوء في الحركة، وأبقاء أثر السجود في الجبهة، ولبس الصوف أو الثوب الخشن أو الابيض وتعظيم العمامة ولبس الطيلسان والدراعة، وأمثال ذلك مما يدل على العلم والتقوى أو الانخلاع عن الدنيا. والمراون من أهل الدين بالزي واللباس على طبقات: منهم من يرى طلب المنزلة بالثياب الخشة، ومنهم من يرى بالثياب الفاخرة، ومنهم من يرى بالوسخة، ومنهم من يراه بالنظيفة، وللناس فيما يعشقون مذاهب وأما أهل الدنيا فلا ريب في أنهم يراون في اللباس بلبس الثياب النفيسة وركوب المراكب الرفيعة وأمثال ذلك.

أو متعلقة بالقول والحركات كإظهار الغضب والاسف على المنكرات ومقارفة الناس للمعاصي، ليستدل بها على حمايته للدين وشدة اهتمامه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ان قلبه لم يكن متأثراً عن ذلك، وكإرخاء الجفون وتنكيس الرأس عند الكلام وإظهار الهدوء والسكون في المشي، ليستدل بذلك على وقاره، وربما اسرع المرائي في المشي إلى حاجة فإذا اطلع عليه واحد رجع إلى الوقار خوفاً من أن ينسب إلى عدم الوقار فإذا غاب الرجل عاد إلى عجلته.

او متعلقة بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرون له والواردون عليه (لا سيما من العلماء والعباد والامراء ليقال إن أهل الدين والعظماء يتبركون بزيارته.

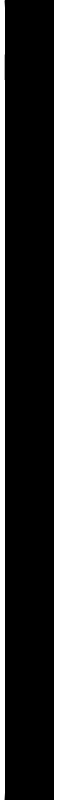
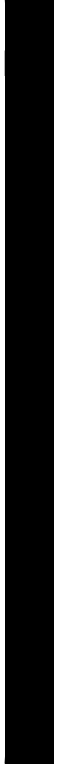
## فصل

### ذم الرياء

الرياء من الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمه، قال سبحانه:

" فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون" [1].  
وقال سبحانه: " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه

احداً" [2] . وقال سبحانه: " يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً " [3] . وقال: " كالذي  
ينفق ماله رياء الناس " [4] .



وقال رسول الله (ص): " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر " قالوا: وما الشرك الاصغر؟ قال: " الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة للمرائين إذا جازى العباد باعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ". وقال (ص): " استعينوا بالله من جب الحزن " قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: " واد في جهنم أعد للقراء المرائين ". وقال (ص): " يقول الله تعالى: من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله، وأنا منه بريء، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك " وقال (ص): " لا يقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرة من رياء ". وقال (ص): " إن أدنى الريا الشرك ". وقال (ص): " إن المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عمالك وحبط اجرک اذهب فخذ اجرک ممن كنت تعمل له ". وكان (ص) يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال " إني تخوفت على امتي الشرك أما انهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمرأً ولا حجراً ولكنهم يراءون باعمالهم ". قال (ص): " سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائره وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم " قال: " إن الملك ليصد بعمل العبد مبتهجاً به فإذا

صعد بحسناته يقول الله عز وجل: اجعلوها في سجين إنه ليس إياي اراد به " [5] وقال

(ص): " ان الحفظة تصعد بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقه واجتهاد وورع، لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك، فيجاوزون به إلى السماء السابعة، فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه، اقلوا به على قلبه، إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي، إنه أراد بعمله غير الله، إنه أراد رفعه عند الفقهاء وذكرأ عند العلماء وصينأ في المدائن، أمرني أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، وكل عمل لم يكن لله خالصأ فهو رياء، ولا يقبل الله عمل المرئي، قال (ص): وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله فيقفون به بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله، قال: فيقول الله تعالى لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه، انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فنقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا، وتقول السماوات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن ".  

---

وقال أمير المؤمنين (ع): " اخشوا الله خشية ليست بتعذير<sup>6</sup> [6] واعملوا بغير رياء ولا

سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله يوم القيامة " وقال الباقر (ع): " إلا بقاء على العمل اشد من العمل " قيل: وما إلا بقاء على العمل؟ قال: "يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرّاً ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانيه ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياء ". وقال الصادق (ع): " قال الله تعالى انا خير شريك فمن عمل لي ولغيري فهو لمن عمل له غيري ". وقال (ع): " قال الله تعالى: أنا أغنى الأغنياء عن الشريك فمن اشرك معي غيري في عمل لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً " وقال (ع): " كل رياء شرك، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله ". وعن أبي عبد الله (ع): في قول الله عز وجل:

**" فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً " .**

قال: " الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس، يشتهد أن يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه " ثم قال: " ما من عبد أسر خيراً فذهبت الايام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسر شراً فذهبت الايام حتى يظهر الله له شراً. وقال (ع): " ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسر سيئاً أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول: " بل الإنسان على نفسه بصيرة " . ان السريرة إذا صحت قويت العلانية. وقال (ع): " من أراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له أكثر مما أراد به ومن أراداه الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبقى الله إلا ان يقله في عين من سمعه ". وقال (ع) لعباد البصرى: " ويلك يا عباد! إياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له ". وقال (ع): " اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فإنه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فهو لا يصعد إلى الله ". وقال الرضا (ع) لمحمد بن



عرفة: " ويحك يا بن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله إلى

ما عمل ويحك ما عمل أحد عملاً إلا أَرادَه اللهُ به إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً " [7].

وكفى للرياء ذمّاً انه يوجب الاستحغار لله وجعله أهون من عباده الضعفاء الذين لا يقدرّون نفعاً ولا ضرراً، إذ من قصد بعبادة الله عبداً من عبّيده فلا ريب في أن ذلك لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه منه تعالى وأي استحغار بمالك الملوك اشد من ذلك.

## فصل

### (أقسام الرياء)

الرياء إما في العبادات أو في غيرها (والاول) حرام مطلقاً وصاحبه ممقوت عند الله وهو يبطل أصل العبادة ولأن الاعمال بالنيات، والمرائي بالعبادة لم يقصد امتثال أمر الله بل قصد ادراك مال أو جاه أو غرض آخر من الأغراض فلا يكون ممثلاً لأمر الله خارجاً عن عهدة التكليف، ثم مع بطلان عبادته وعدم خروجه عن عهدة التكليف يكون له اثم على حدة لأجل الرياء، كما دلت عليه الآيات والأخبار، فيكون أسوأ حالاً ممن ترك العبادة رأساً، كيف لا والمرائي بالعبادة جمع بين الاستهزاء بالله والتلبيس والمكر لأنه خيل إلى الناس أنه مطيع لله من أهل الدين وليس كذلك.

وإما الرياء بغير العبادات، فقد يكون مذموماً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون واجباً، إذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وألا يفعل ما يعاب عليه، فلا يليق بذوى المروات أن يرتكبوا الامور الخسيصة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم ذلك في الخلوة، ومن زين نفسه باللباس أو غيره في أعين الناس حذراً من لومهم واستنقالمهم أو استنقارهم اياه كان ذلك مباحاً له، إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم إلا أن ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والأشخاص من العباد، فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموماً بالنظر إلى وقت أو شخص أو بلد غير مذموم بالنظر إلى آخر. روى: " ان رسول الله (ص) أراد يوماً أن يخرج على أصحابه، فكان ينظر في حب من الماء ويسوى عمامته

وشعره، فقيل له: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم، إن الله تعالى يحب من العبد أن

يتزين لأخوانه إذا خرج إليهم". وقال أمير المؤمنين (ع): " يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما

يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة"، وقال الصادق (ع): " الثوب النقي

يكتب العدو". وروى: " أنه (ع) نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو

يحمّله، فلما رآه الرجل استحي منه، فقال (ع): اشتريته لعيالك وحملته إليهم، أما والله لو لا



أهل المدينة لا حبيت أن اشتري لعيالى الشيء ثم احمله إليهم "٨[8] أراد (ع) لو لا مخافة

ان يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله، إلا أنه لما كان في زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه، ولما لم يكن ذلك مما يعاب عليه في زمن أمير المؤمنين (ع) كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليماً. فظهر أن ارتكاب بعض الأمور وعدم ارتكاب بعض الأفعال قد يكون رياء محبوباً وقد يكون رياء مذموماً.

---

---

تأثير الرياء على العبادة  
السرور بالاطلاع على العبادة  
متعلقات الرياء  
بواعث الرياء  
الرياء الجلي والخفي  
كيف يفسد الرياء العمل  
شوائب الرياء مبطله للعمل

## فصل

### (تأثير الرياء على العبادة)

الرياء إما أن يكون مجرداً عن قصد القربة والثواب بحيث لولاه وانفرد صاحبه لترك العمل وهو أشد درجات الرياء واعظهما اثماً، أو يكون مع قصدهما فإن كان قصداً ضعيفاً مرجوحاً بحيث لو كان خالياً عن قصد الرياء لم يبعثه على العمل، ولو كان قصد الرياء خالياً عنهما بعثه عليه، كان قريباً من سابقه وان كان مساوياً لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل، فالحق كونه مفسداً للعمل أيضاً لظواهر الأخبار. وان كان راجحاً على قصد الرياء غالباً عليه بأن يكون قصد الرياء واطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه بحيث لو لم يكن لم يترك العمل، ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم على العمل، (فبعض العلماء) على أنه لا يحبط أصل العمل والثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب و (فيه نظر) إذ ظواهر الأخبار تفيد ابطاله اصل العمل والثواب لصدق الرياء عليه وصدق المرائي على صاحبه، لقول أمير المؤمنين (ع): " ثلاث علامات للمرائي: ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده ويحب أن يحمد في كل اموره " وما تقدم من الأخبار الدالة على أن كل عمل اشرك مع الله تعالى غيره كان الله منه بريئاً ولم يقبله، صريح في المطلوب. وحملها على ما إذا تساوى القصد أو كان قصد الرياء ارجح خلاف الظاهر. ثم الظاهر ان البطلان في هذه الصورة إنما هو اذا رجع قصده إلى حبه اطلاع الناس عليه لتقع منزلة له في قلوبهم، ليتوسل بها إلى نيل

غرض من الأغراض الدنيوية، وأما إذا كان سروره وقصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحيحة الآتية فلا بأس به ولا يبطل العمل.

### تنبيه

#### (السرور بالاطلاع على العبادة)

من كان قصده اخفاء الطاعة والإخلاص لله، فإذا اتفق اطلاع الناس على طاعته فلا بأس بالسرور به، من حيث علمه بأن الله اطعمهم عليه واطهر الجميل من حاله، فيستدل به على حسن صنع الله به من حيث انه ستر الطاعة والمعصية، والله تعالى ابقى معصيته على الستر وأظهر طاعته، فيكون فرحه بجميل نظر الله وفضله له لا بمدح الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، وقد قال الله تعالى:

" قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا " [1]

وكانه ظهر له بظهور طاعته بأنه عند الله مقبول ففرح به أو من حيث استدلاله باظهار الله الجميل وستره القبيح في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة، قال رسول (ص): " ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة " فالأول فرح بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل، وهذا التفات إلى المستقبل. أو من حيث ظنه رغبة المطلعين في الاقتداء في الطاعة، فيتضاعف بذلك اجره، إذ يكون له اجر السر بما قصده أولاً، واجر العلانية بما اظهره آخراً ومن اقتدى الناس به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء. أو من حيث فرحه بطاعة المطلعين لله في مدحهم وحبهم للمطيع، وميل قلوبهم إلى الطاعة، أذ من الناس من يمقت أهل الطاعة ويحسد لهم أو يستهزئ بهم وينسبهم إلى الرياء، فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله، وعلامة الإخلاص فيه: أن يكون سروره بمدحهم غيره مثل سروره بمدحهم اياه.

ويدل على عدم البأس بالسرور فيما ذكر ما روي: " أن رجلا قال لرسول الله (ص): اني اسر العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه فيسرنى! قال: لك أجران: أجر السر وأجر العلانية " وما وري: " أنه سئل الباقر (ع) عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك، قال: لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك ". وهذان الخبران باطلاقهما يدلان على نفي البأس بالسرور لأجل المقاصد المذكورة ويخصص منهما ما هو المذموم من الفرغ الحاصل من اطلاع الناس، وان كان قصده إخفاء أولاً، وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بحوائجه، وانما يخصص ذلك منهما مع شمول اطلاقهما له أيضاً لمعارض أقوى.

هذا وقد تقدم أن قصده أولاً - أي في حال عقد الطاعة - اطلاع الناس عليه وارتياحه به لأحد المقاصد المذكورة لا بأس به أيضاً، فعدم البأس لا يختص بطرو القصد والارتياح بعد العقد أو بعد تمام العمل.

ثم كما لا بأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذكورة، فكذلك لا بأس بكتمان المعاصي واغتمامه باطلاع الناس عليها لاسباب نذكرها، بل الحق رجحان الكتمان ومزيته بعد ارتكابها، وان كان الاصل في الإخلاص استواء السريرة والعلانية. ولذا قال بعض الأكابر: " عليك بعمل العلانية وهو ما إذا ظهر لم تستح منه ". وقال بعضهم: " ما عملت عملاً ابالي ان يطلع الناس عليه إلا اتيناني أهلي والبول والغائط ". إلا ان ذلك درجة عظيمة ليست شرعة لكل وارد، ولا يصل إليها إلا واحد بعد واحد. إذ كل إنسان - إلا من عصمه الله - لا يخلو من ذنوب باطنة. (لا) سيما ما يختلج بباله من الاماني الباطلة والامور الشهوية، والله مطلع عليها وهي مخفية عن الناس، والسعي في اخفائها وكراهة ظهورها جائز بل راجح، بشرط ألا يكون باعث اخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع والصلاح، بل كان الباعث:

١- إما كون السر مأموراً به.

٢- أو كون الهتك وإظهار المعاصي منهياً عنه. قال رسول الله (ص): " من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستره بستر الله تعالى ". ويعرف صدق ذلك بكراهة ظهورها عن الغير، أو كون ستر

الله عليه في الدنيا دليلاً على ستره في الآخرة، لما ورد في الخبر: " أن من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة ".

٣- أو كون ظهور المعاصي موجباً لدم الناس، والدم يؤلم القلب ويشغله عن طاعة الله، ويصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لأجله، ولكون التألم بالدم جبلياً غير ممكن الدفع بسهولة يكون إخفاء ما ظهوره يؤدي إلى حدوثه جائزاً. نعم، كمال الصدق استواء المدح والذم، إلا أن ذلك قليل جداً، وأكثر الطباع تألم بالذم، لما فيه من الشعور بالنقصان وربما كان التألم بالذم ممدوحاً إذا كان الزام من أهل البصيرة في الدين، فإن ذمه يدل على وجود نقصان فيه، فينبغي أن يتألم منه ويتشمر لدفعه.

٤- أو كون الناس شهداء يوم القيامة، كما ورد فيجوز الإخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامة.

٥- أو خوف أن يقصد بشر أو سوء إذا عرف ذنبه.

٦- أو خوف صيرورة الزام عاصياً بذمه، وهذا من كمال الإيمان ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره.

٧- أو خوف سقوط وقع المعاصي من نفسه أو اقتداء الغير به فيها وهذه العلة هي المبيحة لظاهر الطاعة، ويختص ذلك بمن يقتدى به من الأئمة وامثالهم، ولهذه العلة ينبغي أن يخفي العاصي معصيته من أهله وولده أيضاً، لئلا يقتدوا به فيها.

٨- أو حبه محبة الناس له لا للتوسل بها إلى الأغراض الدنيوية، بل ليستدل بها على محبة الله تعالى له، لأن من أحبه الله تعالى جعله محبوباً في قلوب الناس.

٩- أو مجرد الحياء من ظهور قبائحهم، وهو غير خوف الذم والقصد بالشر، إذ هو من فضائل الأخلاق ومن كريم الطبع، قال رسول الله (ص): " الحياء خير كله ". وقال الصادق (ع): " الحياء شعبة من الإيمان ". وقال (ص): " ان الله تعالى يحب الحي الحليم ". ومن صدر عنه فسق ولم يبال بظهوره للناس، فقد جمع إلى الفسق الهتك وعدم الحياء - أعني الوقاحة -، فهو أسوأ حالاً ممن يفسق ويستحي فيستره.

ثم كثيراً ما يشتبه الحياء بالرياء، فيدعي من يرائي بأنه يستحي، وأن تركه السيئات أو إخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس دون الرياء، وذلك كذب، وبيان ذلك: أن الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم، ويمكن أن يهيج عقبيه داعية الرياء فيرائي معه ويمكن أن يهيج داعية الإخلاص فيجمعه إليه. مثلاً من طلب من صديقه قرضاً، فإن رده صريحاً من غير مبالاة ومن دون أن يتعلل ارتكب الوقاحة وعدم الحياء. وإن أعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهة من دون رغبة في الثواب ولا خوف من ذمه أو حب إلى مدحه حتى لو طلبه مراسلة أو بتوسط غيره من الأجانب لرده، فاعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب رياء أو إخلاص عليه. وإن تعسر عليه الرد للحياء وكان ما في نفسه من البخل مانعاً من الاعطاء فحدث خاطر الرياء، ويخاطب نفسه بأنه ينبغي أن تعطيه حتى يمدحك بالسخاء ولا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء، والمحرك للرياء هو هيجان الحياء. وإن تعسر عليه الرد للحياء والاعطاء للبخل، فهيج باعث الإخلاص، ويقول له: إن الصدقة بواحدة والقرض بثمانية، ففيه اجر عظيم، وادخال السرور على قلب مسلم صديق من أقرب القربات، فسخت نفسه بالاعطاء، فهو جمع بين الحياء والإخلاص ثم الحياء لا يكون إلا في القرائح الشرعية أو العقلية أو العرفية، كالبخل ومقارفة الذنوب والظلم وصدور بعض الحركات القبيحة عرفاً في المحافل، والرياء يكون في المباحات أيضاً، حتى أنه لو عاد الضاحك إلى الانقباض والمستعجل في المشي إلى الهدوء بعد اطلاع الناس كان مرئياً، وربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء وهو الجهل، إذ باعثه مجرد الرياء. وما قيل: إن بعض الحياء ضعف، فالمراد أن الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس، كالحياء من وعظ الناس واقامة الصلاة ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه، كأن يشاهد معصية من شيخ فيستحي من شيبته أن ينكر عليه، لأن من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم، ولو استحيى من الله ولا يضيع الأمر بالمعروف لكان أحسن. وأقوياء النفوس من اهل الإيمان يؤثرون الحياء من الله على الحياء من الخلق، وأما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرّون على ذلك.

## فصل

### متعلقات الرياء

الرياء إما باصل الإيمان، وهو اظهار الشهادتين مع التكذيب باطناً وهذا هو كفر النفاق، وقد كان في صدر الإسلام كثيراً، وقل ما يوجد في أمثال زماننا، وان كثر فيه انكار بعض ضروريات الدين، كالجنة والنار والثواب والعقاب واعتقاد طبي بساط أحكام الشرع باطناً، ميلا إلى قول الملاحدة وأهل الاباحة، مع اظهار الخلاف ظاهراً، وهذا أيضاً معدود من كفر النفاق، وصاحبه ينسل عن الدين مخلد في النار. وصاحب كفر النفاق مطلقاً أسوأ حالا من الكافر المحارب، لأنه جمع بين الكفر الباطن والنفاق الظاهر. أو باصول العبادات مع التصديق باصل الدين، كأن يصلي في الملاء دون الخلوة، ويصوم مع اطلاع الناس عليه ويفطر بدونه، ومثله وإن لم ينسل من أصل الدين، إلا أنه شر المسلمين، لترجيحه الخلق على الخالق، وكون التقرب إليهم أحب من التقرب لديه وكون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه. أو بالنوافل والسنن، وهذا أيضاً مذموم مهلك، ولكنه دون ما قبله، لأن صاحبه وان قدم مدح الخلق على مدح الخالق، إلا أنه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه، لعدم ترتب عقاب على ترك النافلة. أو بأوصاف العبادة الواجبة أو المستحبة، كفعل ما في تركه نقصان أو كراهة أو ترك ما في فعله أحدهما أو بزيادات خارجة عن نفس النوافل، كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول، وأمثال ذلك. وكل ذلك مذموم، إلا أن بعضه أشد من بعض.

## فصل

### (بواعث الرياء)

باعث الرياء إما التمكن من المعصية، كاطهار الورع والتقوى لتفويض إليه الحكومة والقضاء، لينال الجاه والاستيلاء، ويحكم بالجور، ويأخذ الرشاء، أو تسلم إليه الودائع والصدقات وأموال اليتامى وأمثال ذلك فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها، وكحضوره مجالس العلم والوعظ والتعزية



لملاحظة النسوان والصبيان، وهذا أشد درجات الرياء اثماً، ويقرب منه اظهار الديانة والتقوى ليدفع عن نفسه تهمة ما اقترفه من الجرائم، أو نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا، كالاشتغال بالوعظ والتذكير والامامة والتدريس وإظهار الصلاح والورع، لتستبدل له الأموال وترغب في تزويجه النسوان أو خوف أن ينظر إليه بعين النقص والحقارة، أو ينسب إلى الكسالة والبطالة كترك العجلة والضحك بعد اطلاع الناس عليه، خوفاً من أن يعرف باللهو والهزل فيستحقر، وكالقيام للتهجد واداء النوافل إذا وقع بين المتهجدين والمتنفلين لئلا ينسب إلى الكسالة، ولو خلي بنفسه لم ينتقل مطلقاً، وكذا الامتناع من الاكل والشرب في اليوم الذي يصام فيه تطوعاً وتصريحه بأني صائم، خوفاً من أن ينسب إلى البطالة، وربما لم يصرح بكونه صائماً، بل يقول: لي عذر، وحينئذ قد جمع بين رياءين بكونه صائماً، والرياء بكونه مخلصاً غير مرء. ثم ان أُلجأته الكسالة والشهوة إلى عدم القيام إلى النوافل وعدم الصبر عن الاكل والشرب، ذكر لنفسه عذراً تصريحاً أو تعريضاً، كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف أو شدة العطش أو تطيب خاطر فلان، وقس عليها غيرها من الكلمات والاعذار، فانها لا تسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في النفس، والمخلص لا يريد غير الله والتقرب إليه، ولا يعتني بالخلق وحصول المنزلة في قلوبهم، فان لم يصم لم يحب أن يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله ليكون ملبساً، وان صام قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره. ثم هذه البواعث لما كان بعضها صادراً من رداءة قوة الغضب وبعضها من رداءة قوة الشهوة، فيكون بعض أنواع الرياء من رذائل الأولى وبعضها من رذائل الثانية.

### تنبيه

### (الرياء الجلي والخفي)

الرياء جلي وخفي، والجلي: ما يبعث على العمل لولا قصد الثواب والخفي: ما لا يبعثه بمجردة إلا أنه يخفف العمل الذي أريد به التقرب في الخلوة، ويعرف بالسرور إذا اطلع عليه الناس، لا للمقاصد المتقدمة، بل لطلب نوع منزلة في قلوب الناس، ويتوقع التعظيم والتوقير وقضاء الحوائج منهم ووجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر في احترامه، كأن نفسه تتقاضى الاكرام والاحترام على

الطاعة التي اخفاها مع أنه لم يطلع عليه أحد. ولا شك أن هذا التقاضي لا ينفك عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل، ولو كان عنده وجود الطاعة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق وقنع بعلم الله فيها لم يكن لهذا التوقع وجه. فعلامة خلوص العمل من الرياء ألا يجد تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة، ومهما وجد تفرقة في ذلك فلا يكون منفكا عن توقع ما (عن) [2] الناس في طاعته، وذلك مما يحبط العمل. قال أمير المؤمنين (ع): " إن الله تعالى يقول للقرءاء يوم القيامة: ألم يكن يرخص عليكم السعر؟ ألم تكونوا تبدأون بالسلام؟ ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟ فلا اجر لكم، قد استوفيتم اجركم! ".

## فصل

### (كيف يفسد الرياء العمل)

لو عقد العمل على الإخلاص واستمر إلى الفراغ، لم يحبطه السرور بظهوره بعده، لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفة. ولا يعصى به أيضاً إن كان لأجل أحد المقاصد السالفة، ويكتب له معصية إن كان لظنه حصول منزلة له في القلوب. ولو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبة والسرور بذلك، فربما قيل باحباطه العمل، إذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد خفي من الرياء. وقد أيد ذلك بما روي: " أن رجلا قال للنبي (ص): إني صمت الدهر. فقال (ص): لا صمت ولا افطرت! " وما روي: " أن ابن مسعود سمع رجلا يقول: قرأت البارحة سورة البقرة. فقال: ذلك حظه منها ".

والظاهر أنه لا يحبط عمله، بل يثاب عليه، وان عوقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الرياء. والتعليل لو تم لا يفيد البطان، إذ العقد الذي لم يشعر به صاحبه لا يؤخذ به، والا لزم التكليف بالمحال. والخبر لو صح فانكاره (ص) لأجل كراهية صوم الدهر لا لظهاره. وقول ابن مسعود لو ثبت لا حجية فيه.

ولو عقد العمل على الإخلاص، وورد في اثنا عشر وارداً السرور باطلاع بعض الناس عليه، فإن لم يكن باعثاً على العمل ومؤثراً فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الإخلاص من غير فتور، وكان أيضاً لأحد المقاصد الصحيحة المتقدمة، فلا بطلان ولا اثم، لما تقدم من الأخبار. وإن لم يكن باعثاً ولكن لم يكن لشيء من المقاصد المذكورة، بل كان لظنه نيل الجاه أو المال بالظهور، فالحق بطلان العمل وكونه آثماً للعمومات السالفة وإن كان باعثاً ومؤثراً فهو الرياء المحرم، سواء كان غالباً على قصد التقرب أو مساوياً له أو مغلوباً عنه، فيحبط العمل وعليه إعادة لو كان فريضة، لما تقدم من العمومات، ولقوله (ص): " العمل كالوعاء، إذا طاب آخره طاب أوله ". وقوله (ص): " من رأى بعمله ساعة، حبط عمله الذي كان قبله ". ثم هذا في العمل المركب الذي له اجزاء، ويتوقف صحته على صحة كل واحد منها، كالصوم والصلاة والحج. أما العمل الذي كل جزء منه منفرد، كالصدقة والقراءة، فما يطرأ من الرياء في اثنا عشر إنما يفسد الباقي دون الماضي فطرؤه فيه في الاثنا عشر بالنسبة إلى الماضي كطروئه بعد الفراغ في الأول. وهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد الطاعة على الإخلاص أو قبله سواء لم يرجع عنه حتى يتمها، أو ندم بعده في الاثنا عشر أيضاً ورجع واستغفر وأما المقارن حال العقد، بأن يبني بالصلاة مثلاً على قصد الرياء، فإن اتمها عليه فلا خلاف في كونه آثماً وعدم الاعتداد بها. وإن ندم عليه في الاثنا عشر ورجع واستغفر، فإن مجرد القصد إلى الغير الباعث إلى اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمة وارتياحه به فلا بأس به ولا يحبط العمل، وإن كان غير ذلك أفسده، سواء في ذلك جميع شقوقه المتقدمة، كما علم وجهه.

### فائدة

#### (شوائب الرياء مبطله للعمل)

لما كان المناط في الاعمال، صحة وفساداً، هو القصد والنية، إذ الاعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد، سواء وقع سراً أو علانية، وكل عمل كان خالصاً لله وأمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس بأسراره ولا باظهاره. ثم لو تعلق قصد صحيح باظهار نفس العمل أو التحدث به بعد الفراغ عنه، كترغيب الناس في الخير وتنبيههم على الاقتداء

به فيه، كان اظهاره أفضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على رياء أو فساد آخر، كاهانة الفقير في التصدق، ولو اشتمل على شئ من ذلك، كان اسراره أفضل من اعلانه وبذلك يجمع بين الاقوال والأخبار.

والحاصل: أنه متى انفك القلب عن شوائب الرياء، بحيث يتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين، فما فيه القدوة وهو العلانية أفضل مهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره، لكونه مهلكاً له، فالسر أفضل منه. فعلى من يظهر العمل أن يعلم أو يظن انه يقتدى به وان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفي، فربما اظهر العمل لعذر الاقتداء وكان في نفسه قصد التجمل بالعمل وكونه مقتدى به، وهذا حال كل من يظهر العمل، إلا من أيده الله بقوة النفس وخلص النية، فلا ينبغي لضعيف النفس أن يخدع نفسه فيضل ويضل ويهلك من حيث لا يشعر. فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يعلم سباحة ضعيفة فينظر إلى جماعة من الغرقى فيرحمهم، وأقبل عليهم لينجيهم فتشبهوا به، وهلك وهلكوا. وهذه المواضع مزال أقدام العلماء والعباد، فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص، فتحبط اجورهم بالرياء. ودرك ذلك غامض جداً لا يبلغه إلا الخائضون في غمرات علم الأخلاق. ويعرف الخلوص في ذلك بالألأ يتفاوت حاله باقتداء الناس به وبغيره من أقرانه وامثاله، فان كان قلبه أميل إلى أن يكون هو المقتدى به، فإظهاره العمل غير خال عن شوائب الرياء.

### ايقاظ

لما عرفت أن المناط في صحة الاعمال وفسادها هو القصد والنية، تعلم أن كل عمل لم يكن خالصاً لوجه الله وأريد به غيره سبحانه ينبغي أن يترك ويعرض عنه، وإن كان خالصاً له تعالى مقصوداً على قصد صحيح لا ينبغي تركه لمجرد بعض الوسوس والخواطر الشيطانية. فان الشيطان يدعو أولاً إلى ترك العمل فان لم يجب يدعو إلى الرياء، فاذا يأس منه يقول: هذا العمل ليس خالصاً، بل هو رياء، فأى فائدة منه؟!.

ثم الاعمال إما من الطاعات اللازمة التي لا تعلق لها بالغير، كالصلاة والصوم والحج وأمثالها، أو من الطاعات المتعدية التي لها تعلق بالخلق، كالإمامة والقضاء والحكومة والافتاء والوعظ والتذكير والتعليم والتدريس وانفاق المال وغير ذلك.

والقسم الأول: إن دخله الرياء قبل الفعل، بأن يكون باعته الرياء دون الخلوص والقربة، فينبغي أن يترك ولا يشرع فيه، وإن دخله بعد العقد أو معه، فلا ينبغي أن يترك، لأنه وجد له باعث ديني، وإنما طراه باعث الرياء، فيجاهد في دفع الرياء وتحصيل الإخلاص، ويرد نفسه إليه قهراً بالمعالجات التي نذكرها. ومهما كان في المجاهدة مع نفسه معاتباً لها قاهراً عليها في ميلها إلى الرياء، ووجد من طبعه كراهية هذا الميل، فالنجاة في حقه مرجوة، ولعل الله يسامحه بعظيم رحمته. وأما إذا لم يكن في مقام المجاهدة، ولم يكن كارهاً مما يجد في نفسه من الميل إلى الرياء بل أعطى زمام الاختيار إلى النفس الامارة، وهي ترائي في الاعمال، وهو يتبعها في ذلك من غير قهر عليها وكراهية لفعلها، فلا ريب في فساد أعماله وأولية تركها، وإن كان باعثها ابتداء محض القربة ودخلها الرياء مع العقد أو بعده.

وأما القسم الثاني: المتعلق بالخلق - اعني إمامة الصلاة والقضاء والتدريس والافتاء والوعظ والارشاد وأمثال ذلك - فاخطارها عظيمة، ومثوبتها جسيمة. فمن له أهليه ذلك من حيث العلم - إن كان ذا نفس قوية لا يعتني بالناس ولا تزعجها وساوس الخناس وله معرفة تامة بعظمة ربه وقدرته وسائر صفاته الكمالية، بحيث شغله ذلك عن الالتفات إلى الخلق وما في أيديهم حتى يرئى لأجلهم أو يختار رضاهم على رضا ربه - فالأولى لمثله ألا يترك هذه المناصب ليفوز بمثوبتها العظيمة. وإن كان ذا نفس ضعيفة، كخيط مرسل في الهواء تفيئها<sup>3</sup>[3] الريح مرة هكذا ومرة هكذا فهو لا يأمن الرياء وسائر اخطارها. فاللازم لمثله تركها. ولذلك كان أهل اليقين من السلف يتدافعون هذه المناصب ما وجدوا إليه سبيلاً. وورد ما ورد من الأخبار في عظم خطرها وكثرة افاتها ولزوم التثبت والاحتياط لمن يزاولها وما ورد من الوعيد الشديد في حق علماء السوء يكفي للزوم الحذر

عن فتن العلم وغوائله. ومما يقصم ظهور أمثالنا من الذين يقولون ما لا يعلمون ويأمرون بما لا يفعلون، قول عيسى بن مريم - عليهما السلام -: " يا علماء السوء! تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون! وتدرسون ما لا تعلمون فيا سوء ما تحكمون! تتوبون بالقول والاماني، وتعملون بالهوى، وما يغني عنكم أن تنتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة! بحق أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم! تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم! يا عبید الدنيا! كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته! بحق أقول لكم: إن قلوبكم تبكي من اعمالكم، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم: أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم، فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة! فاي ناس أخس منكم لو تعلمون! ويلكم! حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا لتركوها لكم! مهلا مهلا! ويلكم! ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم! كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة. يا عبید الدنيا! توشك الدنيا أن تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم، ثم تكبكم على مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم! يدفعكم العلم من خلفكم، ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادی! فيوقفكم على سواتكم، ثم يخزيكم بسوء أعمالكم!!" [4]. هذا ويعرف الصادق المخلص من أهل هذه المناصب بأنه إذا ظهر من هو أعدل وأحسن وعظماً وأكثر علماً منه وأشد قبولاً للناس فرح به ولم يحسده وإذا حضر الأكابر والأعظم مجلسه أو اقتدوا به لم يتغير كلامه ولم يتفاوت حاله، بل يبقى على ما كان عليه، وينظر إلى عباد الله بعين واحدة.

### تنبيه

لما عرفت حقيقة الرياء، تعلم أنه إذا صار عمل بعض الصالحين أو قولهم محركا لغيرهم على الاشتغال بالطاعة لم تكن هذه الطاعة رياء إذا عقدت على الخلوص، وان لم يكن هذا الغير ليفعل

٤ [4] روى هذا الحديث في (إحياء العلوم): ٢٨١/٣، فصحناه عليه وهو يرويه عن (الحارث المحاسبي).

هذه الطاعة إذا لم يشاهدها من بعض الصالحين أو لم يسمعها منه. فمن لم تكن عادته التهجد وبات مع قوم متهجدين في موضع، فإذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقة ووافقهم في التهجد، ولم يكن ذلك رياء بعد أن يكون قصده منه الثواب والتقرب إلى الله، واذ كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل، ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الغفلة، فإذا شاهد قوماً يتهدون ربما صارت مشاهدة طاعتهم سبباً لزوال غفلته، كما يصير قولهم ووعظهم سبباً لذلك، فيتحرك باعث الدين دون الرياء ويدعوه إلى موافقتهم. وربما كان الموضع مما ليس فيه عائق، فيغتتم الفرصة وبيعه ما فيه من الاميان إلى الطاعة. وقس على التهجد غيره: من الصوم، والتصدق، والقراءة والذكر، وغيرها من أعمال البر.

---

علاج الرياء  
الاخلاص وحقيقته  
مدح الاخلاص  
آفات الاخلاص  
النفاق

## فصل

### علاج الرياء

لما كانت الأسباب الباعثة على الرياء هي حب لذة المدح والفرار من ألم الذم والطمع بما في أيدي الناس، فالطريق في علاجه أن يقطع هذه الأسباب وقد تقدم طريق العلاج في قطع الاولين، ويأتي طريق إزالة الثالث. وما نذكره هنا من العلاج العلمي للرياء، هو أن يعلم أن الشيء إنما يرغب فيه لكونه نافعاً، وإذا علم أنه ضار ليعرض عنه البتة، وحينئذ فينبغي لكل مؤمن أن يتذكر مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من المقت والعذاب ومتى تذكر ذلك وقابل ما يحصل له في الدنيا من الناس الذين رآى لأجلهم بما يفوته في الآخرة من ثواب الاعمال، لترك الرياء لا محالة، مع ان العمل الواحد ربما تترجح به كفة حسناته لو خلس فإذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات، فتترجح به ويهوي إلى النار. هذا مع أن المرئي في الدنيا متشتت الهم متفرق البال بسبب ملاحظة قلوب الناس، فان رضاهم غاية لا تدرك، وكلما يرضى به فريق يسخط به فريق ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً. ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل مدحهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلالا ولا ينفعه يوم فقره وفاقتة وهو يوم القيامة؟! ومن كان رياؤه لأجل الطمع بما في أيدي الناس، ينبغي أن يعلم ان الله هو المسخر للقلوب باليمن والاعطاء، وان الخلق مضطرون فيه، ولا رازق إلا الله، ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخسة، وان وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة، وإذا قرر ذلك في نفسه ولم يكن منكراً لأمره، زالت غفلته وفترت عن الرياء رغبته وأقبل على الله بقلبه، وانقطع بشرائره إلى جناب ربه. ويكفيه أن يعلم أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه، وسيكشف الله عن سره حتى



يبغضه إليهم ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له، وأطلق ألسنتهم بمدحه  
وثنائه، مع أنه لا يحصل له كمال بمدحهم ولا نقصان بدمهم.

ثم من تنور قلبه بنور الإيمان وانشرح صدره باليقين والعرفان، وعرف معنى الواجب وحقيقة  
الممكن، وتيقن بأن الواجب - أي الحقيقة التي تقتضي بنفس ذاته التحقق والبقاء، وهو صرف  
الوجود - يجب أن يكون تاماً فوق التمام، ولا يتصور حقيقة أتم كمالاً منه، والحقيقة التي هذا شأنها  
يجب أن يكون ما سواها بأسره مستنداً إليها وصادراً عنها على أشرف انحاء الصدور وأقواها.  
وهذا النحو الأشرف الأقوى الذي لا يتصور نحوه أقوى منه في الاختراع وأدل منه على كمال  
عظمة الموجد وقدرته، وهو كون ما سواه سبحانه من الموجودات، إما اعتبارات وشؤونات لدرجات  
ذاته واشراقات لتجليات صفاته، كما ذهب إليه قوم، أو كونها ماهيات امكانية اختراعية علماً وعيناً،  
صادرة عن سبحانه بوجودات خاصة متعددة ارتباطية بمحض ارادته ومشيته، كما ذهب إليه

آخرون ا[1] ولو لم يكن غيره من الموجودات مستنداً إليه على أقوى أنحاء الاستناد، لم يكن تام

فوق التمام، إذ تكون الذات التي يستند الكل إليها بأحد النحويين اكمل منه واشرف. وإذا عرف أنه سبحانه كذلك، يعرف أنه ليس في الوجود حقيقة أحد سواه وغيره حقيقته العدم وما له من الوجود والظهور منه سبحانه، وبعد هذه المعرفة لا يختار غيره تعالى عليه، ويعلم أن العباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ولا يملكون موتاً ولا حياة، فلا يتغير قلبه بمشاهدة الخلق، ولا يلتفت إليهم إلا بخطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها، فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله.

وأما العلاج العملي، فهو أن يعود نفسه على اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها، كما تغلق الابواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته، ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به. وذلك وإن شق في بداية المجاهدة، لكن إذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمد به عبادة من حسن التوفيق والتأييد:

**" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " [2].**

فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية:



" إن الله لا يضيع أجر المحسنين " [3].

### تتميم

القالع مغارس الرياء من قلبه بقطع الطمع واستحقار مدح الناس وذمهم ربما لا يتركه الشيطان، (لا) سيما في أثناء العبادة، فعارضه بخطرات الرياء ونزعاته، حتى احدث في قلبه ميلا خفياً إلى الرياء وحباً له. والحق أن ذلك ليس من الرياء المحرم، ولا تفسد به العبادة، مع كونه كارهاً لهذا الميل والحب وقاهراً على نفسه ماقتاً لها في تأثرها وتغيرها عن نزعات الشيطان ومنازعا للشيطان ومجاهداً إياه لدفع خطرته، لأن الله لم يكلف عباده إلا ما يطيقون، وليس في وسعهم منع الشيطان عن نزعاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى شهواته، وغاية ما يقدرون عليه أن يقابلوا نزعاته وميل الطبع بالكراهة والقهر على النفس في هذا الميل، مع المجاهدة في دفع ذلك بتذكر المعالجات المقررة لدفع الرياء والوساوس، وإذا فعلوا ذلك أدوا ما يجب عليهم. ويدل على ذلك أيضاً ما تقدم من الأخبار الدالة على عدم المؤاخذة بمجرد الوسوسة، وقول النبي (ص): " الحمد لله الذي رد كيد

**الشيطان إلى الوسوسة** ". فوسوسة الشيطان وميل النفس لا يضران مع ردهما بالكراهة والإباء، إذ الوسوس والخواطر والتذكرات والتخيلات المهيجة للرياء من الشيطان، والميل والرغبة بعد تلك الخواطر من النفس، والإباء والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل فلا يضر ما من النفس والشيطان إذا قوبل بما من العقل والإيمان. ولذا قال بعض الأكابر " ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك، فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه ".

ثم الطرق المتصورة في دفع خطرات الرياء في أثناء العبادة مع كراهتها أربع:

الأولى - أن يشتغل بمجادلة الشيطان في رد نزعاته، ويطيل معه الجدل.

الثانية - أن يقتصر على تكذيب الشيطان ودفعه من غير اشتغال بمجادلته.

الثالثة - ألا يشتغل بتكذيبه أيضاً، بل يكتفي بما قرر في عقد ضميره من كراهة الرياء وكذب

الشيطان، فيستمر على ما كان عليه مستصحباً له غير مشتغل بالمخاصمة والتكذيب.

الرابعة - أن يزيد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله، أو ما يؤدي إليهما، كإخفاء العبادة والصدقة غيظاً للشيطان، لأن ذلك يغيظ الشيطان ويوجب بأسه، ومهما عرف من العبد هذه العادة، كف عنه خوفاً من أن يزيد في حسناته.

ولا ريب في أن الاشتغال بالمجادلة والتكذيب وأطالتهما يمنع الحضور ويصد عن التوجه إلى الله، وهو نقصان لأهل السلوك، فالصواب لكل مؤمن أن يقرر دائماً في عقد ضميره كراهية الرياء وتكذيب الشيطان ويعزم أبداً على أنه إذا تهجم عليه الشيطان وعارضه بنزعات الرياء زاد ما هو فيه مما يغيظ الشيطان ويوجب بأسه، فإذا حدثت خطرات الشيطان في الأثناء اكتفى بما عقد عليه أولاً مستصحباً له، وزاد في الإخلاص وما يؤدي إليه فان ذلك يوجب قنوط الشيطان. وإذا عرف العبد بهذه الصفة لا يتعرض له لئلا يزيد فيما يغيظه. وينبغي لكل مؤمن أن يكون هذا ديدنه في جميع الصفات والملكات، مثلاً إذا حصل اليقين والعقيدة الجازمة بالمبدأ وصفاته الكمالية، وقرر ذلك في نفسه، وأثبت في قلبه كراهية الشك وخطور الوسوس، فإذا حدث بعض الوسوس في أثناء عبادة أو غيرها، ينبغي ألا يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان، ويكفي بما تقرر في قلبه من اليقين

وكراهية الشك والوسوسة، معتقداً بأن هذه الوسوس لا أصل لها ولا عبرة بها. وكذا إذا قرر في نفسه النصيحة للمسلمين وكراهية الحسد، فإذا أوقع الشيطان نزغات الحسد في قلبه، ينبغي ألا يلتفت إليها، ويستصعب ما كان عليه من النصيحة والكراهة، وقس عليها سائر الصفات والأخلاق.

ثم مثل من يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان مثل من قصد مجلساً من مجالس العلم والوعظ لينال فائدة وهداية فعارضه ضال فاسق ودعاه إلى مجلس فسق فأبى وانكر عليه، فإذا عرف الضال إياه، اشتغل بالمجادلة معه، وهو أيضاً يساعده على ذلك ليرد ضلاله، ظاناً أن ذلك مصلحته مع أنه غرض الضال إذ قصده من المجادلة أن يؤخره عن نيل مقصوده. ومثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لا يشتغل بالقتال مع الضال بعد دعوته إلى مجلس الضلال، بل وقف بقدر أن يدفع في منحره، وذهب مستعجلاً ففرح الضال بقدر توفقه للدفع. ومثل من يكتفي بعقد الضمير مثل من لم يلتفت إلى الضال بعد دعوته أصلاً، واستمر على ما كان عليه من المشي ومثل من يزيد فيما كان له من الإخلاص أو ما يؤدي إليه مثل من يزيد في عجلته بعد دعوته ليغيظه. ولا ريب في أن الضال يمكن أن يعاود الجميع في الدعوة إلى الضلالة إذا مروا عليه مرة أخرى إلا الأخير، مخافة أن يزداد فائدة باستعجاله.

## فصل

### الإخلاص وحقيقته

ضد الرياء: الإخلاص، وهو تجريد القصد عن الشوائب كلها. فمن عمل طاعة رياء فهو مرء مطلق، ومن عملها وانضم إلى قصد القربة قصد غرض دنيوي انضماماً غير مستقل فعمله مشوب غير خالص، كقصد الانتفاع بالحمية من الصوم، وقصد التخلص من مؤنة العبد أو سوء خلقه من عتقه، وقصد صحة المزاج أو التخلص من بعض الشرور والأحزان من الحج، وقصد العزة بين الناس أو سهولة طلب المال من تعلم العلم، وقصد النظافة والتبريد وطيب الرائحة من الوضوء والغسل، والتخلص عن إبرام السائل من التصدق عليه، وهكذا. فمتى كان باعث الطاعة هو التقرب ولكن إنضافت إليه خطرة من هذه الخطرات، خرج عمله من الإخلاص فالإخلاص تخليص العمل

عن هذه الشوائب كلها، كثيرها وقليلها والمخلص من يكون عمله لمحض التقرب إلى الله سبحانه،  
من دون قصد شيء آخر أصلاً.

ثم أعلى مراتب الإخلاص - وهو الإخلاص المطلق وإخلاص الصديقين - إرادة محض وجه الله  
سبحانه من العمل، دون توقع غرض في الدارين ولا يتحقق إلا لمحبه الله تعالى مستهتراً به،  
مستغرق الهم بعظمته وجلاله بحيث لم يكن ملتفتاً إلى الدنيا مطلقاً. وأدناها - وهو الإخلاص  
الإضافي قصد الثواب والاستخلاص من العذاب، وقد أشار سيد الرسل (ص) إلى حقيقة الإخلاص

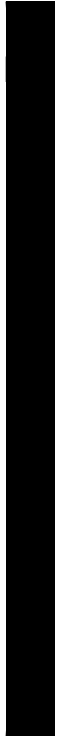
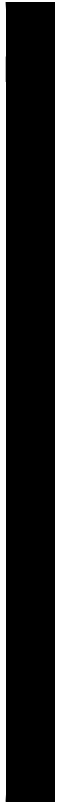
بقوله: " هو أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت؛ [4] تعمل لله، لا تحب أن تحمد عليه! أي لا



**تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلا ربك، وتستقيم في عبادتك كما أمرت "**. وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله سبحانه عن مجرى النظر، وهو الإخلاص حقاً. ويتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد في الآخرة، بحيث ما يغلب ذلك على القلب والتفكر في صفات الله تعالى وفعاله والاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله وعظمته ويستولي عليه حبه وأنسه، وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى، ويكون فيها مغروراً لعدم عثوره على وجه الآفة فيها، كما حكى عن بعضهم أنه قال: " قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الأول، لأنني تأخرت يوماً لعذر وصليت في الصف الثاني، فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت أن نظر الناس إلي في الصف الأول كان يسرني، وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر ". وهذا دقيق غامض، وقلما تسلم الأعمال من أمثاله، وقل من يتنبه له، والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات، وهم المرادون بقوله تعالى:

---

" وبدا لهم سيئات ما عملوا " [5]. " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " [6]. **وبقوله:**  
" قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون  
صنعاً " [7].



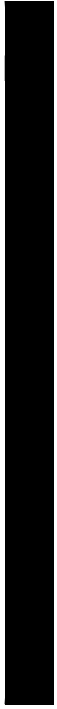
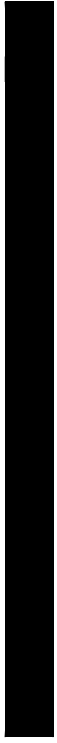
## فصل

### مدح الإخلاص

الإخلاص منزل من منازل الدين، ومقام من مقامات الموقنين. وهو الكبريت الأحمر، وتوفيق الوصول إليه من الله الأكبر، ولذا ورد في فضيلته ما ورد من الآيات والأخبار، قال الله تعالى:



" وما أمروا ألا ليعبدوا الله مخلصين له الدين " 8 [8]. قال: " ألا لله الدين الخالص " 9 [9].  
وقال " إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله " 10 [10]. وقال: " فمن كان  
يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً " 11 [11].



نزل فيمن يعمل لله أن يحمد عليه.

---



وفي الخبر القدسي: " الإخلاص سر من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي ". وقال رسول الله (ص): " اخلص العمل يجزك منه القليل ". وقال (ص): " ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ". وقال (ص): " ثلاث لا يغفل عليهن ". وعد منها قلب رجل مسلم أخلص العمل لله عز وجل. وقال أمير المؤمنين (ع): " لا تهتموا لقلّة العمل، واهتموا للقبول ". وقال أمير المؤمنين (ع): " طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره! ". وقال الباقر (ع): ما اخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً - أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً - إلا زهده الله تعالى في الدنيا وبصره داعها ودواعها، وأثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه ". وقال الصادق (ع) في قول الله عز وجل.

**" ليلوكم أيكم أحسن عملاً "**

" ليس يعني اكثركم عملاً، ولكن اصوبكم عملاً. وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة "... ثم قال: " الايفاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل، والنية أفضل من العمل، ألا وان النية هي العمل "... ثم تلا قوله عز وجل " قل كل يعمل على شاكلته ": يعني على نيته ".

وقال الصادق (ع): " الإخلاص ١٢ [12] يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول

وتوفيقه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضى عنه فهو المخلص وان قل عمله، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله، اعتباراً بآدم (ع) وابليس. وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة وسكون، والمخلص ذائب روحه باذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل والمعمول بالعمل، لأنه إذا ادرك ذلك فقد أدرك ذلك الكل، وإذا فاته ذلك فاتته الكل، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الأول: هلك العاملون إلا العابدون، وهلك العابدون إلا العالمون وهلك العالمون إلا الصادقون، وهلك الصادقون إلا المخلصون، وهلك المخلصون، إلا المتقون وهلك المتقون إلا الموقنون، وأن الموقنين لعلى خطر عظيم! قال الله لنبيه (ص): واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. وأدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربه مكافأة بعمله، لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز،

---



وإدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز

بالجنة " ١٣ [13].

ومن تأمل في هذه الأخبار وفي غيرها مما لم يذكر، يعلم أن الإخلاص رأس الفضائل ورئيسها، وهو المناط في قبول الأعمال وصحتها، ولا عبرة بعمل لا إخلاص معه، ولا خلاص من الشيطان إلا بالإخلاص، لقوله:

**"إلا عبادك منهم المخلصين"؛ [14].**

وما ورد في الإسرائيليات من حكاية العابد والشيطان والشجرة مشهور وفي الكتب

مسطور<sup>١٥</sup> [15].



## فصل

### آفات الإخلاص

الآفات التي تكدر الإخلاص وتشوشه لها درجات في الظهور والخفاء اجلاها الرياء الظاهر، وهو ظاهر. ثم تحسين العبادة والسعي في الخشوع فيها في المأ دون الخلوة ليتأسى به الناس، ولو كان عمله هذا خالصاً لله لم يتركه في الخلوة، إذ من يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه، فكيف يرتضي ذلك لنفسه في الخلوة، ثم تحسينها في الخلوة أيضاً بقصد التسوية بين الخلوة والمأ، وهذا من الرياء الغامض، لأنه حسن عبادته في الخلوة ليحسنها في المأ، فلا يكون فرق

بينهما في التفاته فيهما إلى الخلق، إذ الإخلاص الواقعي أن تكون مشاهدة الخلق لعبادته كمشاهدة البهائم لها، من دون تفاوت اصلا، فكأن نفسه لا تسمح باساءة العبادة بين اظهر الناس، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرئين ويظن أن ذلك يزول باستواء عبادته في الخلوة والملا، وليس كما ظنه، إذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته إلى الخلق في الملا والخلوة كما لا يلتفت إلى الجمادات فيهما مع أن مشغول الهم بالخلق فيهما جميعاً. واخفاها أن يقول له الشيطان - وهو في العبادة في الملا بعد يأسه عن المكائد السابقة :-

" أنت واقف بين يدي الله سبحانه، فتفكر في جلاله وعظمته، واستحي من أن ينظر إلى قلبك وهو غافل عنه! فيحضر بذلك قلبه وتخضع جوارحه " وهذا أخفى مكائد الشيطان وخداعه، ولو كانت هذه الخطرة ناشئة عن الإخلاص لما انفكت عنا في الخلوة ولم يخص طورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة: أن يكون هذا خاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا، ولا يكون حضور الغير سببا لحضوره كما لا يكون حضور بهيمة سبباً له، فما دام العبد يفرق في أحواله وأعماله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة، فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، كما ورد به الخبر ولا يسلم منه إلا من عصمه الله بخفي لطفه، إذ الشيطان ملازم للمتشمريين لعبادة الله، لا يغفل عنهم لحظة ليحملهم على الرياء في كل واحد من أفعالهم وأعمالهم.

### تتميم

الحق - كما أشير إليه - أن الشوب الممزوج بالإخلاص إن كان من المقاصد الصحيحة الراجعة شرعا لم يبطل العمل والإخلاص ولم ينقص الأجر والثواب. إذ نية الخيرات المتعددة توجب تضاعف الثواب بحسبها وإن كان من الأغراض الدنيوية الراجعة إلى حب جاه أو طمع مال فهو مبطل للعمل والثواب، سواء كان الباعث الديني أضعف من الباعث النفسي أو مساويا له أو أقوى منه، لظاهر الأخبار المتقدمة. ومع إبطاله العمل يترتب عليه عقاب على حدة أيضاً، إذ الرياء في

العبادة في نفسه منهي عنه محرم، سواء كان هو الباعث وحده أو انضم إلى نية التقرب انضماماً مستقلاً أو غير مستقل، فمن ارتكبه كان آثماً لأجل الرياء في نفسه وتاركاً للعبادة من حيث دخول الرياء فيها، فإن كانت واجبة ترتب إثم آخر على تركها إلا أن يسقطه بقضائها، وإن كانت مستحبة لم يلزم قضاؤها ولم يترتب إثم على تركها، بل كان إثمها منحصراً بما يترتب على الرياء في نفسه. ثم الإثم المترتب على الرياء المحض اشد وأغلظ من المترتب على الرياء الممزوج بالقربة، ويتزايد إثم الممزوج بحسب ازدياد قوة باعث الرياء بالنظر إلى باعث الإخلاص، وينقص بحسب نقصان ذلك.

وعلى ما ذكرناه، فما العقد عليه إجماع الأمة من أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صح حجه أثيب عليه، مع أن سفره ليس خالصاً للحج، فالوجه فيه أن التجارة تعرض للرزق، وهو أيضاً عبادة. وقد تقدم أن نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها، فلا حاجة إلى ما قبل " إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص، وإنما المشترك طول المسافة، ولا ثواب فيه مهما قصد تجارة "، ولا إلى ما قيل: " مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع، فلا ينفك نفس السفر عن الثواب " نعم، إذا كانت التجارة للجمع والادخار من غير حاجة، فلا يبعد أن يقال ذلك، وكذا إذا انضم إلى قصد الحج قصد التفرج ودفع التوحش عن الأهل انضماماً غير مستقل، ومثله إذا انضم إلى نية الوضوء التبرد، وإلى نية الصوم قصد الحمية، وإلى نية العتق الخلاص من المؤنة وسوء الخلق، إلى غير ذلك، إذا لم تكن المنضمات مستقلة.

ومن العلماء من قال: " إن الباعثين إن تساويا تساقطا، وصار العمل لا له ولا عليه، وإن كان باعث الرياء أقوى لم يكن العمل نافعاً، بل كان مضراً وموجباً للعقاب، وإن كان عقابه أخف من عقاب الذي تجرد للرياء وإن كان باعث التقرب أقوى فله ثواب بقدر ما فضل من قوته، لقوله تعالى:

" فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " ١٦ [16]. وقوله تعالى: " إن

الله لا يظلم مثقال ذرة " ١٧ [17].



فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير، بل إن كان قصد التقرب غالباً على الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقية زيادة، وإن كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد. والسر: أن الأعمال تؤثرها في القلوب بتأكيد صفاتها، فداعية الرياء من المهلكات، وقوة هذا المهلك بالعمل على وفقه، وداعية الخير من المنجيات، وقوته بالعمل على وفقه، فإذا اجتمعت الصفات في القلب فهما متضادتان، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء قويت تلك الصفة، وإن عمل على وفق داعية الخير قويت أيضاً تلك الصفة، واحدهما مهلك والآخر منج. فإن كانت تقويته لهذا بقدر تقويته للآخر فقد





تقاوما، وان كان أحدهما غالباً زاد تأثيره بقدر الفاضل من قوته، كما في تأثير الأدوية والأغذية

المتضادة " انتهى ٨ [18].

وفيه: أن اطلاق الظواهر يفيد كون شوب الرياء محبباً للعمل والثواب وقد تقدم بعضها. ومنها ما

روى: " أن رجلا سأل النبي (ص): **عمن يصطنع المعروف - أو قال يتصدق - فيحب أن يحمد**

**ويؤجر، فلم يدر ما يقول له، حتى انزل قوله تعالى:**

" فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً " [19] ١٩.

ولا ريب في أنه قصد الحمد والأجر جميعاً، ومع ذلك نزلت في حقه هذه الآية.

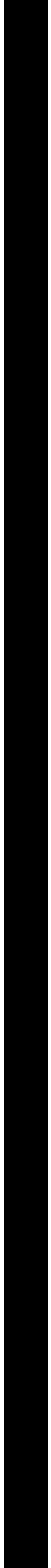
ومنها ما روى: " أن اعرابياً أتاه (ص) وقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل شجاعة، والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله! فقال (ص) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ". وحملها على صورة تساوي القصدين أو غلبة قصد الرياء خلاف الظاهر. وما ذكره من أن لكل قصد وفعل تأثيراً خاصاً على حدة، ففيه أن ذلك إذا لم يبطله ضده. ونحن نقول: إن مقتضى الأخبار كصريح العقل يدل على أن قصد الرياء يبطل قصد القربة إذا تواردا على فعل واحد، فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزيادة على تأثير قصد الرياء. ومنها:

### النفاق

وهو مخالفة السر والعلن، سواء كان في الإيمان أو في الطاعات أو في المعاشرات مع الناس، وسواء قصد به طلب الجاه والمال أم لا. وعلى هذا فهو أعم من الرياء مطلقاً، وإن خص بمخالفة القلب واللسان أو بمخالفة الظاهر والباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم، فبينهما عموم وخصوص من وجه. وعلى التقدير، إن كان باعته الجبن فهو من رذائل قوة الغضب من جانب التفريط، وإن كان باعته طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط وإن كان منشأه تحصيل مال أو منكح فهو من رداءة قوة الشهوة ولا ريب في أنه من المهلكات العظيمة، وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمه. وأشد أنواع النفاق - بعد كفر النفاق - كون الرجل ذا وجهين ولسانين، بأن يمدح أخاه المسلم في حضوره ويظهر له المحبة والنصيحة، ويذمه في غيبته ويؤذيه بالسب والسعاية إلى الظالمين وهتك عرضه واتلاف ماله وغير ذلك، وبأن يتردد بين متعاضدين ويتكلم لكل واحد بكلام يوافقه ويحسن

لكل واحد منهما ما هو عليه من المعادة مع صاحبه ويمدحه ٢٠[20] على ذلك، أو يعد كل منهما أنه

---



ينصره، أو ينقل كلام كل واحد إلى الآخر. وهذا شر من النوم التي هي النقل من أحد الجانبين. وبالجملة هو بجميع أقسامه مذموم محرم، قال رسول الله (ص): " من كان له وجهان في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة ". وقال (ص): " تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين: الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ". وقال (ص): " يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسان في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلتهبان خده. ثم يقال: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين، يعرف بذلك يوم القيامة ". وورد في التوراة " بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين، يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين ". وعن علي بن اسباط، عن عبد الرحمن بن حماد، رفعه قال: قال الله تبارك وتعالى لعيسى: " يا عيسى، ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إني أحذرك نفسك، وكفى بي خبيراً! لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان! ". وقال الباقر (ع): " لبئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطى حسده وإن ابتلي خذله ".

ثم لا يخفى أن الدخول على المتعاضدين والمجاملة مع كل منهما قولاً وفعلاً لا يوجب كونه منافقاً ولا ذا لسانين إذا كان صادقاً، إذ الواحد قد يصادق متعاضدين، ولكن صداقة ضعيفة، إذ الصداقة التامة تقتضي معاداة الأعداء وكذا من ابتلى بذي شر يخاف شره، يجوز أن يجامله ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة ما لم يعتقد به قلبه، وهو معنى المداراة، وهو وإن كان نفاقاً إلا أنه جائز شرعاً للعدو، قال الله سبحانه:

" ادفع بالتي هي أحسن السيئة " ٢١ [21].

وروى: " أنه استأذن رجل على رسول الله (ص) فقال: ائذنوا له فبئس رجل العشيرة. فلما دخل ألان له القول، حتى ظن أن له عنده منزلة. فلما خرج، قيل له: لما دخل قلت الذي قلت ثم أنت له القول؟! فقال: إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من أكرمه الناس اتقاء لشره ". ويدل على جواز ذلك جميع أخبار التقية وأخبار المداراة. وفي خبر: " ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة ". وقال بعض الصحابة: " كنا نبشر في وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا ". ثم جواز ذلك إنما إذا اضطر إلى الدخول على ذي الشر ومدحه مظنة الضرر أما لو كان مستغنياً عن الدخول والثناء أو عن أحدهما، ومع ذلك أبدى بلسانه ما ليس في قلبه من المدح، فهو نفاق محرم.

ثم ضد النفاق استواء السر والعلانية، أو كون الباطن خيراً من الظاهر، وهو من شرائف الصفات، وكان الاتصاف به والاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنين من الصدر الأول. ومن





تأمل في ما ورد في ذم النفاق وفي مدح موافقة الباطن مع الظاهر، وتقدم الروية في كل قول وفعل  
لم يصعب عليه أن يحافظ نفسه من رذيلة النفاق.

انتهى الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث، وأوله (ومنها: الغرور)

---